مكتبة
مدبولي

القدس الجريح.. محور الصراع الأبدي



القدس.. تحت راية الإسلام

القدس تحت راية الخلافة الراشدة

القدس.. في الحروب الصليبية

القدس.. والحروب العالمية

القدس وحرب أكتوبر ١٩٧٣

القدس الجريح
محور الصراع الأبدى

الكتاب: القدس الجريح... محور الصراع الأبدى

الكاتب: الدكتور أحمد كامل شعث

الطبعه: الأولى ١٩٩٦

الناشر : مدبولى ٦ ميدان طلعت حرب

القدس الجريح... محور الصراع الأبدى

★ تحت راية الإسلام
★ فى الحروب الصليبية
★ الهجرة اليهودية .. المعني والتاريخ
★ الصهيونية العالمية .. المبدأ والهدف
★ الحكم الذاتي ... التقييم والهدف

تأليف
الدكتور احمد كامل شعث

مدبولى
١٩٩٦

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

«لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود. . . . » .

صدق الله العظيم

الآية ٨٢ من صورة المائدة

فهل لمؤمن رأى ... بعد إقرار المولى عز وجل....؟!

القدس الجريح
محور الصراع الأبدى

١- تحذير

د. أحمد كمال شعث

هذا المؤلَّف دعوة للتذكير- بل صرخة للتحذير.

وهذا أشد ما يؤلم.. وأقصى ما يوجع فى نفس الوقت.

إن الحقيقة وثوابتها نكاد نلمسها فى حركتنا التاريخية ومرحلتنا التى نعبرها.. ورغم خطورتها فإنه يجرى بشأنها تعتيم وتنعيم لامثيل له.. ونلمس بشأنها سلبية خطيرة على المستقبل العربى بكل ما يميزه.. كما أن ردود الأفعال تجاه ما يجرى يبدو وكأن من صفات هذه الأمة السلبية التامة.. الأمر الذى يستلزم الدراسة والتحليل.. ثم المناولة والمواجهة.

وليس فى الأمر أى مواجهة أو محاولة للنيل من نظم الحكم العربية وطبيعتها.. بل هى على العكس مجرد نصيحة يستشعرها الكاتب- وقد يكون مخطئا- فإن لم يكن، فإن خطر ما يجرى يهم الحكام والمسئولين.. بل ويحملهم ما هم فى غنى عنه من خلخلة فى مجتمعاتهم.. وتغير فى تناسق شعوبهم.. وتمزق فى تآلفهم وهى كلها أمور هامة يقدرها ويدرك أثرها الحكام والمسئولون قبل غيرهم.

ونقصد بذلك كله مستقبل السلام «الحقيقى» مع الدولة اليهودية.

يقول المولى عز وجل « **وإن هذه أمتكم أمة واحدة**»

ويقول: «**إنما المؤمنون أخوة**».

فإن لم نتذكر تلك الأسس الإيمانيه.. والقوانين الإلهية.. والتى سوف نحاسب عليها.. فلنستعد كلمات البابا الكاثوليكى «ليو الثالث عشر».. فهو القائل:

«لم نقبل أن نرى إخواننا فى العقيدة يذبحون وينكل بهم.. نحن نعلنها واضحة مدوية، لقد آن الأوان لوضع حد للخيانة».

قد يندهش القارىء من ذلك فى وقت تتوالى فيه- ومنذ مدة- اجتماعات واتفاقيات مع الدولة اليهودية؟ مع وضوح بوادر وإشارات تشير كلها إلى أن الصلح مع الدولة اليهودية قد آن أوانه.. وأزف وقته.. وتمت عناصره .. وبانت شواهده.. فهذا بالفعل بيت القصيد.

فى ذلك الوقت أيضا يشهد مجتمعنا ظاهرة ملموسة وهى تأثر واضح بثقافات الغرب وميل ظاهر لمنهجة بدعوى الدعوة إلى التجديد والتحديث.. وعمت تلك النغمة تحت راية التنمية.. رغم ذلك فقد باتت المنطقة العربية بأسرها تعيش حالة من التغير والقلق.. والعصبية والجنون.. ولم يعد الباحث المفكر يدرى ما يخبئه الغد من عجائب وحوادث .

بينما تتوالى الإشارات إلى رغبة دول العالم العربى أو معظمه للاعتراف بالعدو الصهيونى وإمكانية التعايش معه.. نجد العداوة السياسية والإعلامية بين مصر والسودان!!، وبين مصر ودول الخليج البترولية من جانب والعراق من جانب آخر.. وبينما تحاصر دول الغرب المثالى الملتزم!! البوسنة وتمنع عنه السلاح منذ سنين نجد دول الجوار- العربية!!- تحاصر ليبيا الشقيقة بأوامر من دول الغرب ذاتها.

وبينما تقترب مصر فعلا بإسرائيل وتقيم معها علاقات دبلوماسية كاملة منذ سنين نجد رئيس تحرير جريدة الأهرام السيد/ إبراهيم نافع وغيره يأخذون على العراق- علانية- اتصالاتها «السرية» لمحاولة الاتفاق مع إسرائيل!!.

أمر يحار فى تقديره العقلاء.

وكأن الأمر فى محوره هو محاولة إيجاد عدو يمكن التعامل معه وتصوره كمبرر للسياسات العجيبة والاتجاهات الفريدة حتى يمكن العيش وتستمر الحياة.. فعندما فشلت حركة القومية العربية فى مناولتها لقضية فلسطين على أهميتها ومحوريتها لجأت القيادات فى فترتنا التى تعبرها إلى إستعداء أخواتها.. ومحاربة أبناء عمومتها.. بدلا من اليهود!!

أشد ما يؤسف حقيقة أن الواقع فعلا لايخرج عن ذلك التصور الشاذ.

تثبته المواقف الرسمية.. وتؤكده قيادات الإعلام.. وتوضحه منابع الأدب.. وترسخه منافذ الثقافة.

إن الأمر الذى لاشك فيه أن مستلزمات المخطط اليهودى العالمى حتمت أن يتم تشكيل الثقافة العربية عبر موجة من الغزو والتسلل الفكرى تمهيدا لتنفيذ ذلك المخطط القائم على القضاء على قدرات تلك الأمة.. وتمزيق خاصيتها.. ونهب ثرواتها.

إن مسار الحركة الصهيونية العالمية وتتبعه يؤكد أن تلك الحركة امتازت بمنطلقين كلاهما متمم للآخر.. ومكمل له..

أحدهما : تلميع الطابع القومى الأيدلوتجى اليهودى.

والآخر: تشويه الطابع العربى خاصة.. والإسلامى عامة.

لم يقتصر هذا المسار.. أو تلك الحركة على السلوك الفردى وإنما اتسع ليشمل التاريخ بكل أبعاده وبما يرتبط به من تيارات نفسية.. أو ثقافية، وهكذا امتازت الحركة الصهيونية بعده ظواهر منها:

١- جعل الأدب والإعلام أداة من أدوات الصراع.. وتحريكهما فى ذلك الاتجاه ولخدمته.

٢- محاولة إعادة التاريخ وكتابته على أنقاض ذلك الأدب وفلسفته.

٣- خلق التقارب بين الدولة اليهودية وجيرانها مع ضمان هيمنته حتى يمكن لذلك المسار أن يتمم هدفه بما يتفق مع رؤيته الذاتيه.

الأمر الواجب الاعتراف به أن اليهودية تمتاز فى حركتها بشىء من الإيمان الخاص والاقتناع به بصرف النظر عن الحق والحقيقة، كما أنه- وهذا أخطر ما فى الأمر- فإن هذا المسار ومبادئه يوضح ضمنا وصراحة نظرة الصهيونية وتقديرها لإيمان العرب والمسلمين وبقضيتهم ومقدساتهم.

الأمر المخجل حقا أن تلك الرؤية قامت على مفهوم أوضحه «إسحق بن ميمون» صاحب المؤلف الضخم والذى نشره قبل قيام إسرائيل وهو عن أن اليهودية كمشروع حضارى لن يتحقق إلا بفضل العودة إلى التراث الإسلامى والاستفادة القصوى من تعاليمة.

فإذا كان ذلك المؤلف قد اختفى تماما عن الساحة السياسية والثقافية.. فهل اختفى بالنسبة للمسلمين منهاج المولى وتعاليمة وأياته التى تتلى أناء الليل وأطراف النهار؟!.

الأمر إذا هو مدى الإيمان والالتزام عند كل طرف بعقيدته ومبدئة.. بصرف النظر عن الحق والحقيقة المجردة.

يشير إلى ذلك أن مراحل الصراع العربى- الإسرائيلى قد سار منذ بدايته إلى الجانب اليهودى الأمر الذى يؤكد ضمنا مدى التزام كل طرف من أطراف الصراع بمبادئه وأيديولوجيته.

كان لأبعاد تلك الحقائق ودلالاتها النفسية.. ونتيجة للهجمة الإعلامية الحديثة وأثرها المشبوه ما ساعد على تشكيل الظاهرة الثقافية.. والخاصية السلوكية التى تميز مرحلتنا تلك.. وهذا أخطر ما فى الأمر.. فذلك كله يحدد الإطار العملى لظاهرة الإدراك على مستوى الفرد.. والجماعة.. ويحدد أيضا.. ومن ثم.. ظاهرة السلوك ورد الفعل. وحركة الأمة ككل.

ألم تكن ظاهرة الترابط الثقافى عبر العالم العربى كله وفى بداية القرن الحالى أقوى عشرات المرات من تلك الفترة مع ماتميز به من إعلام وتكنولوجيا متقدمة فى وسائله مع سرعه اتصالات هائلة.. وحرية فى الحركة.. الخ.

لكن.. هل يمكن أن تستمر موجة الانهيار حتى تهدد بيت المقدس.. ثالث الحرمين الشريفين.. ومسرى النبى محمد بن عبد الله(ص)؟!.

ثم .. هل يمكن أن يطمئن المسلمون بعد ذلك لأمن وسلامة المدينة المنورة.. وثانى الحرمين؟ لعل تلك المخاوف هى الباعث للحركات الإسلامية المعارضة.. هكذا صراحة.

إن الأمر الذى لاشك فيه أن الحركة الصهيونية- البروتستانتيه العالمية تسلك طريقها المرسوم وهدفها الواضح تجاه القدس.. مع حركتها فى تطبيع العلاقات مع العرب فى آن واحد.

هذا.. كما أن القيادات العربية والسياسات الحالية تجاة الاحتمالات فى تلك القضية المحورية تبعث على الشك فى نيتها على التصدى والمواجهة.. لوحدث ما هو متوقع.

إن الأمر الذى يسقطه الجميع أن مستقبل القدس قضية محورية ولاشك .. وقادرة على زلزلة أركان المنطقه كلها..

فهل هذا أيضا من أهداف الحركة المعادية للإسلام؟!

إن الأمر برمته يهم حتى مستقبل تلك القيادات وسلامتها من زاوية أخرى.

لاجدال فى الحقيقة التى تقول إن كثيراً من الشواهد لاتبشر بخير على مستقبل المنطقه رغم تيارات الصلح الملموسة مع العدو الصهيونى.

فلاشك فى أن قضية المسجد الأقص ومستقبله سوف تكون محوراً لتغيرات وهزات يخطىء من يظن أنه قادر على استيعابها أو السيطرة عليها.

اللهم بلغت

١- من التاريخ

يعتبر التاريخ مصدراً أساسيا من مصادر تكوين الثقافة والفكر.. ومن ثم تكوين النفسية السياسية تجاه أى محور من محاور الصراع فى الحياة الدنيا.. ولعل اهتمام الحركة اليهودية بمناولة تاريخ المنطقة فى المشرق العربى مع إسقاط فترة الهيمنة الإسلامية يؤكد ذلك.. الأمر الذى استلزم محوراً ثابتا وهدفا أساسيا فى منهاجهم الفكرى والإعلامى.. وخطهم السياسى والعسكرى أيضا تجاه المنطقة.

إذا كنا نعتقد أن القدس ومستقبلها سوف تصبح ضرورة محوراً لصراع أبدى رضى بدلك السياسيون.. أم أبوا.. فإن مناولة الأمر- بداية- من زاويته التاريخية الموثوقة وإثباته أضحى أمراً لازماً.

من التاريخ:

كانت اليمن فى الحقيقة هى مصدر العربية الأساسى والأول.. فمن جنوب الجزيرة انتشرت قبائلها العديدة السامية.. وبلغتها العربية من ا ليمن إلى أقصى شمال العراق والشام.. وحتى دلتا النيل..

من اليمن نزح- فيما نزح- الكنعانيون.. وهم أمة سامية.. كان ذلك فى الألف الثالث ق.م. وصل الكنعانيون إلى بلاد العرب الصخرية فى شمال الحجاز.. ومنها دخلوا إلى النقب.. ثم شقوا طريقهم إلى ساحل البحر الأبيض حتى وصلوا لبنان وسورية..

ويرجع إلى الكنعانيين الفضل فى تشييد بعض المدن الهامة مثل بئر سبع وأشدود.. وأيضا القدس.. وغيرها .

يذكر النبى اليهودى صفينا فى سفره.. الاصحاح٢ الآية ١:٥ «القرن السابع ق.م». يقول:

«.. ياكل البائسين فى الأرض الذين نفذوا حكمه التمسوا البر، اطلبوا التواضع لعلكم تُستروں فى يوم سخط الرب لأن «غزة» ستكون مهجوره وعسقلان ستكون خرابا.. وأشدود سيطر دونها عند الظهيرة.. وسوف تستأصل عقرون.. ويل لسكان البحر.. أمة الكرينيين.. كلمة الرب عليكم ياكنعان أرض الفلسطينيين لأجعلنك خرابا بلا ساكن ويكون ساحل البحر مسرحاً ذا آبار للرعاة وحظائر للغنم.. ويكون الساحل لبقية آل يهوذا عليه يرعون فى بيوت عسقلان- يربضون عند المساء لأن الرب إلههم يتعهدهم ويرد سبيهم».

وهكذا.. ومن البداية.. فلسطين هى أرض الكنعانيين العرب..

بعد نحو قرن من النبى صفنيا نجد المؤرخ هيرودوت يذكر أصل الكنعانيين سكان تلك المنطقه..

«إن بلادهم الأولى التى نزحوا منها تقع على ساحل بحر «إرتريا» وهو ساحل البحر الأحمر الجنوبى من جهة اليمن..»

الأمـر الـذى لاشك فـيـه أن أصل القـبـائل الفـلسطيـنيـة الأولى كـان من الكنعـانيين الـوافـدين مـن بلاد العـرب.. من هؤلاء الكنعـانيين كـانت قـبـيلة **اليبوسيين** تسيطر على مدينة **القدس** وما حولها.. وهى التى أنشأت هذه المدينة المقدسة.

سمى اليبوسيين المدينة **يورد سالم** أو **يورو شالم**.. وتعنى منشأة الإله سالم أو شالم وظل ذلك الاسم شائعاً.

وفى سفر التكوين نجد إشارة إلى هذه المدينة من أخبار سيدنا ابراهيم.. ومعنى هذا أنها بنيت قبل النبى يعقوب بنحو مائة عام.. أو أكثر.. وكان ملكها من سكان فلسطين الأصليين.. وكان يدعى «ملكيصدق» وكان ملكا متدين رحيما.

« .. **وملكيصدق ملك أورشليم أخرج خبزاً ونبيذاً وكان كاهناً لله العلى وباركه» أى سيدنا إبراهيم « وقال: مبارك «إبرام» من الله العلى ملك السموات والأرض** الإصحاح ١٤: الأيه ١٨

كان لمركزية تلك المدينة ولخطورة حوادث التاريخ فى تلك المنطقة ما أدى إلى رسوخ المدينة المقدسة ورفع اسمها.. حتى مع بعض التغيرات التى طرأت بتغير اللهجات واللكنات.. حيث دارت الزعامة والسلطة لمجموعات متباينة من القوميات على فلسطين.. فى فترات التاريخ المتوالية.

جاء الاسم الغربى Jerusalem من نفس الاسم العربى الأصل.. وهو المستعمل حتى الآن فى اللغات الأوروبية الإنجليزية والفرنسية واليونانية والالمانية.. ومنها أيضا جاء الاسم «أورشليم» والذى ورد فى الكتاب المقدس التوارة .. «سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا».

★ ★ ★

شيد اليبوسيون على التلال المرتفعه جنوب المدينة «جبل صهيون» برجاً لحماية المدينة والدفاع عنها ضد العبرانيين وغيرهم من القبائل المغيرة بزعامة ملكهم «سالم اليبوسى» غير أنه بتطور الزمن.. واستقرار المجتمعات تكونت ممالك عدة جمع بينها التنافس.. كما جمع بينها اللغة والأصل .. فاللغة الكنعانية كانت هى اللغة السائدة الأصلية فى تلك المنطقه.. كما كانت اللغة البابلية هى اللغة الدبلوماسية ولغة العلاقات الدولية بممالك وبلاد تلك المنطقة.

أما الممالك.. فقد كان العموريون فى سورية- والآراميون فى العراق.. والكنعانيون فى غزة وفلسطين.. وجميعهم من أصل سامى.

كانت الهجرات مستمرة بين تلك الممالك.. وكانت القوافل تجوب الآفاق أناء الليل وأطراف النهار صيفا وشتاء.. فهم فى النهاية فروع لأصل واحد..

أجمع مؤرخوا الأديان على تلك النظرة الأساسية والمختصرة لشعوب بلاد منطقة الشرق الأوسط.. وتاريخ اليهودية عند مؤرخهم «يوسيفوس» يثبت ويقر تلك النظرة.. أما مؤرخ المسيحية «ابن العبرى بن هارون» صاحب مختصر الدول فيقرها ويؤكدها بدوره..

هذا كما أن «ابو الفدا» المؤرخ الإسلامى فيقر أيضا بذلك الأساس من وجهة النظر الإسلامية.

من زاوية أخرى.. فليس من السهل التحقيق فى أصل وبداية التاريخ اليهودى المكتوب.. فاليهود يكادون يكونون الأمة الوحيدة الفريدة من أمم العالم كله والتى امتازت بأنها هى التى كتبت تاريخها بيدها.. وشكلته حسب رغبتها وهواها!!.. فوضعت ذلك التاريخ فى إطار المقدسات والغيبيات والمعجزات.. وجعلت من ذلك كله شيئا فريداً لايؤمن به إلا سواهم!! يكاد ذلك التاريخ أن يرمى إلى محور أساسى.. وفكرة غالبة وهى أن عملية الخلق

الإنسـانى والـهـداية الإلهـيـة لبـنى الإنسـان.. وتفـاعل وحـوادث ذلك كله إنما تستهدف إساساً واطلاقا على اختيار بنى إسرائيل واصطفائهم على غيرهم من بنى البشر.. فهم شعب الله المختار.. وغيرهم ليسوا إلا شخوصا مكملة على المسرح الإنسانى بطول الزمان.. وعرض المكان.. لعل ذلك الأساس يوضح ظاهرة تعصب اليهود لكل ما هو يهودى عنصرى وليس لتعاليم الرب التى رفعها انبياؤهم.

من الطبيعى أن يظهر تناقض فى التراث اليهودى لوضوح الوضع فيه.. وأثر العصبية عندهم.. فنراهم عندما يتحدثون حتى عن أصلهم سرعان ما يتضح التناقض ويظهر الخلاف..

النبى أشعيا «حسب ما يذكر اليهود» وعلى أيام السبى البابلى ينسب أصول اليهود إلى كنعان.. بل ويسمى اللغة العبرية ذاتها «لسان كنعان» .. اشعيا ٩١ .. الآية ٨١.

أما فى توراة موسى.. فنجده يقول «كان أبى أرامياتائها» التوراة.. الإصحاح ٢٦ .. الآيه ٥ فموسى ليس كنعانيا إذاً !!!.

من زاوية أخرى- فإن الآثار المكتوبة والمنقوشة باللغة العبرية لا يرجع منها شىء إلى ما قبل الألف الأولى من الميلاد.. بل وحتى بالرجوع إلى الكتاب المقدس نرى أن القوم قد تسموا بأسماء عديده منها «عبريين» .. ثم «بنى إسرائيل» .. ثم «اليهود» ..

بالنسبة للتسمية الأولى «عبريين» .. يرى بعض الباحثين أن أصلها يرجع إلى كلمة «حيبرو» والتى وردت فى كتابات قديمة مثل: وثائق تل العمارنه.. وفى كتابات الكشيين بالعراق.. ونقوش الحيثيين.. وفى بعض النصوص الآشورية فى شمال العراق..

أما الباحث الفرنسى «إدوار دورم» فيرى أن العلاقة مشكوك فيها.. «فحيبرو» صفة تعنى الشريك أو الحليف.. أما «عبري» فهى اسم علم مشتق من فعل شائع فى جميع اللغات السامية ومنها العبرية والعربية.. وهو الفعل «عبر» بمعنى تخطى واجتاز.

كانت تسمية «عبرى» تطلق على من يهاجر من العراق إلى الشام.. فيعبر بالضرورة نهر الفرات.. وقد فعلها أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم..

ورد فى سفر يوشع:

«هكذا قال الرب إله إسرائيل: إن آباؤكم سكنوا فى عبر النهر منذ الأزل تارح أبو إبراهيم .. وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به فى كل أرض «كنعان» وأكثرت نسله وأعطيته اسحق».

الإصحاح ٢٤.. الآية ٢:٣

وإبراهيم أبو العرب بطريق إسماعيل .. وكان يمكن إطلاق هذا الاسم عليهم.. فهو أقرب إلى الانسجام ولاشك.. بل ويؤيد ذلك نفس الرواية التى يعتمد عليها القوم عن نبيهم يعقوب بن إسحق بن إبراهيم فى تفسير تلك الاسمية.

ففى سفر التكوين يذكر القوم أن يعقوب كان كأبيه أسحق- قد عاد إلى العراق ليتزوج تنفيذا لوصية جده وأبيه أن يحترس من مصاهرة **الكنعانيين** وأن يتزوج من العراق متى أراد.. وهناك تزوج «ليا» و«راحيل» بنتى «لابان».. وعمل يعقوب راعيا للغنم عند حميه ثم قرر أن يعود بكل ماله بعد خلافه مع حميه..

«فقام يعقوب وحمل بنيه ونساءه على الجمل وساق جميع ماشيته وجميع ماله وكل مقتناه الذى امتلكه فى فدان آرام «بلد

لابان» منصرفا إلى إسحق أبيه.. إلى أرض كنعان.. وكان لابان قد مضى ليجز غنمه- فسرقت راحيل أصنام أبيها وخاتل يعقوب لابان الآرامى ولم يخبره بفراره وهرب بجميع ماله وقام فعبر النهر واستقبل جبل جلعاد «الإصحاح ٣١.. الآيه ١٧ :٢١

تلك القصة تثبت أن عبور وهروب يعقوب إنما كان إلى حيث يقيم إسحق وإبراهيم من قبل.. وفى أرض كنعان ذاتها. .

فمن أولى مثلا بهذه التسمية يعقوب.. أم إسحق وإبراهيم؟

هذا.. ولاسيما أن لابان عندما التقى بيعقوب غفر له هروبه.. واشترط عليه أن «يبقى حيث هو وألا يعبر إليه النهر ابدا» **سفر التكوين - التوراة.. إصحاح ٣١ أيه ٥٢.**

أما تسمية «بنى إسرائيل» فهى ترتبط أيضا بقصة للنبى يعقوب وهو فى طريقه إلى أرض كنعان.. وهى قصة مثيرة فعلاً.

فعندما عبر يعقوب واديا من مخاضة «يبوق» هو ومن معه عاد لبعض شأنه وقد أرخى الليل سدوله فوجد فى انتظاره رجلاً ليس كالبشر.. قيل أنه ملك من السماء.

فصارعه هذا الرجل حتى مطلع الفجر.

« ... ورأى أنه لايقدر عليه.. فلمس حق وركه.. فانخلع حق ورك يعقوب فى مصارعته له وقال: أطلقنى لأنه قد طلع الفجر.. وقال: لا أطلقك أو تباركنى. فقال له:

ما اسمك؟. قال: يعقوب. قال : لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد.. بل إسرائيل لأنك كما علوت عند الله فعلى الناس أيضا تعلو.. وسأله يعقوب وقال: عرفنى اسمك؟

فقال: لم سؤالك عن اسمى؟.. وباركه هناك. «**التوراه.. سفر التكوين ٣٢.. أيه ٢٥ :٢٩**

على هذا المنوال صاغ القوم معتقداتهم.. بل لقد سجلوها حتى تتمشى مع أهدافهم السياسية والتى رسموها لأنفسهم دون أن يكون هناك أى دليل أو إثبات لتلك الدعاوى إلا مالديهم من نصوص. .

«وقال له الله أنا الله القدير.. أُثم واكْثر.. ستكون منك أمة وجماعة، أمم وملوك من صلبك يخرجون .. والأرض التى جعلتها لإبراهيم وإسحق لك أجعلها.. ولنسلك من بعدك أجعل الأرض.. ثم ارتفع الله عنه فى الموضع الذى خاطبه فيه.»

التوراة.. سفر التكوين الآية ١٠ :١٣

وهكذا رفع ذلك «الوعد» !!.. وأطلقوا عليه وعلى فلسطين «أرض الميعاد».. وجعلوا الأمر كله إرادة إلهية.. ومسألة إيمانية لا تقبل المناقشة.

أما تسمية «اليهود» فترجع إلى فترة داود وسليمان وابنائهما واللذان نجحا فى إقامة مملكه فى فلسطين حوالى سنة الف ق.م. كانت الأسرة الحاكمة لتلك المملكة تنتمى إلى قبيله من العبريين تدعى سبط «يهودا».. ومن ثم فقد نسبوا إليها رغبتهم كلها.. ثم أطلقوا على أنفسهم اسم اليهود.

من الواضح أن تاريخ اليهود فى المنطقه أمر يشوبه الغموض إلى حد ما.. هذا مع اعترافنا وإقرارنا بالثابت من الحوادث وأخبارها فى القرآن الكريم.

★★★

من المعروف أنه عندما تفككت وحدة اليبوسيين.. راح العبرانيون يغزونهم.. فلجأ ملوك اليبوسيين إلى سياسة التحالف والمعاهدات بقصد توازن القوى مع

الغزاة.. وهكذا عقد ملوك اليبوسيين المعاهدات المتتالية مع ملوك الفراعنة المجاورين والذين سارعوا بمد يد المساعدة.. الأمر الذى حال دون استيلاء العبرانيين على تلك المناطق الحساسة بالنسبة لمصر.. فهى طريق القوافل والتجارة والأمن.

تشير ألواح تل العمارنة إلى معاهدات ملوك اليبوس مع فراعنه مصر منذ عهد تحتمس الأول.. وحتى رمسيس الثانى الذى أدخل تلك البلاد فى حدود مصر بعد معاهدة قادش مع الحيثيين. من ناحية أخرى كان ولابد أن يقوم تحالف من نوع ما بين الأمراء الفلسطينيين أنفسهم. على عهد يوشع بن نون.. خليفه النبى موسى.. وحوالى سنه ١٤٥٠ ق.م استطاع العبرانيون أن يهددوا أمن المدن الفلسطينية.. وانتصر يوشع فى معاركه شرق فلسطين مما أجبر الأمراء الفلسطينيين إلى التحالف. يذكر فى إصحاح يوشع.. أيه ٤٥٣:

فأرسل أدونيصدق ملك أورشليم إلى هوهام ملك حبرون «الخليل».. وفرام ملك يرموط.. ويافع ملك لكيش.. ودبير ملك عجلون قائلا: هلموا إلى.. وناصرونى».

ورغم قوة وبأس يوشع فى حربه ضد السكان الأصليين من الفلسطينيين خاصة فى اورشليم فلم يتمكن من احتلال تلك المدينة أو اخضاع أهلها.. كما يشير إلى ذلك إصحاح يوشع ١٥ الآية ٦٣.

«.. وأما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشيلم حتى هذا اليوم».

صمود الفلسطينيين فى مدينتهم ضد غارات العبرانيين إذا أمر لاشك فيه.. وصلتهم بأورشيلم أمر ثابت.. فى كتبهم المقدسة.

بعد النبى يوشع بأجيال وأجيال نجح بنو يهوذا فى احتلال أورشيلم.. ثم

انطلق من العبرانيين سبط بنيامين فمارسوا الضغوط السياسية والعسكرية على سكان المنطقة الأصليين من اليبوسيين.. لكنهم لم ينجحوا فى طردهم من تلك البلاد.. كما يقر بذلك ويثبته إصحاح القضاه(١) .. الآية ١ :٢

«وسكنوا معهم إلى هذا اليوم».

أما فى القرن العاشر ق.م... فقد نجح العبرانيون على يد الملك داود فى الاستيلاء على تلك المنطقة التى أحبها وجعلها عاصمة ملكه بدلا من حبرون «الخليل».. فوحد الأسباط.. وعقد المعاهدات مع جيرانه حتى أنه صاهر فرعون مصر ليأمن شره.. ثم إنه عزم على بناء الهيكل.. لكنه توفى قبل إتمام ما اعتزم عليه. فبناه ابنه النبى سليمان.. ونقل إليه تابوت العهد.. وصار الهيكل بيتا مقدساً يذكر فيه اسم الله تعالى.

بعد وفاة النبى سليمان.. لم يستطع اليهود أن يحافظوا على وحدتهم القومية فانقسموا على أنفسهم.. وقامت على إثر ذلك دويلتان.

إحداهما فى مدينة نابلس باسم إسرائيل.. والثانية فى مدينة القدس وعرفت باليهودية.

من الطبيعى أن ينشب النزاع والتناحر بين الدولتين المتجاورتين المتنافستين مما أثر على نفوذهما معاً.. وتمتلىء التوراة بأخبار ذلك التناصر والنزاع والذى استمر فترة طويلة من الزمان حتى غدت المنطقة فى ذلك العهد مسرحاً للفوضى والاضطراب.

أما على عهد النبى موسى.. فالثابت أن اليهود قد ضيعوه.. فنسوه.. فلم يتم ذكر النبى موسى وتحديد دوره فى سلسلة أنبياء إسرائيل إلا بعد أجيال واجيال من وفاته.

فى الإصحاح الأخير من التوراة ذاتها.. يروى الراوى قصة وفاة النبى موسى بطريقة تؤكد اجتهاده وتنبؤه فيما يختص بما يروى. يذكر فى الإصحاح ٣٤.. سفر التثنيه.. الآية ١:٦

«.. فصعد موسى إلى جبل نبو من فيافى مؤاب إلى رأس الفسجة المواجه لاريحا.. فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالى.. وارض افرايم ومنسا.. وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربى والجنوب، والمرج بقعة أريحا مدينة النخيل إلى صوعر.. وقال له الرب: هذه هى الأرض التى أقسمت لابراهيم وإسحق ويعقوب قائلا: لنسلكم أعطيها.. قد أريتكها بعينيك ولكنك إلى هنا لاتعبر.. فمات هناك موس عبد الرب فى ارض مؤاب بأمر الرب .. ودفنه فى الوادى فى ارض مؤاب تجاه بيت فاعور ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا».

والرواية تشير إلى نفسها.. ويؤكد اجتهاد الراوى ماذكر فى سفر الملوك الثانى من نبأ يشير إلى العثور على التوراة فى عهد يوشيا.. من ملوك اليهود فى أورشيلم.. وبعد وفاه النبى موس بأكثر من سبعة قرون.

يذكر الراوى أنه فى السنة الثامنة عشرة من حكم يوشيا أرسل هذا الملك أحد موظفى قصره واسمه شافان بن أصليا بين مشلم إلى معبد أورشيلم لمقابلة حلقيا كاهن المعبد ليحسب معه النقود التى دخلت الهيكل من الزوار حتى تصرف على الترميم وننقل من سفر الملوك الثانى الإصحاح٢٢».

«.. فقال حلقيا الكاهن الأعظم لشافان الكاتب: قد وجدت سفر التوراة فى بيت الرب.. ودفع حلقيا الكاهن إلى شافان السفر.. فقرأه.. وأتى شافان الكاتب الكتاب إلى الملك ورد على الملك جوابا وقال: قد أفرغ عبيدك الفضة الموجودة فى المعبد ودفعوها إلى أيدى الموكلين بالعمل القائمين ببيت الرب.. وأخبر شافان الكاتب الملك وقال: قد دفع إلى حلقيا الكاهن سفراً.. وقرأه شافان أمام الملك.

فلما سمع الملك كلام سفر التوراة.. مزق ثيابه.. وأمر الملك حلقيا الكاهن واحينام بن شافان.. وعكبور بن ميكا.. وشافان الكاتب.. وعسايا عبد الملك وقال : اذهبوا فأسألوا الرب لى وللشعب ولجميع يهوذا من جهه كلام هذا السفر الذى وجد.. لأنه عظيم غضب الرب الذى اشتعل علينا لأجل أن آبائنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر ليعملوا بكل ماكتب علينا.»

الأمر الثابت والذى لاشك فيه أن بنى إسرائيل قد نسوا نبيهم موسى وتوراته ومبادئها لقرون طويلة.. ليس هذا فحسب .. بل إن النبى أشعيا يثبت ذلك المفهوم تماما فى سفره.. فلم يشر أو يذكر النبى موسى الإمرة واحده.. وفى نهاية سفره..

الاصحاح٦٣ .. الآية ١١و١٢.

فيقول:

«.. ثم ذكر الأيام الغابرة أيام موسى وشعبه.. أين الذى أصعدهم من البحر مع راعى غنمه؟.. أين الذى جعل فى داخله روحه القدوس؟.. الذى سير عن يمين موسى ذراع عزة؟.. وفلق المياة أمامهم ليجعل له اسماً أبدياً».

والنبى أرميا يؤكد ذلك التصور ويثبته .. فى الموضع الوحيد أيضا الذى تحدث فيه عن النبى موسى فى سفره .. الإصحاح ١٥ .. الآية ٥١ .. حيث يقول:

«.. وقال لى الرب: لو أن موسى وصمويل وقفا أمامى لما توجهت نفسى إلى هذا الشعب.. فاطرحهم عن وجهى وليخرجوا..»

وهكذا.. مع إهمال القوم الثابت لسيرة نبيهم موسى وكتابه.. ولأجيال وأجيال.. تطفوا علامات الاستفهام والشكوك لذلك الوعد الغامض الذى أشرنا إليه.. والذى تم تحديده فى سفر التثنية على وجه الخصوص لموسى.. بأرض

الميعاد.. والتى تم تحديدها.. هذا مع عدم علمهم ويقينهم بمكان وفاته!!.

يقول الأستاذ «الفريد جيوم» : «إن الوعد الغامض المقطوع لاسباط ابراهيم بأرض الميعاد الممتدة من نهر النيل إلى النهر الكبير « الفرات » هو وعد قطعه الله لنسل إبراهيم في جميع ارجاء المعمورة قبل مولد إسماعيل وإسحق.. وعلى ذلك فهو وعد مقطوع للعرب واليهود من أبناء إبراهيم جميعا.. ولم يقطع بأن أرض الكنعانيين هى اليهود وحدهم الذين لم تعمر لهم الدولة ولم يقم كيانهم السياسى فى المنطقة أكثر من سبعين عاماً على عهد داود وسليمان .. هذا بينما ظلت المنطقة دائما أرضا عربية عريقة فى عروبتها.»

تلك هى نتيجة التحليل المنطقى المتزن.. حتى بفرض صحة التوراة التى أهدروها وافتقدوها فترة طويلة من الزمان.. وذلك كله بشهادة شاهد منهم.

★ ★ ★

رغم توالى الرسالات السماوية بين العبرانيين.. فقد توالى منهم -أيضا- الانحراف عن الصراط المستقيم.. فعبدوا الأوثان.. وتنكروا لرسالات أنبيائهم.. وارتكبوا الفواحش فظلموا وتكبروا.. وفسقوا واستكبروا.. حتى .. حتى أنهم قتلوا أنبياءهم!!.

قد يفسر منهاج القوم ظاهرة تتابع وتوالى الأنبياء بينهم- كما يؤكد ذلك التتابع والتوالى منهاج القوم ومستوى إيمانهم.. والذى أضحى ولابد أن يشهد طفرة بنزول الرسالة على عيس بن مريم.. رسول الله ومعجزته.

حيث أن ذلك المنهاج شهادة على إيمانهم تدفعهم وتدينهم فقد سلط عليهم الرب اعداءهم فأخذوهم أخذ عزيز مقتدر.. فقد قضى الآشوريون سنه ٧٢١ ق.م على مملكه إسرائيل.. كما قضى البابليون سنة ٥٨٥ ق.م على مملكه يهوذا.. ودمروا الهيكل وسبوا اليهود وأذاقوهم من الذل والهوان.. كما تغلب

كورش ملك الفرس على البابليين وأخذ الفرس يتهيأون لاجتياح مصر ذاتها والسيطرة عليها.. ومن ثم استعانوا بيهود السبى فى بابل فسمحوا لهم بالعودة إلى اورشليم حيث أعادوا بناء السور والهيكل من جديد فى عهد دارا.

ثم جاءت غزوة الإسكندر المقدونى.. وتبعتها غزوة الرومان والتى امتدت مئات السنين منذ احتل تلك المنطقة المركزية الاستراتيجية بومبى سنه ٦٣ ق.م.. فألغى مجمعهم.. وهدم السور.. وفرض عليهم – فيما فرض– ذبيحة يومية أمام الهيكل تكريما للقيصر!!».

وجاء هدريا نوس ١١٧ :١٣٨م. حيث ضاق ذرعا بثورات اليهود فدمر أورشيلم تدميرا كاملاً.. وحرث الأرض حرثا.. وطرد اليهود شر طردة– وحطم هيكل سليمان للمرة الأخيرة وبشكل جذرى.. وعلى أنقاض ذلك كله ابتنى الرومان مدينة جديدة أسموها «إيلياء» نسبته إلى الإمبراطور إيليوس هيدريانوس.

وعندما تولى قسطنطين عرش الأباطرة سنه ٣١٣م.. وأصبح مؤسس الدولة البيزنطية فى القسطنطينيةسنة ٣٣٠م أصبحت إيلياء مدينة بيزنطية.

فى ذلك الوقت بنت أم القيصر هيلانة كنيسة القيامة سنة ٤٢٦م.

من تلك المقدمة التاريخية المختصرة نستطيع أن نجزم أن الشعب الفلسطينى والذى قوامه من الساميين العرب والكنعانيين هم الذين عمروا وقطنوا تلك المنطقة من العالم وأقاموا فيها ممالك وتاريخ قبل أن يتطلع إليها العبريون بزمن طويل.. كما أنهم قد استمروا فى تلك المنطقة فى زمن ممالك اليهود.. والتوراة ذاتها تشير فى أكثر من موقع إلى تلك الحقيقة الثابته..

غير أن أهم ما يعنينا فى مقامنا هذا هو أن اليهودية الحديثة وإن كانت ترتكن إلى النبى موسى فإن الثابت أن هناك فترة طويلة وحقبة عريضة من

الزمان لايمكن شغلها بسهولة بين حقيقة نبوة موسى.. وحقيقة تعاليمه.. وجوهر ذلك الفكر اليهودى الحديث.

هذا الأمر نفسه واضح أشد الوضوح ومجسم وملموس عند علماء اليهود ومفكريهم.. حتى أن العالم اليهودى المشهور «فرويد» عالم النفس المشهور.. وغيره من الباحثين اليهود المتحررين شككوا فى يهودية النبى موسى ذاته!!..

سجل ذلك الباحث اليهودى الفرنسى المعروف « اسكندر» فى كتابه «موسى والتلمود». من الطبيعى أن يتلازم ذلك الشك أيضا فيما رفعه القوم من «الوعد الإلهى» المزعوم لليهود خاصة وأن موسى أنهى رسالته ولم تطأ قدمه أرض فلسطين.. لا هو .. ولا الذين خرجوا معه من اليهود من مصر.

أهم ما يعنينا من ذلك كله هو ثبوت منهج الحق فى ذلك كله فى القرآن الكريم.. ونحن بما نص عليه القرآن فى خبرهم مؤمنون.. وواثقون.

★ ★ ★

التاريخ اليهودى فى فلسطين:

من تلك الإشارة التاريخية المختصرة نستطيع أن نقر بأن الوجود التاريخى لليهود فى أرض فلسطين يبدأ من حوالى ١٠٣٠ ق.م. حيث توج الملك «شاوول» على كل اسرائيل بفضل الجهود السياسية التى قام بها النبى صمويل لتحقيق ذلك الحلم.. وقد برز فى تلك الفترة ملكان بارزان من أنبياء اليهود وهما داود .. وابنه سليمان.

أما النبى داود .. فقد حكم بعد شاءول حوالى سنه ١٠١٠ ق.م. وأما سليمان فقد تولى من بعده سنة ٩٧٠ ق.م وطال حكمه أربعون سنة.. أى إلى حوالى سنه ٩٣٠ ق.م.

بوفاه النبى سليمان تمزق الكيان السياس اليهودى.. وضعف إلى حد كبير- وعليه فإن الفترة الزمنية التى قامت فيها لليهود قائمة تاريخية لها إطارها السياسى والاجتماعى والعقائدى لاتتعدى كلها قرنا واحداً من سنه ١٠٣٠ إلى سنه ٩٣٠ ق.م. تلك الفترة المحدودة من عمر الزمن هى كل ما يمكن قبوله أمام ستة آلاف عام أو تزيد من وجود الشعب الفلسطينى الأصلى فى هذه البلاد .. حتى إلى عصرنا وأيامنا هذه.

فيما عدا تلك الفترة البارقة فإن تاريخ اليهود فى تلك المنطقة وغيرها إنما يشير إلى طبعهم الأصيل والذى تمثل فى مواقفهم المتتالية مع انبيائهم ومصلحيهم .. فكم قاسى هؤلاء الأنبياء الأجلة فقط لمجرد أن رسالاتهم كانت لمثل تلك المجتمعات التى تفشت فيها جميع نقائص البشرية.. حتى وصلوا إلى قتل انبيائهم ورسلهم ومصلحيهم.

عارض اليهود نبيهم «رامبا»- واضطهدوه وخالفوه طوال سيرته.. وقد عاصر هذا النبى الشجاع حصار بختنصر للقدس حوالى سنه ٦٠٠ ق.م.. واغتاله اليهود الأوفياء- آخر الأمر!!.

أما موقف اليهود من يوحنا ؟ والمعاصر لسيدنا المسيح عيسى بن مريم فهو حتى أشهر من أن يشار إليه.. فقد تنكروا لدعوته وعارضوا رسالته ثم أهدروا دمه.. ومازالوا به حتى أوقعوه.. وقطعوا راسه.

كما أن موقفهم تجاه المسيح معروف.. وموقفه منهم مشهور.. فقد اضطهدوه وكذبوه وعملوا على قتله وصلبه ولكن شبه لهم .. تناس العالم المسيحى كل ذلك حتى تملكه اليهود اقتصاديا وإعلاميا.

أما موقفهم من خاتم الأنبياء والمرسلين فهو معروف وثابت ومعلن.. وسنتناوله فى مكانه.. ومع ذلك كله تناس ذلك المسلمون حتى.. حتى ضاعت

كرامتهم وفقدوا كبريائهم.

.. بعد فترة الملك سليمان تفككت مملكة سليمان وانشطرت شطرين أحدهما فى شمال فلسطين وعرفت بمملكه إسرائيل وعاصمتها السامرة.. والأخرى فى الجنوب وتدعى مملكه يهوذا.. وكانت عاصمتها القدس «أورشليم».

فى مملكة إسرائيل:

عاشت تلك المملكة حوالى قرنين من الزمان.. غير أن تأثيرها كان متوازياً مع ثقلها العقائدى والسياسى.. فقد سيطرت على تلك المملكة مظاهر الترف الوثنى والانحلال الخلقى حتى وصل الأمر إلى ذروته على عهد الملك أخاب.

ومن سفر الملوك الأول ننقل:

«..وضع أخاب بن عمرى الشر أمام عينى الرب أكثر من جميع من تقدمه ولم يكفه أن يسير فى خطايا» يربعام بن نباط مؤسس مملكه إسرائيل فتزوج إيزابيل بنت ابتعل ملك صيدا.. ومضى فعبد البعل «إله الفينيقيين الوثنى» وسجد له.. وأقام مذبحاً للبعل فى بيت البعل الذى بناه بالسامرة.. وأقام أخاب غابة «للطقوس الوثنية».. وزاد أخاب فى إسخاط الرب إله إسرائيل على جميع من تقدمه من ملوك إسرائيل»

الاصحاح ١٦ .. الآية ٣٠: ٣٣

فى فترة الملك أخاب ظهر نبى من أنبياء إسرائيل هو إلياس.. أو «إيليا النشبى».

وراح النبى إيليا – من جديد– يدعو إلى الله وسط جو سائد من الكفر والشذوذ.. فلم يطعه أحد ولم يستجب له.. ومن المنطقى أن ينظر الملك أخاب

إلى هدا النبى نظرة كلها شك وريبة.. وإسقاط وعداء.. فاعتبره عنصر قلق وثورة وفقط!!.. وينتهى أمر ذلك النبى عند القوم- بارتفاعه إلى السماء بمركبة نارية وخيل نارية..!!

ويبقى مانسجه النساجون حول النبى إيليا فهو يمثل مساحة خاصة فى الفكر اليهودى.. وهم يدعون بأنه ينزل من السماء ليلا فى أعياد معينة ليترك لكل يهودى لعبة أو هدية!!..

وعند المتصوفين اليهود يحتل النبى ايليا مكانة المهدى المنتظر.. لذا يعيش أتباعه على أمل نزوله من السماء.. وهم على اقتناع أن نزوله إنما للقضاء على أعداء إسرائيل وجمع شمل اليهود فى فلسطين.. وهؤلاء المتصوفون اليهود يرفضون الصهيونية الحديثة فهم لا يرون أى وجهة شبه بين النبى ايلياس.. وبين هيرتزل.. أو حاييم وايزمان.

انتهت دولة إسرائيل هذه سنه ٧٢٠ ق.م على يد الامبراطور الآشورى سلما نصر حيث طردهم وشردهم ومزقهم شر ممزق.

فى مملكه يهوذا:

هى المملكه الجنوبية- اتصلت فيها أسرة النبى داود الحاكمة..

تفشى فى تلك المملكة هى الأخرى الكفر والفسوق والعصيان.. وقام فيهم أنبياؤهم يعظونهم ويهدونهم سواء السبيل.. ولا سميع ولامجيب..

وصف النبى اشعيا قوم هذه المملكه على ايامه فقال:

«يابنى الساحرة.. بانسل الفاسق والزانية.. بمن تسخرون؟!.. وعلى من تفغرون أفواهكم وتدلون ألسنتكم؟!.. ألستم أولاد المعصية؟! ونسل الزور.. المتوجهين إلى الأصنام تحت كل شجره خضراء.. الذابحين أولادهم فى الوديان

تحت كهوف الصخر.. حجارة الوادى نصيبك .. لها سكبت السكيب وأحرقت القربان «قائلة» .. أعن هذا سألوا؟.. على جبل عالٍ شامخ جعلت مضجعك .. إلى هنا أيضا صعدت لتذبحى الذبائح..»

أصحاح ا شعيا ٥٧ آيه ٣:٧

أما نبيهم أرميا فقد أقسط فى وصفهم فأوفى.. فقال :

«إن شعبى سفيه.. إنهم لايعرفوننى !!.. إنما هم أبناء حمقى لا فهم لهم.. هم أذكياء فى الشر ولا دراية لهم بالخير» .

أرميا ٤٠ الآية ٢٢

نعم .. كم اتعب اليهود انبياؤهم؟!.. وكم نالوا من جراء ذلك.

حطم بختضر الكلدانى أورشيلم عاصمة يهوذا ودمرها واحرقها وأخذ كل من يصلح من اليهود أسرى إلى بابل سنه ٥٨٦ ق.م تلك الفترة التى تعرف فى التاريخ بالسبى البابلى.

ويبدو أن نهاية يهوذا كانت الدافع النفسى لاعتناق اليهود فكرة المسيح المنتظر.. وتنبع تلك الفكرة وأهميتها من خلال منظورها من نفس مكسورة مهزومة.. لا من منظورها الإيمانى البحت.. فقد تنادت تلك الفكرة أن هذا المسيح هو المكلف بإعادة شعب الله المختار إلى أرض فلسطين مرة أخرى واقامة مملكة السموات على الأرض.. إلى أخره.

رغم ذلك كله لما جاء المسيح عيسى بن مريم بعد تلك الأهازيج بنحو خمسمائة عام كفروا به وأنكروه وكذبوه.. بل وتآمروا على قتله!!.. كل هذا لأنه

لم يكن صهيونيا فى توجهه الدينى.. بل كان مثل النبى أشعيا ينادى بعالمية الدين للناس كافة.

تحت الحكم الفارسى.

دامت فترة السبى البابلى حوالى سبعين عاما.. وذكرت تلك الفترة فى أشعار التاريخ فى الكتاب المقدس تفصيلا.. غزوة يختنصر لملكة يهوذا «نبوكد نصر».. هدم أورشيلم وتحطيم هيكل سليمان.. وإبادة الكثير منهم حتى لم يبق سوى سبى أو شريد..

كانت نهاية تلك الفترة فى القرن السادس ق.م. إثر وعد يشبه إلى حد كبير وعد بلفور.. وكانت وسيلة اليهود إلى ذلك المال والنساء.. وتم تسجيل ذلك كله فى كتاب القوم المقدس.

أقام الكتاب نصبا تذكاريا لأخلاق اليهود وطرائقهم كاشفا لغيرهم عن سوءاتهم وسبلهم فى تنفيذ أهدافهم فقد سجل فى جملة أشعاره سفراً خاصا هو «سفر استير».. اشاد فيه بأمرأة يهودية جميلة- استغل جمالها رجل يهودى فى خدمه قضية بنى جنسه أثناء سبى بابل.. فقدمها إلى حارس النساء فى بيت الملك الفارسى.. الذى قدمها بدوره إلى الملك لتختبر كغيرها من العذارى اللائى يوضعن تحت الاختبار من المساء إلى الصباح.. «فأحبها الملك ونالت حظوته».. وجعلها ملكة مكان الملكة السابقة التى فارقها.. فلما استهوت الملك احتالت حتى قضت على عدو اليهود فى فارس.. ثم استدرت عطف الملك على بنى جنسها.. فرد إليهم حريتهم.. وسمح لهم بالعودة إلى فلسطين.. وأمر بمعاونتهم ومساعدتهم.

تلك اليهودية هى المدعوة ياستير.. وسفر استير هو خاتمة أسفار المجلد الأول من الكتاب المقدس.. العهد القديم.. ص٨١٢: ٨٢٦.

من الأمور الواجب الإشارة إليها أن الحركات اليهودية السياسية كانت متوجهة وهادفه إلى التجمعات العقائدية اليهودية لتميزها.. ورغم أن العرب الكنعانيين كانوا يتعايشون مع تلك الحركات بإيجابية فإنهم لم يتعرضوا لاضطهاد موجه كما تعرض له اليهود.. حيث قامت الحركات السياسية نتيجة انفراد اليهود بعقيده متشعبة.. وفهم خاص.

تحت الحكم اليونانى

استولى القائد المقدونى العظيم الإسكندر الأكبر على فلسطين ضمن ما فتح من مستعمرات فارس فى الشرق الأوسط وذلك فى سنة ٣٢٢ ق.م. ودخل الإسكندر القدس فخرج إليه اليهود فرحين داعين إلى أن يخلصهم من نير الفرس وطغيانهم!!.. جاحدين فضل الفرس عليهم. هكذا يكون جزاء سنمار.. بل هكذا هى السياسة.

بعد وفاة الإسكندر الأكبر أضحت فلسطين ملتقى طوائف وشعوب يغلب عليها الطابع الفلسطينى الأصلى.. يشهد بذلك ويثبته النصوص اليهودية ذاتها من الموراش «تفسير الكتاب المقدس» .. والمشنا «الشريعة الشفوية.. والتلمود.»

أغلب القصص والروايات التى ملأت تلك الكتب تثبت وتشير إلى استمرارية وسيادة العنصر العربى على تلك البقعة.

ثم.. عندما آل الأمر إلى السلوقيين- خلفاء الاسكندر الأكبر- أعطوا لليهود حرية خاصة فى إقامة شعائرهم الدينية.. الأمر الذى بعث فيهم- مرة أخرى- نظرتهم الذاتية وتطلعاتهم الصهيونية فقامت الثورات.. وتوالت الحروب حتى كانت سنة ١٤٠ ق.م. حيث نجح اليهود فى اعتراف السلوقيين بحريتهم فى تأدية شعائرهم الخاصة.

رغم ذلك كله فقد استمر الأمر بين ثورة وفورة حتى صار الأمر إلى الرومان.

تحت الحكم الرومانى:

احتل الرومان فلسطين سنه ٦٣ ق.م. فمارسوا رقابة مشددة وعنفاً على أمراء اليهود وعلمائهم وكان الرومان فى البداية يصرحون لليهود بحرية العبادة الأمر الذى سمح لهم بالتآمر على دعوه سيدنا عيسى عليه السلام حتى طالبوا القوات الرومانية بصلبه سنه ٣٣م.

رغم ذلك فقد ثار اليهود سنه ٧٠ م.. فتصدى لهم القائد الرومانى «تيتوس» فدمر أورشليم.. وأحرق المعبد.. وأقام مكانه معبداً للاله جوبيتر.. وقتل عدداً كبيراً من اليهود.. وأسر الآلاف.. وأرسل المئات منهم إلى مصر ليعملوا فى مناجمها مدى الحياة.. وباع الأطفال والنساء فى مختلف أسواق الأمبراطورية الرومانية وبأبخس الأسعار وتشرد اليهود فى بقاع الأرض خاصة فى الجزيرة ومصر وبلاد ما بين النهرين وبرقة وغيرها.. وتعددت الثورات وكانت دائما تبوء بالفشل مما حدا بأحبار اليهود إلى التفرغ لكتابة الكتب الدينية .. فكان التلمود البابلى.. والفلسطينى. وتكفى الإشارة إلى الأمر الامبراطورى الذى أصدره «إيليوس هدريان» بقتل أى يهودى يعثر عليه فى فلسطين.. الأمر الذى يشير إلى مدى قسوة الرومان تجاه الثورات اليهودية المتعددة.

وبعد تنصر الرومان فى القرن الرابع الميلادى.. اشتدت وطأه الرومان باليهود لغدرهم بالسيد المسيح.. فحرمت عليهم مدينة القدس أورشليم.. وفى عصر «دقلديانوس» ٢٨٤: ٣٧٠م. اصبحت القدس مدينة مسيحية خالصة وأصبحت اليهودية بدعة اعتناقها جريمة.. وصار مكان الهيكل قمامة تجمع فيها القاذورات من المدينة .. إلى خارجها.

وفى القرن الرابع الميلادى تم عقد صلح بين الكنيسة.. والدوله الرومانية نص على اعتبار اليهودية العدو الأول للمسيحية عقائديا وسياسيا.. وصدرت مجموعة من القوانين تسمى بقوانين قسطنطين.. منها القرار التالى.. فى ١٨ اكتوبر سنه ٣١٥م.

«ليعلم اليهود عامة أنه بعد صدور هذا القانون يعاقب كل يهودى يتعرض ليهودى أخر ترك ملته إلى المسيحية بالإعدام حرقا هو ومن يعاونه أو يحرضه.. ويعاقب بنفس العقوبة كل مسيحى منحرف أو أى فرد من أفراد الشعب يعتنق اليهودية الدنيئة.»

ليس هذا فحسب.. بل لقد حرم جستنيان على اليهود إقامة الصلوات وقراءة التوراة بالعبرية وطالبهم باستخدام الترجمة اليونانية.

ظل الأمر على هذا المنوال حتى ظهور الملك الفارسى «خسر والثانى» والذى أنقض على أملاك الروم ونجح فى فتح أورسليم.. فاشترك اليهود مع الفرس وساندوهم فى التنكيل بالمسيحيين.. فخربوا الأديرة والكنائس ومارسوا الضغوط على المسيحيين حتى اضطروا عدداً كبيرا منهم على الردة واعتناق اليهودية- ثم وكما هى العادة خانوا الفرس وعارضوهم وحاولوا الثورة عليهم الأمر الذى دفع القائد الفارسى إلى التنكيل بهم وسبى عددا كبيرا منهم وإرسالهم إلى فارس. على أرض أخرى سارع اليهود بالتودد إلى القيصر «هيرقليدس» وحثوه على استرداد القدس والانتقام من الفرس.. ولما أنتصر هيرقليدس ولمس منهجهم ثأر للمسحيين من اليهود ونكل بهم ومزقهم شر ممزق.

أشار القرآن الكريم إلى تلك الحوادث وتقلب موازيين القوى بين العملاقين المتنافسين على أرض فلسطين وقبل سنين من استقرارها على يد هيرقليدس.

قال تعالى: «**ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد، ويؤمئذ يفرح المؤمنون**»(١)

وفى سنه ٤٣٩م. صدر تشريع بعدم جواز تقلد اليهودى لأية مناصب أو أنواط شرف أو تقلد أى عمل يتصل بالإدارة والدفاع.

أما فى فارس.. فقد لاقت بقايا اليهود من العنت والاضطهاد ما يشيب له رأس الوليد على يد يزدجرد الثانى سنه ٤٣٨م.. وبتحريض من مزدك.. فأغلق معابدهم ومعاهدهم وطاردهم ومزقهم واضطهدهم.

وهكذا كانت سيرة اليهود وخطوطها العريضة طوال فترة التاريخ.. حتى جاء الإسلام.



تختلف النظرة للتاريخ المدون وتحليل حوادثها باختلاف زوايا المناولة.. وهوى المحللين.. غير أن أهم ما استخلصه العلماء المختصون من التاريخ هو خصائص المجتمعات والجماعات الانسانية المميزة على مر التاريخ.. وحوادث الزمان.. بل لقد أصبح ذلك من العلوم الهامة خاصة بعد تطور واتساع علم النفس.

وتحليل تاريخ ومواقف اليهود وسيرتهم عبر الزمان يمكن أن يوضح محاور أساسية فى نفسيتهم وتركيبهم النفسى الأمر الذى يمكن تفسيره ايديولوجيا وإيمانيا.. فشكل من ثم منهاجهم العملى والسياسى فى مواجهة طموحاتهم وآمالهم..

الأمر الذى لابد من إيضاحه هو أن سيرة اليهود عبر مراحل التاريخ تشير إلى نوع من الاقتناع والإيمان بمنهاج لم تعد اسراره بخافية عن القارىء..

---

(١) الآيات ١-٤ سورة الروم.

تكفى نظرة على التملود والذى يعد أخطر وثيقة ضد الإنسان والانسانية. إذ أنه يدعو إلى تحطيم كل العقائد والقيم الإنسانية والحضارات عدا اليهودية.. ويدعو فى نفس الوقت إلى هدف أساسى وهو إقامة مجتمع عالمى صهيونى يسيطر على مقدرات الشعوب والأمم. أما منهاج التلمود من أجل ذلك الهدف فهو يستحل جميع الوسائل الممكنة من الغش والقوة والسلب والخداع والكذب والخيانة.. كما يستبيح من أجله دماء وأموال وأجناس غير اليهود.. فهم فى نظرهم فى منزله الحيوانات أو حتى أقل.. ولم يخلقهم المولى سوى لخدمة اليهود.

فهل يفسر ذلك كله منهاج وسيرة اليهود التاريخية؟!

وهل تغير ذلك المنهاج حتى أيامنا هذه؟!

تسمح شريعة التلمود لليهودى أن يتلون كيفما يشاء تقية وخداعاً.. وليفعل ما يشاء فى مقابل هدفه «فالإنسان مهما كان شريرا فى الباطن وأصلح ظواهره يخلص». يفسر مفهوم ذلك البند قدرة اليهود على التعايش مع القوى العالمية على مر العصور.. كما يفسر أيضا خيانتهم المتكررة لكل من أزروهم وساندوهم.

كما تسمح شريعة التلمود لليهودى أن يتلون كيفما يشاء ويؤكد استعلاء اليهودى وتفوقه. البشرى من منطلق امتيازه وخاصيته الذاتية على بقية الشعوب.. ويوضح ذلك نظرتهم لما دونهم من الجماعات الإنسانية الأخرى.. فهم الشعب الذى اختاره الله دون بقية الشعوب للهداية وأرواحهم تتميز من ثم عن باقى الأرواح «بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده.. ومن ثم كانت ارواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الارواح.. لأن الأرواح غير اليهودية ارواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات».

«وقد خلق الله الأجنبى «غير اليهودى» على هيئة الإنسان ليكون لائقا بخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم».

ونستطيع أن نؤكد أن التلمود نجح وإلى حد كبير فى تجسيد الانعزالية اليهودية.. وخاصيتهم الذاتية.. والتأكيد على نظرتهم تجاه غير ملتهم.. وحقهم فى خيرات الأرض ونظرتهم لثروات غيرهم على أساس أنهم هم البشر المستحقون للخيرات فى هذا العالم.. دونا عن غيرهم.

«إن الله لايغفر ذنبا ليهودى يرد للأمى ماله المفقود»

«غير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى الإبربا ».

«إتيان زوجات الآخرين جائز.. لأن المرأة الغير يهوديه كبهيمة.. ولاعقد مع البهائم»

«من رأى أحد الأميين يقع فى حفرة لزم أن يسدها بحجر».

«مصرح لليهودى أن يغش غير اليهودى ويحلف له أيمانا كاذبة».

«سرقة مال غير اليهودى استرداد لأموال اليهود من سالبيها»

«محرم على اليهودى أن ينجى أحداً من باقى الأمم من هلاك أو يخرجه من حفره وقع فيها»

والوصيته الجامعة:

«اهدم كل قائم.. لوث كل طاهر.. احرق كل أخضر - كى تنفع يهوديا بفلس»

«اقتلوا جميع من فى المدن من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف»

«العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات كل يوم»

ليس هذا فحسب.. بل يذكر التلمود أن هدم الهيكل وتشريد بنى إسرائيل كان خطأ ارتكبه الله!!.. واعترف به وندم عليه وحاول التكفير عنه بتخصيص ثلاثه ارباع الليل للبكاء والندم. (١)

(١) ولا حول ولا قوة إلا بالله .. فنقل الكفر ليس بكفر.

ألا يفسر كل ذلك منهاج اليهود وأيديولوجيتهم السياسية عبر مراحل الزمان الطويل؟

بل وسنزيد الأمر وضوحاً.

يقول عالم النفس «الإسرائيلى چورچ تامارين»:

«إن الصراع داخل المجتمع الإسرائيلى يكشف عن نفسه فى التناقض الجذرى بين أنصار الاتجاهات التى تميل إلى صياغة إسرائيل باعتبارها «جيتو» بالمعنى المادى والروحى للكلمة.. وهؤلاء الذين يجاهدون لإقامة مجتمع حر مفتوح.. هذا التعارض الجوهرى بالإضافة إلى الخلاف بين انصارالتكامل مع الحضارة الإنسانية المعاصرة أو الانعزال والبعد عنها.. قد جعل اسرائيل قلعة عسكرية حصينة بالنسبة إلى جيرانها العرب وقد ادى إلى عزل إسرائيل حضاريا وتحويلها إلى جيتو كبير تسوده اتجاهات حضارية انعزاليه ورجعية تنمو فيها الأفكار العنصرية .

وكانت النتيجة قطع اواصر الاتصال بين الشباب الإسرائيلى والعالم.. مما ساعد على سيادة مشاعر مرضية إزاء أى نقد يوجه إلى الممارسة السياسية والاجتماعية فى إسرائيل».

وقد أجرى ذلك العالم الاسرائيلى دراسة ميدانية بين شباب المدارس الثانوية جاء فيها:

«إن فتاة من مستعمرة «معوتشد» كتبت: « لقد تصرف يوشع بن نون تصرفا حسناً بقتله جميع الناس فى أريحا ذلك لأنه كان من الضرورى احتلال البلاد كلها ولم يكن لديه وقت لإضاعته مع الأسرى».

وكتب تلميذ فى الصف الثامن:

«فى رأيى يجب على جيشنا فى القرية العربية أن يتصرف مثل يوشع بن نون لأن العرب هم أعداؤنا حتى فى الأسر- ستجدهم يفتشون عن وسيلة ليبطشوا بحراسهم».

أما عالم النفس اليهودى المعروف روبنشتين فيقرر:

«إن الإسرائيليين كأفراد يتسمون باتجاهات شك عميق الجذور تجاه الآخرين.. وهو يقرر أن تقسيم العالم بين اليهود - وغير اليهود مكون أساسي من مكونات الشخصية اليهودية.. وأن صورة غير اليهودى تحتل وضعا مركزيا فى ذهن اليهودى.. ومازال وضع الحدود بين اليهود وعالم غير اليهود له تأثير قوى غلاب فى إسرائيل - بل أصبح الشك فى الوجود الإسرائيلى سمة مميزة»..

وشهد شاهد منهم .. وعليهم

كان من اللازم الإشارة إلى تلك الخاصية اليهودية النفسية والايديولوجيه حيث أنها تشكل المنهاج الأساسى لمواقف اليهود السياسية عبر التاريخ.. وهو هو نفس منهاج تعايشهم مع الدولة الإسلامية فى عهد الدعوة.. وهو نفس المنهاج الذى يحدد نظرتهم وبشكل أساسى لأول القبلتين.. وثالث الحرمين بيت المقدس الشريف.

٢ -
قدس تحت راية الإسلام

من التاريخ المتفق عليه بين معظم الأطراف يستطيع الباحث المدقق وبسهولة أن يتيقن من أن منطقه فلسطين عامة.. والقدس بوجه خاص كانت محوراً ومسرحاً لصراع طويل بين أطراف عدة متباينة.. بين الكنعانيين والآشوريين والمصريين ،والفرس.. ثم الرومانيين.

كان هذا الصراع يمثل صراعاً بين قوى العالم وتياراته على تلك البقعة الاستراتيجة والمغصليه الهامة من جهة .. كما كان يمثل أيضا - محور صراع عقائدى علي تباينه من جهة أخرى، وعلى مساحة طويلة من الزمان . كانت القاعدة الشعبية فى تلك الأحوال تميل إلي جانب السكان الأصلين من كنعانين عرب .. حتي علي عهد النبى داود .. ،والنبى سليمان كانت القاعدة الشعبية الغالبة لملكة اليهود من الفلسطينيين .. غير أنا لا ننكر أن توالى الغزوات والفتوحات من أقوى دول العالم على تلك المنطقة ترك بصمامته .. وأضحت البلاد مصباً للعقائد والحضارات التى توالت عليها من آرامية هيلينيه .. أو بيزنطية .. أو فارسيه أو مصرية .. لكن الخلفية السكانية لكل تلك المؤثرات كانت ولا شك امتداداً صابراً للأصل الكعنانى العربى .

أما من زواية اليهود العبريين فلا يستطيع أحدا أن ينكر أو يقلل من أثرهم غير أن أهم ما ميز تلك الطائفة كانت النزعة الدينية السماوية وقيمتها بين أيديولوجيات ذلك العصر .. وكذا تفاعل اليهود مع أيديولوجيتهم والذى ميزهم بنزعات تسلطية .. وطموحات رئاسية .. ومن ثم كان تأثرهم بتلك الغزوات أكبر من غيرهم لنموهم وتفردهم الذاتى والايمانى .. الأمر الذى يفسر ما أصابهم من تمزق واستبداد .. وهكذا أجبر اليهود علي هجرات متتابعة واسعة .. لم يكن للكنعانيين نصيب مثلهم ..

هذا التباين يشير أيضا – فيما يشير – إلي طبيعة التركيبة النفسية عند كلا الطرفين .. فقد تميز اليهود دون شك عن غيرهم من طوائف الساميين بالسياسة والدهاء .. وتحكم فى منهجهم نظرة عدوانية إسقاطية لما دونهم .. أكدتها تعاليمهم العقائدية السرية والتى نضجت نتيجة لمصائبهم المتتالية فى صراعاتهم التى لم تنقطع عبر التاريخ .. وهذا عكس التركيبة العربية الأصيلة التى تقوم فى مجملها علي التسامح والعفو ..

كنتيجة مباشرة للغزو البابلى – ثم الرومانى .. فقد أصاب القدس العربية الفلسطينية ما أصابها من تخريب وتدمير أتى عليها تماما كما أسلفنا .. كما أصاب الشعب اليهودى التمزق والتفتت والذى تجسد فى صورة هجرات جماعية عديدة استقرت بطبيعة الحال فى البلاد المجاورة لفلسطين أساساً .. مثل شمال الجزيرة العربية والتى استقر فيها جموع عديدة من بطون مثل يهود بنى قريظة – ويهود بنى فينقاع .. وبنى النضير .. وبنى المصطلق وغيرهم .. وتجمع الروايات علي أن هؤلاء المهاجرين اليهود وجدوا الأمن والسلام والأخوة بين القبائل العربية .. فجادت عليهم بالأخوة والرضا حتي اكتسبوا العربية وأصبحوا يتكلمونها كأهلها .. وصار منهم الشعراء والخطباء والحكماء بعد أن اكتسبوا من الطبيعة العربية الأصيلة بعض خصالها .. فنعموا بالحرية المفقودة .. والرجولة واكتسبوا بعضاً من طبائع الفطرة العربية

الموروثة والسائدة فى قبائل الجزيرة العربية .

كان اليهود يشتغلون فى شمال الجزيزة بالزراعة وتربية الماشية وأنشأوا لهم مزارع فى خيبر وتيماء ووادى القري .. كما اشتغلوا بالتجارة ونبغوا فيها وأصبحوا من أغني الطوائف وأقواها .. غير أن صفاتهم وموازينهم كانت ولابد أن تتأثر بعقائدهم التى لم يفلح حتى أنبياؤهم فى تهذيبها وتقويمها خاصة بعد أن استقروا وأصبح لهم كيانهم الذاتى .. فكانت معاملاتهم بالربا .. وأكلوا فلوس الناس ظلماً وبغياً .. كما أنهم اشتهروا بصناعة آلات الحرب آنذاك مثل السيوف والدروع والآلات الحديدية وغيرها .

أما الهجرات التى وصلت أقصي جنوب الجزيرة - اليمن - فقد وصلت إليها فى العصر الحميرى الثانى ٣٠٠ : ٢٥٢ م .. واستطاع اليهود أن ينشروا عقائدهم فى أرض اليمن الخصيب فاعتنق اليهودية بنى حمير .. وبطون أخري من كنانة وكنده وبنى الحارث .. حيث وجد هؤلاء العرب فى اليهودية ما يجمع شتاتهم فى وجه المطامع الحبشية .. وخوفا من سيطرة الدولة الرومانية الشرقية المسيحية .. بل صارت اليهودية - آنذاك - تمثل الروح القومية .. ومثل هذا الوضع كان ينذر بصراع لا مفر منه .. وقد كان .. فقد انفجر الصراع عندما أعمل يهود اليمن القتل والسلب والنهب بمسيحيى نجران سنة ٥٢٣ م .. فسارع من استطاع الهرب من المسيحيين بطلب النجدة من الإمبراطور جستين الأول ٥١٨ : ٥٢٧ م .. والذى سارع بدوره فطلب من ملك الحبشة المسيحى أن يضع حداً لعدوان يهود اليمن على المسيحيين فى نجران فأرسل «أبرهة» الذى استطاع أن يهزم «دانواس» اليهودى سنة ٥٢٥ م - وسقطت دولة الحمير اليهودية فى أيدي الأحباش وقضى المسيحيون بدورهم علي آثار الدولة اليهودية الدينية والسياسية فى تلك المنطقة .. غير أن بعضاً منهم استطاع أن يفر إلى شمال الجزيرة .. أو بلاد فارس .

أما فى العـراق .. فقد استـقر فيـها اليهود منذ عـهد السـبى البـابلى .. بل لقد اهتبلها اليهود فرصة العمر فى تلك البقعة العربية الأصيلة المتسامحة فبدا فكر اليهود العقائدى فى الازدهار وبقوة الأمـر الذى عبر عن نفسه فى فكر المشنا .. والتلمود .. وغيـرها من مـدارس الفكر اليـهـودى وظهـر علمـاء يهـود بارزون اسـسوا مـدارس عـقـائدية جذبت إليهم عـدداً من تلامـيـذ الفكر اليـهودى – قـد يفسر كل ذلك حـقيـقة أن اليـهود كانوا الذراع الأيمن لكورش ملك الفرس فى غزوة لمصر والسيطرة عليها كما أشرنا من قبل .

وفى منطقـة وسط الجزيرة .. كانـت هـجرة الأوس والخزرج إلى يثـرب ومكه وغيـرها أمراً يمكن قـبوله وتفهـمه للمـتتبع لأسـهم هـجرة اليـهود فى ذلك العصـر.

فى تلك المنطقة المركـزية أخى العرب – كعادتهم – بينهم وبـين اليهود .. هـذا فى حين أن اليهـود رسـموا استـراتـيجيتهم علـي أساس الفرقة بين أحـياء العرب وقـبائلهـا العـديدة .. فـقد رأوا فى ذلك المنهـاج حـيثـية وجودهـم وضـمـان أمنهم فأوقـعوا بين الغـساسـنة العـرب فى الشـمال وبين عرب الأوس والخـزرج .. وقام اليـهـود بمحـالفـة كل فـريق ضـد الأخـر .. وكـانت ذروة العـداوة يوم «بعـاث» المشـهورة فى التاريخ .

ظل الأمر على هذا الحال حتى بدء البعثة المحمدية الخـالدة .

★★★

كان اليـهود يتـوقعـون ظهور نبى يحـمل رسالة جـديدة خاتمة وكـاملة (١) .. وعندمـا بدأت أخبـار الدعوة المحـمدية أخـذوا يتـتبـعون أحـداثها .. ووقـفوا منهـا

---

(١) وفى هذا يقول الله تعالى فى محكم تنزيله «واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك . قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون .. الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون». الآيتان ١٥٦ ـ ١٥٧ سورة الأعراف.

بداية موقف المتطلع والمدقق قبل أن يميلوا معها .. أو عليها .

جاء أحبار اليهود النضر بن الحارث .. وعقبة بن أبى معيط يسألون فى وسيلة لإحراج النبى محمد (ص) .. وتقييم دعواه .. فقال الأحبار :

«سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول وما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجب .. وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها بم كانت نبوءته .. وسلوه عن الروح .. ما هى ؟! .. فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبى.. وأن لم يفعل فهو رجل مقتول فاصنعوا به ما بدا لكم» .

ونزل قرآن المولى عز وجل فى ذلك .. ورغم ذلك ازداد اليهود غلوا وكبرا . وفى مكة .. قبل الهجرة .. حدثت واقعة الإسراء والمعراج .. ونزل قوله تعالى :

«سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من أياتنا ؛ إنه هو السميع البصير» (١).

فى ذلك الوقت كان المكان المحدد بأسوار الحرم القدسى الشريف مخصصاً لعبادة الله سبحانه وتعالى .. وكان هو نفس المكان الذى صلى فيه الرسول (ص) برسل الله وهو أيضا نفس المكان الذى وقع فيه الإسراء بأشرف الخلق (ص) ومنه بدأ معراجه إلي السموات العلى.

فى تلك الليلة المباركة فرضت الصلاة علي خاتم النبيين والمرسلين .. أى أنه لم يكن هناك المسجد الأقصي ببنائه ورسمه .. ولا مسجد الصخرة المشرفة .. ولا سائر الأبنية المنتشرة فى ساحة المسجد الأقصي الموجودة الآن .. ورغم ذلك فقد سُمى المكان فى الآية الشريفة بالمسجد .. وهو ما يطلق على مكان العبادة لله عز وجل فى أى صورة كانت ..

بينما كان الإسراء من مكة إلي المسجد الأقصي .. فإن المعراج كان من

(١) سورة الإسراء ـ الأية الأولى.

المسجد الأقصي إلى السموات العلا أى أن المسجد الأقصى كان مركزاً لتلك المعجزتين الخالدتين .

والرحلتان المعجزتان ترتبطان ارتباطا وثيقاً برسالات الله جميعا إلى عباده وخلقه .. غير أنهما تكتسبان أهمية خاصة من ناحية الإسلام فقد وقعتا تثبيتاً لرسول الله (صلى) وتعضيداً له .. فقد وقعتا فى وقت عصيب من تاريخ الدعوة المحمدية حيث بلغ اليأس من رسول الله (صلى) فى إيمان قريش واستجابتهم له مبلغه .. فاتجه النبى الكريم إلي ربه .. ودعاه خاشعا متضرعاً «اللهم أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس .. اللهم يا أرحم الراحمين .. أنت رب المستضعفين وأنت ربى .. إلي من تكلنى .. إلى بعيد يتجهمنى أو إلي عدو ملكته أمري .. إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى .. ولكن عافيتك هى أوسع لى.. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخره من أن تنزل بى غضبك أو يحل بى سخطك .. لك العتبى حتى ترض ولا حول ولا قوة إلا بك»

والمسجد الحرام إن كان أول بيت وضع للناس فإن المسجد الأقصى هو ثانى مسجد على الأرض .. الأول بناه أبو الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام .. والثانى بناه يعقوب ثم جده داود .. وأتمه سليمان عليهم السلام ..

فى الصحيحين .. عن أبى ذر رض الله عنه قال :

«سألت رسول الله (ص) عن أول مسجد وضع علي الأرض فقال المسجد الحرام .. قلت : ثم أى ؟ قال : المجسد الأقصى . قلت : وكم بينهما ؟ .. قال : أربعون عاماً .. ثم لك الأرض مسجداً فحيثما أدركتك الصلاة فصل فيه فإن الفضل فيه .»

إما فى الإسراء .. فقد مر الرسول المصطفى (ص) بالبقعة المباركة التى كلم الله فيها موسي عليه السلام وهى «طور سيناء» .. فصلي بها ركعتين بالبقعة

.. المباركة ثم مر بالبقعة المباركة التى ولد فيها عيسى عليه السلام وهى «بيتم لحم» فصلى بها أيضا ركعتين .. وفى بيت المقدس وجد رسول الله (ص) الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى فى جمع من الأنبياء والرسل فصلى بهم جميعا ثم عرج بمفرده إلي السماء فرأى من آيات ربه الكبرى ما شاء له الله أن يرى من أسراره.. كما رأى الأنبياء جميعا مرة أخرى.. ثم رأى أنواعاً وأطوافاً من بنى البشر من صالحين وطغاة .. ورأى الجنة والنار ..

فى السنة النبوية ذكر كل ذلك بإسهاب وتفصيل .

تلك الإشارة المختصرة تؤكد ارتباط الإسلام كعقيدة ببيت المقدس الشريف ارتباطا زادته أحداث التاريخ ومرور الزمن ارتباطا وتوثيقا .

★★★

كان المسلمون فى مستهل حياتهم العقيدية يصلون .. ولم تكن صلاتهم إذ ذاك إلا اتجاها إلي الله فى دعاء وتوسل وخشوع .. ولم تكن لهذه الصلاة أوقات معينة ولا طقوس خاصة ولم تكن تتعدى ابتهالات ورجوات يرفع بها المسلون أكف الضراعة إلي الله .. فالله فى كل مكان لا تحده جهة .. ولا تحصره أمكنة.

قال تعالى : «ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله».(١)

كان الرسول بادىء الهجرة وقبل بناء مسجده الأول يتجه فى صلاته إلي الكعبة قبلة إبراهيم ثم أمر بعد الهجرة فاتجه إلي المسجد الأقصى .. وظل يصلى فى هذا الاتجاه قرابة عام وبعض عام .

اتجه الرسول الكريم إلى المسجد الأقصى عزوفا عما كان فى مكة من أصنام وتفاديا من اشتراكه فى الاتجاه إليها مع المشركين .. وتألفا لليهود وتسهيلاً لإجابتهم دعوته من جهة أخرى .

(١) سورة البقرة ـ الآية ١١٥.

لكن اليهود وقفوا من الرسول موقف الإنكار والدنس .. وأخذوا يزهون عليه وعلي المسلمين بأن اتجاههم إلي قبلتهم هو اعتراف ضمنى بأنهم علي الهدى .. وبأن النبى والمسلمون إنما يقتبسون الهدى منهم .. ومن ثم فإن الأولى أن يتبعوا اليهود ويندمجوا معهم .. لا العكس ....حز ذلك فى نفس النبى (ص) وأنبثقت فيه أمنية التحول عن سمت المسجد الأقصى .. وظل الرسول يتشوق ويتطلع إلى أن تتجه القبلة إلى قبلة أبيه إبراهيم .. إلي الكعبة .. كان الرسول يتوقع – كما يقول الزمخشرى –

«كان يتوقع من ربه أن يحوله إلي الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم وأدعى للعرب إلي الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود» .. فكان (ص) يراعى نزول جبريل والوحى بالتحويل» .

ونزل الوحى مطابقا لحالة محمد (ص) ونفسيته وأمنيته:

« **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**» س البقرة ١٤٤

وهنا توجه رسول (ص) فى قبلته إلى البيت الحرام.

حينئذحاول اليهود أن يتخذوا مما حدث سببا فى إنكار إيمانهم بخاتم النبيين – فقالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذى ننتظره!!

ونزل قول المولى تبارك وتعالى: «ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم، ومابعضهم بتابع قبله بعض» س. البقرة ١٤٥

رأى اليهود فى هذا التحول ضربة شديدة وجهها النبى المصطفى (ص) إلى

مكانتهم الدينية .. فنشطوا فى الدس واللجاج وتشكيك المسلمين فى قيمة ما حدث ..

فقالوا : إذا كان سمت المسجد الأقصى غير حق فقد أضاع النبى عبادة الذين حصلوا إليه ؛ وإذا كان حقا فلا معنى له فتكون الصلاة إلي الكعبة ضائعة!!

وقالوا : لو أن أفعال النبى كانت مستندة إلي وحى ربانى لما نسخ اليوم ما كان يفعله بالأمس !!

ونزل قوله عز وجل :

«سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلي صراط مستقيم» س . البقرة ١٤٢ .

وقال : «وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب علي عقبيه» س . البقرة ١٤٣ .

وهكذا .. توضح الآيات الكريمة أن استقبال بيت المقدس كان أمراً عارضاً وكانت لهدف امتحان الناس إيمانياً فمن يتبع الرسول وممن يعرض عنه .. فهو امتحان يسبر به المولى غور المؤمن وعمق إيمانه .. كما يكشف ضحالة يقين الجاحد .

وكان تحرك اليهود فى ذلك الامتحان .. فقد ذهب حيى بن أخطب وأصحابه من اليهود إلي المسلمين وقالوا : أخبرونا عن صلاتكم إلي بيت المقدس .. إن كانت علي هدي فقد تحولتم عنه .. وإن كانت علي ضلالة فقد دنتم لله بها مدة.. ومن مات عليها فقد مات علي ضلاله !! .

فقال المسلمون : إنما الهدي فيما أمر الله .. والضلالة فيما نهى عنه ..

قالوا : فما شهادتكم علي من مات منكم علي قبلتنا .. وقد مات قبل أن تحول القبلة إلي الكعبة (سعد بن زرارة من بنى النجار – والبراء بن معرور من بنى سلمة .. ورجال آخرون !! .

فأنطلقت عشائرهم إلي النبى (ص) فقالوا : يا رسول الله .. قد صرفك الله إلي ملة إبراهيم فكيف بأخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلي بيت المقدس .

فأنزل المولي عز وجل حكمه : «**وما كان الله ليضيع إيمانكم**» سورة **البقرة** ١٤٣.

أى صلاتكم إلي بيت المقدس .. قبل تحويل القبلة .

أما عن موقف اليهود ودسائسهم من منطلق المبدأ فيقره المولي عز وجل فى محكم تنزليه :

«**سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها – قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلي صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ..**» سورة البقرة ١٤٢ ـ ١٤٣.

كانت تلك المقابلات فى بداية الدعوة المحمدية .. غير أنها أشارت وحددت بوجه عام أخلاق اليهود وصفاتهم وعاداتهم واخلاقهم وحسدهم ودسائسهم وعدم إخلاصهم فى محبة أو وفاء.(١)

بعد الهجرة .. وبعد أن حل رسول الله (ص) بالمدينة .. أطلق المصطفى (ص) الحرية الدينية لأهل الكتاب يهوداً كانوا أم نصارى علي حد سواء .. بل لقد سارع النبى الكريم بعقد العهود مع اليهود وأكد فيها علي المحافظة علي عقيدتهم وحريتهم .. وأرواحهم وأملاكهم ..

---

(١) – فلنسترجع ذلك بدا.

كان يهود المدينة عدة بطون .. بنو القينقاع فى وسطها .. وبنو قريظة فى جنوبها – ويهود خيبر فى شمال المدينة .. وكان بين اليهود وجيرانهم العرب عقوداً ومعاهدات حتي قبل البعثة المحمدية .. وكانوا آنذاك يبشرون بمبعث نبى يستفتحون به علي العرب أنفسهم !! .

كان العهد بين النبى واليهود ينص على أن اليهود :

« .. يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .. وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين .. لليهود دينهم وللمسليمن دينهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ «يهلك» إلا نفسه وأهل بيته ؛ وإن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف .. وأن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ؛ وأن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ؟ وأن البر دون الأثم «أى أن البر والوفاء يحجز ويمنع الأثم» .. وأن بطانة يهود كأنفسهم .. وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم .. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ؟ ... وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم .. وأن النصر للمظلوم وأن الجار كالنفس.. وأن من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينه إلا من ظلم وأثم وأن الله جار لمن بر وأتقى ...إلخ»(١) .

رغم ذلك فبعد قليل من تلك المعاهدة تطير اليهود من شواهد عدة تشير إلي احتمال رسوخ قدم النبى وانتشار دعوته واجتماع شمل الأوس والخزرج تحت لوائه بعد ذلك العداء الدموي الطويل والذى كان سببا فى ترسيخ أقدام اليهود بالمدينة .

وفى ذلك ينزل الله حكمه وقدره فهو العليم بأسرار النفوس وكوامنها :

«يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم

(١) يرجع إلي النص الحرفي الكامل لهذا العهد في كتاب سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٧٥ .

أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا، وإذا خلو عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط» س . آل عمران ١١٨ ـ ١٢٠ .

الآيات السابقة تفصل فى الأمر .. وبطريقة نهائية .. وتحدد أسس النظر وكيفية التعامل مع اليهود من ثم حيث إنها تصور بدقة بالغة نفسية اليهود وتركيبتها الفاسدة .. وتفضح كوامن صدورهم وحقيقة شعورهم تجاه المسلمين .. هذا لمن وعى واتقى .

وكان ولابد من حوادث ووقائع تثبت مصداقية حكم المولى عز وجل .

فى الوقت الذى كان رسول الله (ص) يحاورهم ويعاملهم طمعاً فى إيمانهم أكثر من غيرهم من طوائف المشركين .. فهم أولاً وقبل كل شىء أهل كتاب .. وأهل علم وأصحاب عقل ومنطق نري أن روح الحقد والبغضاء أعمت بصيرتهم عن الحق .. ووضح كل ذلك فى مواقفهم من المواقع الفاصلة للمسلمين. فى غزوة بدر انتصر المسلمون علي المشركين من قريش .. فظهر جزع اليهود كأشد ما يكون حين بلغهم نبأ هزيمة قريش .. فذلك النصر يبشر بعلو كعب المسلمين .. وقوتهم الناشئة .

لم يتمالك الشاعر اليهودى كعب بن الأشرف نفسه فقال : هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من مظهرها ..

بل لقد سارع الرجل .. فقطع الطريق بين مكه والمدينة وأخذ يرسل قصائده يهجوا فيها محمداً ويؤلب عليه .. ويشيد فى المقابل بقريش وحلفائها .. بل أخذ يجرح نساء المسلمين ويلغ فى أعراضهن فى إسفاف وقحة وتبذل .. وأباح

المصطفي دم ذلك اليهودى .

وأسرع محمد بن ملسمة .. وصديقه أبو نائلة فقتلاه .

رغم ذلك كله ومعناه على ضوء المعاهدة المكتوبة يذهب رسول الله (ص) إلي يهود بنى قينفاع وجمعهم بسوق المدينة .. فقال لهم : يا معشر اليهود .. احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا .. فإنكم قد علمتم أنى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم ...

وفى صلف وحماقة رد اليهود فقالوا : يا محمد .. إنك تري إنا قومك .. لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة .. إنا والله إن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

وأخيراً حملت الكلمات النيات ظاهرة واضحة ..

وينزل قول المولى حاسماً ومحذراً اليهود: **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلي جنهم وبئس المهاد.. قد كان لكم آية فى فئتين التقتا .. فئة تقاتل فى سبيل الله وأخري كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء أن فى ذلك لعبرة لأولي الأبصار» سورة آل عمران ١٣ .**

ورغم ذلك كله لم يتحرش بهم المصطفي (ص) لكنهم «يهود بنى قينقاع» لم يكفوا عن التحرش بالمسلمين والإثارة والاستفزاز والتطاول .. واستمر الأمر على تحفز حتى نزل أمر المولى :

«واما تخافن من قوم خيانة فانبز إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين». سورة الأنفال ٥٨.

وعلى الفور نبذ محمد (ص) إلي يهود بنى قينقاع عهدهم .. وتحلل من ارتباطه معهم .

رغم تصاعد الموقف بين الفريقين وحساسيته .. ففى ذات يوم حاول صائغ يهودى أن يسخر وأن يعتدى علي كرامة امرأة مسلمة فى سوق الصياغة بالمدينة .. فاستغاثت المرأة .. فوثب رجل مسلم علي الصائغ فقتله .. فتجمع اليهود علي الرجل المسلم فقتلوه .

وتنادى المسلمون إلي القتال ..

خرج المسلمون وحاصروا يهود بنى قينقاع خمسة عشر يوماً لم يخرج منهم أحداً من ديارهم .. ولم يدخل إليهم أحداً بمدد أوسلاح .. ولم تجرؤ القبائل اليهودية الأخري فى المدينة أن تمد لهم يد العون .. فتوارت يهود بنى النضير .. واختفت يهود بنى قريظة .. وعندما بات الأمر إلي صدام محقق سارع يهود بنى قينقاع بالاستسلام .. وطالبوا رسول الله (ص) أن يخلي سبيلهم نظير أن يرحلوا إلي الشام وجلوا من المدينة آخذين معهم نساؤهم وأبناؤهم تاركين سلاحهم وعتادهم .. فقبل رسول الله (ص) عرضهم وتركهم يرحلون إلي الشام حيث نزلوا بقرية إذرعات علي حدود الشام ..

ونزل حكم المولى فى ذلك :

: «إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون.. الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لايتقون.. فأما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون.. وأما تخافن من قوم خيانه فأنبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين» .سورة الأنفال ٥٥ ـ ٥٨

تلك الإشارة المختصرة لموقف يهود بنى قينقاع من البعثه المحمدية فى مهدها أشرنا إليها لنوضح وجهة نظرهم تجاه المسلمين رغم ما بينهم من عهود،، فذلك أصل من أصولهم .. ومحور فى أخلاقهم على طول الزمان

فى سنة ٧٦٠ م ظهر فى بغداد عالم يهودى ... حاخام وابن حاخام يدعى «عنان بن داوود» . رأى الرجل أن فريقا من المسلمين – من المعتزلة خاصة – رفضوا الاعتماد علي الحديث النبوى الشريف كمصدر من مصادر التشريع وراوا أن القرآن الكريم وحده كافيا لتنظيم حياة البشر . أعجب الحاخام عنان بن داوود بهذه الفكرة .. وحاول تطبيقها فى عقيدته اليهودية – ومن ثم نادي الرجل بأن ما جاء فى الروايات الشرعية الشفوية اليهودية «المشنا .. والتلمود» باطل وأن المعول الأساسى فى الديانة اليهودية يجب أن يعتمد على «أسفار العهد القديم» والتى تعتبر فى نظر علماء اليهود الوثيقة الوحيدة المكتوبة .. والتى يقرأونها فى عباداتهم ومن أجل تعليمهم ويسمونها المقرا .. أى الشريعة المقروءة .

حازت دعوة عنان بن داوود نجاحاً كبيراً .. واتبعه أنصار كثرون تركوا التلمود وأهملوا قدسيته .. وهكذا ظهرت طائفة اليهود «القراءون» .. والتى راحت تعارض الطائفة التقليدية التى تنتسب إلي الشريعة التلمودية وتسمي «الربانيين» أو «الربيين» .. واستمر هذا الجدل يزداد حدة وشده حتي بعد وفاة عنان .

غير أنه– وعلى الجانب الاخر– كان حاخام بغداد الاكبر وزعيم «الربانيين» من أفذاذ العلماء وكان يدعى سعديا سيدين يوسف النيوصى.. انبرى هذا الحاخام يجادل القرائين ويدافع عن تقاليده الشرعية والموروثة مستعملا فى ذلك اللغة العربية الفصحى.. وألف بها كتابا اسماه «كتاب الديانات» والاعتقادات » حذافيه هذا الحاخام حذو علماء المسلمين فى التأليف فى علم العقائد.. ثم لم يلبث إلا وفكر فى برنامج إصلاحى شامل أساسه الفهم الواضح لآيات الكتاب المقدس، وكان منهاجه فى ذلك ينقسم إلى شقين: الأول: أنه ترجم هذا الكتاب المقدس إلى العربية.. وكتب عليه تفسيرين بنفس اللغة

العربية أحدهما مختصر.. والثانى مطول وذلك حتى يعى اليهود- والذين كانت اللغة العبرية قد ماتت بينهم - معانى الكتاب المقدس وأسراره.

- والمنهج الثانى : هو تقوية اللغة العبرية ذاتها.. فألف فى قواعدها باللغة العربية ايضا كتابا ضخماً اسماه «كتاب اللغة» .. كما ألف شرحاً بالعربية للألفاظ النادرة الصعبة فى الكتاب المقدس والتى لم تستعمل فيه إلا مرة واحدة.. وسماه «تفسير السبعين لفظة المفردة».. كما ألف أناشيد وقصائد وأدعية باللغة العبرية للتلاوة فى المعابد عند الصلاة وفى الأعياد فى محاولة جادة لربط اليهود بعبريتهم.

مات سعديا هذا فى بغداد سنه ٩٤٢م. وبموته بدأت الحركة الفكرية اليهودية فى المشرق العربى الاسلامى تنكمش ولتحل محلها حركة أكثر بهاء وأقوى اتصالا بالفكر العربى فى بلاد إفريقيه والأندلس.. فقد بدأ اليهود يهتمون بإحياء اللغة العبرية والتراث اليهودى متخذين سنة العرب فى الحفاظ والعناية بلغة القرآن منهاجاً وسبيلا.

كان من المحتم ظهور علماء فى العبرية اليهودية كأعلام لذلك التيار منهم على سبيل المثال:-

أبو سليمان داوود بن ابراهيم الفاسى. وهو من طائفة «القرائين» ظهر فى القرن العاشر الميلادى اللغوى .. وألف مجمعا ضخما للغة العبرية مشروحاً بالعربية سماه بالعبرية «الأجرون».. وبالعربية» «جامع الألفاظ».. كما ظهر بعده من طائفة «الربانيين» نحاة ولغويون منهم يهود ابن قويش.. وابو زكريا يحيى بن داوود.. والمشهور بحيوج.. وهو أول من نظم علم الصرف والنحو والاشتقاق فى اللغة العبرية على نمط اللغة العربية الفصحى.. وأعقبه من علماء العبرية: مناجم بن سروق.. ودو نشر بن البرط.. وفى القرن الثانى عشر الميلادى ظهر على مسرح الأحداث إمام نحو العبرية ولغوييها على

الأطلاق أبو الوليد مروان بن جناح القرطبى.. وكان معاصراً للامام احمد بن حزم.

كان من الطبيعى إذاً أن تظهر نهضة أدبية شامخة بعد قرون من الجدب الفكرى.. فبدأ اليهود يكتبون الشعر بالعبرية وعلى اوزان البحور العربية المعروفة.. واشتهر من بينهم يهودا اللاوى.. وموسى بن عزرا.. وإبراهيم بن عزرا.. وسليمان بن جبيرول.. وصمويل النجيد المعروف عند العرب بابن النفرالى.. وغيرهم.

وظهر فى الأدب العبرى فن المقامات والمسجوعة والتى تحاكى مقامات الحريرى.. وبديع الزمان الهمذانى.. واشتهر فى هذا المضمار يهودا بن سليمان الحريرى المتوفى سنة ١٢٣٠م.

هذا.. عدا ما ظهر من كتب الحكمة والفلسفة والعلوم.. وما ترجمه اليهود إلى لغتهم العبرية من آثار الفكر العربى.. وما ألفوه من كتب الرحلات والأسفار والتى من أشهرها «رحلة بنيامين النطيلى الأندلسى».. وكتب الشريعة اليهودية.. وفلسفة العقائد .. وغيرها..

كما نبغ اليهود فى الطب.. وبنسبة ملحوظة مثل الطبيب المشهور موسى بن ميمون.

.. وهكذا..

وفى الاندلس:

تمتع اليهود بحرية أكبر فى الجناح الغربى للأمة الإسلامية المترامية.. فانتشروا فى جميع ميادين الزراعة والصناعة والمال والمناصب العامة.. ثم إنهم سرعان ما لبسوا ثياب العرب.. وتكلموا لغتهم . واعتادوا عاداتهم.

كان «حسداى بن شيروط» اليهودى هو المنوط باستقبال سفراء الدول الذين كانوا يغدون على البلاط الأموى فى عهد عبد الرحمن الناصر.

وبسبب الحرية الدينية والعلمية والتى تمتعوا بها جعلوا ينشئون المجامع العلمية فى قرطبة وطليطلة وبرشلونة وغرناطة وغيرها.

وفى وقت من الأوقات صارت حرفة الطب وفنونه وقفاً عليهم تقريباً.

وفى اشبيلية دعا المعتمد بن عباد إلى بلاطه «إسحق بن بروك» العالم الفلكى .. ومنحه لقب أمير وجعله حاخام كل المجامع اليهودية.

وفى غرناطة صار «شمويل هلاوى بن نجرله » وزيراً يهوديا فى دوله الإسلام.. ولما مات خلفه ابنه يوسف نجرله.. المدهش فى الأمر حقاً أن ذلك الابن كان من طبعه الكبر والغطرسة والتعصب ليهوديته من منطلق كونه وزيراً لدولة إسلامية !! تجرأ ذلك اليوسف فقال فى القرآن ساخراً مستخفاً!! وثار سكان البلاد وسلبوه وذبحوا أربعة آلاف يهودى فى غرناطة - بل وارغم الباقون على مغادرة البلاد،

ولما كان عهد «المرابطين» ضيق الزعماء على اليهود،، وجاء «الموحدون» فخيروهم بين الإسلام وبين الخروج من البلاد.. فخرج الكثيرون.. وتظاهرت البقية بالاسلام.

يرجع السر فى قسوة المرابطين والموحدين إلى أنهما دولتان قامتا على انقاض فساد وتآمر وانهزامية فى صفوف المسلمين.. وتسلل نصرانى يهودى فى عروق الدولة وفى اجهزتها الإدارية الرئيسية.. وكأنما اليهود أحسوا بأن السفينة تغرق فعملوا لإغراقها لتكون لهم الحظوة فى دولة الأسبان.

- فكان رد فعل المرابطين والموحدين طبيعيا.

وفى مصر .. أدى تعريب الدواوين إلى انتشار اللغة العربية بن أهل الذمة.. واصبح الجميع يتكلموت لغة واحدة.. الأمر الذى أدى إلى وحدة اجتماعية وتقارب فكرى بين جماعات الأمة.

كان من الطبيعى من ثم أن ينتشر الإسلام بين أهل الكتاب على نطاق واسع.. وكان الأمر باهراً فى العصر الطولونى.. أما فى العصر الإخشيدى فقد كان لليهود محاكمهم الخاصة.. وبلغ عدد الذميين فى العصر الفاطمى خمسة ملايين نسمة.. الأمر الذى يشير إلى الاستقرار والطمأنينة التى تمتع بها اليهود خاصة فى ذلك العصر. حتى أنهم استطاعوا أن يصلوا إلى مقاليد كثيرة من مقاليد البلاد فقد تولى ابن سعيد التترى اليهودى – مثلا – نظارة الخاصة لأم المستنصر الخليفة.

كان الأمر ملموسا حتى للعامة– حتى قال فيهم الشاعر:

يهود هذا الزمان قد بلغوا ... غاية أمالهم وقدملكوا

العز فيهم والمال عندهم... ومنهم المستشار والملك

يا أهل مصر إنى نصحت لكم... تهودوا – قد تهود الملك

لم تكتف الدولة الفاطمية بحرية اليهود اللامحدودة وإباحة ممارسة شعائرهم الدينية. بل لقد شاركت الدولة فى أعيادهم الدينيه بإغلاق الدواوين وإقامة الاحتفالات وتوزيع الهدايا والحلوى وغيرها.

حتى على عصر الدوله الايوبية.. توسط طبيب صلاح الدين اليهودى «موسى بن ميمون» ١١٣٥:١٢٠٤م فتدفق اليهود من بلدان أوروبا على مصر وفلسطين .. وحتى فى خاصية صلاح الدين وظل بيته عومل اليهود معاملة خاصة.. وتلقوا كل حماية ممكنة.

وجاء العثمانيون فلم يختلف الأمر - فقد فتح العثمانيون لليهود أبواب الوظائف الحكومية والمهن الحرة حتى وصلوا إلى أعلى مراتب الدولة.. فكان أكثر أطباء سلاطين آل عثمان من اليهود.. وصارت لليهود المزارع والمتاجر والمصانع .. وكثرت دور العبادة اليهودية.. بل وزحفوا إلى البلقان التى سبق أن طردتهم فاستعادوا وجودهم فى قلب أوروبا مرة أخرى .

لم يكن ذلك النتاج العبرى فى الشرق والغرب العربيين الإسلاميين إلا نتيجة مباشرة لما أظهره الحكم العربى من حرية وأمن وتسامح تجاه اليهود رغم كل تاريخهم،، لكن ذلك كله أدى إلى ابتعاث الذات اليهودية الخالصة والتى ماكانت لتجرؤ على العبث بأمن تلك الدولة الإسلامية القومية فى ذلك الوقت..

- لم يكن اليهود ينتظرون سوى فترة الضعف حتى يظهروا للعرب المسلمين جزاء سنمار، فرغم كل ذلك كان موقف المسلمين على اختلافهم يمثل التزاماً بعهد عمر تجاه القدس فقد سجل التاريخ أنه حتى عام ١٢٦٧م . لم يكن بالقدس إلا أخوين يهوديين.

وفى صيف ١٣٣٧م، توطنت بالقدس طائفة صغيره تشتغل بالصياغة.

وخلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر تراوح عددهم بين ٢٥٠ : ١٥٠٠ نسمة.

★★★

أوروبا واليهود.. الوجه الاخر.

من اللازم توضيح موقف أوروبا المسيحية المتزامن من اليهود.. فى مقابل التسامح الطيب للمسلمين تجاههم. الأمر الذين يجب تفسيره وتحليله.

الأمر المتفق عليه أن الإسلام أعطى يعطى لأهل الكتاب ذمة وحماية ورعايه لاشك فيها.. غير أن هناك فرقاً واضحاً بين حرية الذمة لأهل الكتاب .. وبين تقاعس المسلمين وثقتهم - أوجهلهم - باليهود خاصة مع وضوح استراتيجيتهم وسياستهم خلال تاريخهم الطويل الملىء بالإشارات والعبر،

من ناحية المبدأ فإن المولى عز وجل ينهى عن ولاية أو مساعدة وتمكين أهل الكتاب من أصحاب الذمة لرقاب المسلمين - وارتيادهم المراتب الرفيعة فى دولتهم.

قال تعالى: « **يا ايها الذين أمنو الا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم اكبر**» سورة آل عمران ١١٩.

والآيات بنفس المعنى كثيرة عديدة تعد بعشرات العشرات.. الأمر الذى يشير إلى أهميته الاستراتيجية من الزواية العقائدية.. وتشير أيضا إلى علم المولى عز وجل بنفسيه المسلمين المتسامحه والمحبة لغيرها من أهل الذمة.. وما يحمله ذلك من اخطار.

ولا جدال فالخلط بين حق الذمة لأهل الكتاب.. وبين تمكينهم للمناصب الرفيعة والحاسة لأمن الدولة الإسلامية له أبعاد فى ازمة العرب الأمنية.. والمستقبلية ايضا.

أما المجتمع المسيحى الأوروبى فكان أكثر حساسية وابعد تفهما لأبعاد ذلك الاتجاه الاقتصادى والسياسى. فلم يسمح لليهود خاصة بالاستقرار والطمأنينه على مدار حقبة طويلة من الزمان.. ولايمكن إرجاع ذلك النهج السياسى إلى المبدأ الإسلامى الذى حددته الآية الكريمة المشار إليها قدر ما يمكن إرجاعه إلى ما تميز به اليهود من اتجاه خاص على مدار تاريخهم المعروف.. ومن ثم فقد كان موقف أوروبا المسيحية لا يعدو رد فعل تجاه

تآمرات اليهود الخبيثه.. خاصة بعد موقفهم من السيد المسيح عليه السلام.. وأمه مريم البتول.. وأيضا بعد ما لمسته أوروبا المسيحية من اخلاق اليهود ومؤامراتهم.

وهكذا - ما برحت الإمارات المسيحية الأوروبية الأولى فى ملاحقة اليهود ومطاردتهم والتضييق عليهم ونبذهم.

أما البعثة الأوروبية المسيحية فقد كان تفاعلها مع الدولة الإسلامية عنيفا وفى صورة حروب صليبية أيديولوجية واستعمارية طويلة ومتتالية - عانى من ويلاتها المسلمون- وأيضا المسيحيون .. لكن تلك البعثة تركت بصماتها وبصورة أوضح على اليهود فى أوروبا.

عندما سقطت القدس تحت براثن الصليبيين انقض المسيحيون يذبحون من يهود المشرق والمدن المجاورة بالآلاف.. وقد قدر عد اليهود الذين ذبحوا فى المدينة المقدسة عند فتحها من المسلمين واليهود بحوالى سبعين ألفا!!! ثم إن الصليبيين قاموا بطرد ماتبقى من اليهود ومصادرة أموالهم.. بل ويضيف بعض المؤرخين أن الصليبيين قد استعدوا «لواجبهم المقدس» خلال مسيرتهم عبر اوروبا بذبح اليهود فى كل مدينة يمرون بها.. وإحراق بيوتهم.

وفى أواخر القرن الثانى عشر أصدر الملك فيليب أوجست ملك فرنسا مرسوماً ملكيا بطرد اليهود من جميع أنحاء مملكته!!

وفى عام ١٢١٥م.. أصدر البابا الكاثوليكى إنوسنت الثالث مرسوماً شرعيا يحتم فيه على اليهود أن يضعوا شارات على ملابسهم تميزهم وتشير إلى أنهم يهود.. كى يكونوا موضع معامله سيئة من المسيحيين الأغلبية.

وفى عام ١٢٩٠م يقضى الإنجليز على اليهود بالنفى من مملكتهم.

وفى عامى ١٣٤٨/١٣٤٩م. ينتشر الموت الاسود «الطاعون» فى اوروبا

وبصورة وبائية عامة.. فلم يتردد المسيحيون واتهموا اليهود بأنهم السبب فى ذلك وأنهم قد سمموا مجارى المياه فاشتدت حملة القتل والتشريد ضد اليهود فى أوروبا كلها.. ثم سرت عدوى كالهشيم بين ممالك أوروبا المسيحية تجاه اليهود.. وبلغ الاضطهاد المسيحى أشده تجاه اليهود فى أسبانيا والبرتغال خاصة فى العقد الأخير من القرن الخامس عشر الميلادى .. بل شمل الاضطهاد المسيحى حتى الفكر العقائدى.. فقد انتشرت فى أوروبا فكره مصادرة الكتب اليهودية وإحراقها فى الميادين العامة وسط احتفالات شعبيه عارمة.

حدث ذلك بصوره واضحة فى مونيلييه.. وباريس وغيرهما.

كان من اللازم وسط هذا الجور المشبع بالكراهية والحقد أن يعمد المسيحيون إلى التشهير باليهود.. فأشاعوا عنهم أنهم يسفكون دم المسيحيين لأغراض دينية خاصة بهم كأن يعجنوا بدم مسيحى خبز عيد الفصح.. وهكذا..

يقول المؤرخ اليهودى «الفرنسى» جول إيزاك إنه كان من المألوف إذا طلب طفل يهودى فى المدرسة من طفل مسيحى أن يلعب معه أن يرد عليه الطفل المسيحى قائلا: «كلا إنكم قتلتم المسيح..»

.. والمؤرخ اليهودى يشير إلى مدى الكراهية المسيحية لليهود ومدى تأصلها وتمكنها من الأوروبيين حتى أنهم ارضعوها أبنائهم رغبة فى الثأر من اليهود.

لذا.. يروى المؤرخ نفسه مايثبت ذلك فيقول:

«إن أسرة مسيحية إيطالية كانت تحذر ابنها بقولها له: «إياك أن تعرف سكان الدور الأول اليهود.. أو تدخل شقتهم وإلا خطفوك وذبحوك كما فعلوا بالمسيح».

أما الألمان.. فقد تفننوا فى تعذيب اليهود والنيل منهم فكانوا يجردونهم من ملابسهم.. ويخزونهم بالشوك .. ثم يسوقونهم جماعات إلى حفر يحشرونهم فيها ثم يغطونهم بالخطب ويشعلون النار فى ذلك المزيج.

هذا.. كما قامت الكنيسة بتحريم طعام اليهودى على المسيحى.. ولم يكن يسمح لليهود بفتح أبواب مساكنهم أو نوافذهم كما لم يكن يجوز لهم السير فى الطرقات فى أيام الاعياد المسيحية.. وكان على اليهودى أن يغطى رأسه بقبعة مدببه من أعلي تميزا له وتحقيرا.

ظل اليهود فى أوروبا عرضة للامتهان والتقتيل والحرق حتى جاء فريدريش الثالث ١٤٤٠/١٤٩٣م. فشعر بعبء الضائقة المالية التى تعانيها البلاد لأسباب عدة.. فأعلن حمايته لليهود ومنع التعرض لهم طمعا فى تأييدهم المالى.. بل ومنحهم كثيرا من الأمن غير أنه مالبث أن وجد طفلا لم يتجاوز الثامنة قتيلا بايطاليا سنه ١٤٤٥م.. واتهم اليهود بقتله.. فانقض عليهم المسيحيون تقتيلا وتنكيلا وتشريدا.

وفى أسبانيا.. أصدر فرديناند وإيزابيلا فى ٣١ مارس سنه ١٤٩٣م مرسومهما الشهير والذى يعد وبحق مرسوم الوحشية والهمجية والقسوة.. فقد أباحا دماء المسلمين واليهود حتى هام اليهود على وجوههم تاركين وراءهم ما يملكون ويحملون خوفا على أرواحهم.

أما فى المانيا.. وفى عام ١٨١٩م ظهرت على سطح الأحداث جمعية «هب هب» المشهورة والتى رفعت شعار العداء لليهودية منهاجا وشريعة.. وقامت باعمال إرهابيه هائلة ضد اليهود وفى عام ١٨٨١ م.. كانت رائحة الدخان تنتشر من البحر الأسود إلى بحر البلطيق إذ قام المسيحيون بحرق اليهود علنا جهاراً نهاراً مع كتبهم وبيوتهم وكل مايملكون.

كان ذلك منذ مايقرب من مائة عام فقط!!.

يقول توينبى:« لقد أصدر مجمع طليطلة الكنسى المنعقد بأمر من الملكة إيفيكا سنه ٦٩٤م :« جميع اليهود يعتبرون عبيداً لأسيادهم المسيحيين وعلى هؤلاء الأسياد أن يمنعوا اليهود من ممارسة أى طقس من طقوسهم الدينية وتصادر جميع أموال اليهود لصالح خزانه الدولة.. وينتزع منهم أولادهم بعد بلوغهم السابعة من عمرهم ويربون تربية مسيحية» .. وما كل ذلك سوى إشارة.

وأين كل هذا من موقف الفاروق عمر عندما دخل القدس فاتحاً،، وما كان منه تجاه البطريرك المسيحى صفر ونيوس عندما أراد الصلاة؟!

سؤال بثير العجب والدهشة.. قبل أن يثير العقل ذاته والفطنة.

إلى هذا الحد بلغ بطش المسيحيين باليهود فى أوروبا.. بل وقد يطول بنا المقام لو تعقبنا مظاهر عمليات الاضطهاد والقهر الأوروبى المسيحى لليهود فى أنحاء أوروبا كلها فى العصور الوسطى وأثناء البعثة المسيحية.

من الطبيعى أن يلحظ الباحث المدقق أن أسهم حركات الهجرة اليهودية من أوروبا فى ذلك الوقت كانت أساسا فى اتجاهين.. إلى الشمال أو إلى الشرق العربى الإسلامى.



تناقض واضح

من السهولة لمس البون الشاسع بين مالقى اليهود فى المجتمع الإسلامى من عهد للذمة وحقوق فرضها لهم الإسلام ذاته.. وبين ما لاقاه اليهود فى المجتمع الأوروبى المسيحى.

يقف الباحث الفرنسى اليهودى «أندريه شوراقى» مندهشا متعجبا أمام هذا التباين الواضح فكتب وقد تملكته الحيرة عن اليهود فى العصور الوسطى فى الشرق والغرب.. فالباحث اليهودى يلمس من فوره حقيقة واقعة تستعصى فى رأيه على التفسير والفهم.. قلب تلك الحقيقه أن المجتمع العربى الإسلامى من ناحية .. والمجتمع الأوروبى المسيحى من ناحية أخرى كانا طرفى نقيض فى موقفيهما من اليهود!! .. وعلى تغير حالات الزمن من قوة وضعف.

فكلما كانت الدولة الإسلامية العربية قوية غنية مهيبة آمنة مستقرة تمتع فيها اليهود بالحرية التامة.. ولم يتعرضوا فيها لأذى أو أى مظهر من مظاهر التعصب العقائدى.

لكن الأمر على نقيضه تماما بالنسبة لأوروبا المسيحية.. فكلما قويت واطمأنت شددت تلك الدول النكير على اليهود.. وأعلنت اضطهاد اليهود.. والعكس صحيح فلم ير اليهود قسوة من المسلمين إلا إذا كان المجتمع الإسلامى نفسه غعككا فقيراً تملؤه المشاكل وتحف به الأخطار. أما فى اوروريا فكان اليهود يرفعون كلما انحل المجتمع وأشرفت الدول على الانهيار.. ولعل القاعدة مازالت صحيحة حتى على أيامنا هذه(١) .. فربما كانت الهزات الاجتماعية والاخلاقية والسياسية التى تفشت فى أمريكا وأوروبا من ناحية الدين هى السبب فيما يتمتع به اليهود من نفوذ لاحد له، الأمر الذى نلاحظة بسهوله من مستقرات حوادث زماننا هذا الذى نعيشه.. ثم لعل ما يقال عن رد الفعل العربى تجاه اليهود الآن إنما يشير بصورة أو بأخرى إلى ضعفهم وافتقادهم السيادة السياسية والهيبة والطمأنينة الذاتية.»

---

(١) يشكك الكاتب فى تلك الموازنة على الفترة الزمنية التى تعبرها خاصة.

غير أن الحقيقة لاتكتمل إلا بإبراز الدور اليهودى المؤثر فى الأحداث.. فقد اختار اليهود لأنفسهم طريقا يعتبر من أقصى الطرق وأشدها غباوة وظلما.. فقد دفعوا عن أنفسهم ظلم أوروبا المسيحية القوية بظلمهم وغبنهم للمشرق العربى.. وهم فى هذا لم ينظروا لأبعد من أقدامهم.. ولم يحسبوا ردة الفعل الإسلامية على المدى الطويل لكل ما فعلوه.. وهى آتية لاريب فيها.

هكذا كان اليهود دوما.. فهكذا هم.. ميكروب العداء... وجرثومة الحقد وفيروس الظلم.. تحوصل المرض فيهم وتمكن منذ آماد.. حتى استعصى على كل طب ودواء

كان مركز التحول فى المسار العالمى لليهود متزامنا مع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م فقد أعطت تلك الثورة لليهود اعداء الأمس جميع الحقوق المنصوص عليها فى وثيقة إعلان حقوق الإنسان.. بل وجعلتهم مواطنين من الدرجة الأولى.. بل ألغت الثورة ذكر الدين ومفاهيمه فى اية وثيقة رسمية.. ومادام الأمر إلى مصالح وفقط.. فالامور فى صالح اليهود ذوى النفوذ السياسى والاقتصادى.. هذا ماحدث .. حتى وإن كان هدف الثورة الفرنسية تسهيل الاندماج للأقليات المختلفة فى المجتمع مع مراعاه حقوقهم.

أما بالنسبة لأوروبا الشرقية.. والتى كانت ملتزمة بالخط المسيحى إلى ابعد مدى فقد قامت وبدورها بدور كبير فى اضطهاد اليهود واحتقارهم.

كان هذا التعارض الواضح والتنافر الدينى المخل هو مالمسه ولاحظه الكاتب الفرنسى البيرلوندر سنه ١٩٢٩م عندما كتب كتابه الذى عالج فيه الصهيونية وهو بعنوان «اليهودى التائه وصل» .. فقال:

«إنه قد لاحظ أن يهود أوروبا الغربية وأمريكا من كبار الرأسماليين هم الأقطاب والمحولين للصهيونية. لكنهم -جميعا- يرفضون رفضا باتا السكن فى فلسطين .. هذا وفى حين أن المادة البشرية والقاعدة السكانية المهاجرة إلى فلسطين تأتى من أوروبا الشرقية!!».

إذا هى.. حرية لليهود فى الغرب.. مع تضييق عليهم فى الشرق.

ربما كان الأمر كله عملية تقسيم للأدوار فى مسرحية فلسطين المنكوبة على حساب العرب المظلومين من جميع الأطراف.. فمن الواضح استمرارية نفس الاستراتيجية و تشكيلها لأحداثنا الكبرى حتى وقتنا الذى نعيشه.

غير أن حساب الحوادث على نفسيات أطراف الصراع المتنازعة وما بذرتها أحداث التاريخ من مفاهيم شكل نفسيات أقطاب الصراع – وعلى أساس أيديولوجى– وبالتالى مواقفهم تجاه بعضهم الآخر وبشكل اكثر تحديدا ووضوحا. .ظهر ذلك كله فى فترة الاستعمار الأوروبى الأول. فى حروبه الصليبية.

القس.. فى الحروب الصليبية

الجيتو.. صورة الاضطهاد الأوروبى لليهود.

كانت للمواقف المسيحية فى أوروبا أثرها فى تشكيل وتحديد الإطار العام للشخصية اليهودية وخصائصها.. ولما كان اليهود يتصرفون على نحو يبعث ويشجع على التنكيل بهم فقد قام الملوك من ناحية والكنيسة من ناحية أخرى يعضدهما الإقطاع الأوروبى بالتضييق على اليهود فى أوجه نشاطهم الاقتصادى والذى امتازوا به.. فحرموا عليهم الزراعة من جهة.. وضيقوا عليهم فى التجارة والصناعة.. وسدوا فى وجوههم منافذ العمل الاقتصادى.. وحتى الاجتماعى.. فقد أفتت الكنيسة فى وقت ما بعدم التعامل مع اليهود بشكل أو بآخر.

وكانت لكل تلك الضغوط أسبابها.. فقد كان لها اثرها أيضا.. فقد حددت وبشكل ملموس مجالات الكسب والعمل بالنسبة لليهود. الأمر الذى دفعهم للعمل والنبوغ فى مجالات اشتهروا بها مثل تجارة الذهب والمجوهرات.. كما تميزوا أيضا بالتعامل بالربا الفاحش.. الأمر الذى صبغ اليهود بصبغة الاستغلال.. وزاد بالتالى من خلق جو من الحقد والعداوة بين اليهود

والمجتمعات الأوروبية التى يعيشون فيها.

ظهر أثر ذلك كله واضحاً وترك بصماته حتى على كتابات وتصوير الكاتب العالمى «شكسبير» حين مثل شخصية اليهودى «شيلوك» فى قصته المعروفة «تاجر البندقية».

كان من آثار ذلك التيار العدائى توجه اليهود وتمركزهم فى ما يشبه المعسكرات المغلقة وسط الشعوب المسيحية الأوروبية.. ففى البندقية مثلا.. كانت «حارة لليهود لها أحكامها وقيود محدده خاصة رمى واضعوها إلى محاوله الحد من جشع اليهود واستغلالهم..» وكانت تلك الحارة تدعى «بورجيتو» أى القرية الصغيرة.

تحور اللفظ بمرور الزمن وتطور اللغة إلى لفظة «جيتو» وتعنى الحى اليهودى.. أو حارة اليهود. بعد فترة من الزمن أضحى نظام الجيتو هذا يهدف لتحديد إقامة اليهود بصفة إجبارية فى حى خاص بهم.. فمنع تجوالهم ليلا فى ذلك الحى.. وأصبحت تلك الأحياء هدفا للتنكيل بها وتدميرها عند أى بادرة سوء تتعلق باليهود أو تلصق بهم.

غير أن هذا النظام الذى رمى إلى تقليم أظافر اليهود.. والذى أظهر فى الوقت نفسه شعور المسيحيين تجاه اليهود أسهم بصورة غير مباشرة فى تشكيل وتلوين الشخصية اليهودية المستقلة فى شكلها المرضى البغيض .. كما ساعد على تماسكها .. حتى انقلب المجتمع اليهودى فى الجيتو يرفض الاندماج بدوره فى أى مجتمع.. بل ويعاديه ضرورة.. ويرمى إلى أن يؤثر فيه ولا يتأثر به.. كما ساعد هذا النظام فى تأصيل المفاهيم اليهودية وزيادة تماسكها بين أفرادها.

غذى ذلك كله مواقف الاضطهادالمسيحى الغربى لليهود حيث نظروا إليهم

كقتلة للمسيح (ع). وكرد فعل طبيعى رفع اليهود شعار المعبد.. والتابوت.. والتوراه والإنجيل.. والكاهن والحاخام كانت صور ذلك التفاعل النفسى هو اتجاه اليهود أنفسهم للسكن فى أحياء معينة خاصة بهم فيما بعد فى البلدان المختلفة.. والتزيى بالزى الوطنى .. والتعامل مع غير اليهود بطريقه معينة.. حتى أن اللغة الوطنية «لغة البلد التى يعيش فيها اليهود» أخذت طابعا معينا وبصمه يهوديه.. رغم تعدد اللغات فى المناطق المختلفة وذلك لإحلال بعض المفردات العبرية أو الآراميه محل مفردات اللغة الوطنية (١)

– وهكذا ظهرت لغة «البيدش» فى شرق أوروبا.. و«اللادنيو» فى غرب أوروبا.. هذا كما حرص اليهود على استمرار اتصال جماعاتهم بعضها ببعض.

وهكذا.. لم يكن اضطهاد «الجيتو» المسيحى لليهود إلا معسكراً تدريبيا طويل الأجل.. اختمر فيه التعصب اليهودى.. وتحولت فيها مركبات النقص إلى نوع من أنواع جنون العظمة ظهر فى خيالات اليهود فى إمكانية سيطرتهم على هذا العالم كله.

كانت انطلاقة اليهود العملية لتحقيق حلمهم المزعوم فى عصر النهضة وبدء عهد الاستعمار العالمى حيث سمحت الظروف والمتغيرات الدولية بحرية حركة اليهود رغم تأثرهم ذاتيا بتلك الحركة.. ونظرا لشدة التصاق اليهود بالمعبد والتوراة والتى شكلت الجيتو فهم اليهود لها.. كانت القدس وبيت المقدس، ومنذ الحركات الاستعمارية الأولى هدفا لليهود.. لكنهما كانا ايضا هدفا للمسيحيين فى ذلك الوقت.



(١) هامش ص٨١ من كتاب «الصهيونيه العالميه وإسرائيل».. الهيئه العامة للكتب القاهرة ١٩٧١

لم يكن بيت المقدس عاصمة للإمبراطورية الإسلامية العربية .. فقد كانت دمشق حاضرة الأمويين.. بينما اتخذ العباسيون بغداد عاصمة لإمبراطوريتهم الإسلامية.

لكن مشاكل مدينة أورشليم كانت داخلية بين الكنائس الشرقية «اليونان الارثوذكس» والغربية اللاتين.. وكانت بطريركية أورشليم مخلصة للأرثوذكسية.. وبعد الفتح الإسلامى انقطعت صله بطريركية أورشليم ببطريركية روما.. والقسطنطينية.. وهكذا أثناء السنوات الأولى للفتح الاسلامى أصبحت الأماكن المقدسة المسيحية فى أورشليم لها طابعها العالمى.. واحترم المسلمون أماكن العبادة المسيحية واليهودية وشجعوا الحج إليها ونظموه.. خاصة أيام هارون الرشيد، وقد جاء فى الخبر أن هارون الرشيد سمح للإمبراطور «شارلمان» بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء.. ثم إنه أعلن عن ناحيته حمايته للحجاج المسيحيين الذين يفدون لزيارة بيت المقدس.

بلغت الدوله العباسية فى اوائل القرن التاسع الميلادى «الثالث الهجرى» قمه زهوها وانتشرت من المحيط الأطلنطى إلى الخليج العربى واواسط آسيا.. ثم بدا الضعف يدب فى الدولة حينما اعتمد الخليفة «المعتصم» العباسى على الترك.. ونقل عاصمة ملكه من بغداد إلى سامراء عام ٨٣٦م.

كذلك كثرت الحركات المذهبية والدينية مثل الحركة الحزمية.. وحركة المعتزلة.. وثورة الزنج فى جنوب العراق «٨٧٧:٨٨٣».. وثورة القرامطة» ٨٩٠م».. كما ظهرت وحدات سياسية مستقلة مثل الدولة السامانية

«٩٧١-٩٩٨» والدولة الزيادية «٩٢٨-١٠٤٧» والدولة الغـــــزنوية «٩٦٢-١١٨٦»م.. والدولة الحـــمـــرانيــه «٩٢٩-١٠٠٣».. والدوله البويهية.. وغيرها.

هذا كما سيطر السامانيون والبويهبون« وهم من أصل فارسى» على شئون الدولة العباسيه واهتموا فقط بالاقاليم الفارسية.. كما استقل الأخشديون بمصر وبجزء من الشام «٩٣٥:٩٦٩م» وهكذا أمام تلك الفوضى التى عصفت بالدولة العباسيه ازدادت إمارات البيزنطيين تماسكا.

وفى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى «١٠٠٧» حدث أمر يستدعى الانتباه.. فقد شاع فى أوروبا أن القيامة سوف تقع فى موعد معين!!.. فتقاطر على أورشليم أعداد لأحصر لها من المسيحيين الأوروبيين يرغبون فى أن تنتهى حياتهم وحياة الناس وهم فى جوار كنيسة السيد المسيح.. فلما انقضى الأجل المضروب ولم تقم القيامة استشاط الحاكم بأمر الله غضباً.. وأمر بطرد المسيحيين الأجانب ونسب لهم النقائص وكان ذلك بتحريض اليهود.

تلك الواقعة تشير إلى أساسيات ذلك العصر.. فالهيمنة على القدس بيد المسلمين .. ومعاملة المسيحيين واليهود تقع تحت سيطرة إسلاميه كاملة. كما أن الفلسفة قد دخلت الديانه المسيحية.. ولم يعد مفر من التفاعل بين تلك الأساسيات.. وهذه التوازنات.

ورغم أن تاريخ كنيسه أورشليم سنه «١٠١٧» يقر بأنه قد : « رفع الحاكم بأمر الله الاضطهاد فجأة والفضل فى ذلك عائد لأمه ماريا.. ولأخته سيدة الملك.. فمنحهم الحرية الدينية وسمح لهم ببناء كنائسهم التى هدمت.. ورد أملاك الأديرة والكنائس إليها.. ولهذا التغيير العجيب قرعت النواقيس» !!! رغم ذلك كله.. فقد كان الأمر مختلفا على الناحية الأخرى.

فى شتاء ١٠٩٥م.. وفى مدينة كليرمون الفرنسية وقف البابا أربان خطيباً فى القوات الصليبية والتى وجهتها الشرق.. وهدفها أورشليم مفتتحا الحملات الصليبية.. فقال كلمات تستوقف العقل قبل السمع والبصر.. قال(١):

«تقدموا إلى بيت المقدس.. انتزعوا تلك الأرض الطاهرة.. احفظوها لأنفسكم فهى تدر سمناً وعسلا!!!!».

«انكم إذا انتصرتم على عدوكم ورثتم ممالك الشرق.. وإن خذلتم فستقضون حيث مات يسوع المسيح .. فتخلدون فى النعيم الدائم».

«إذهبوا إلى القتال.. وسنرتب أموركم وأموالكم فى غيابكم»

ساغفر لكم ذنوبكم وخطاياكم بالقوة التى زودنى الله بها!!!!»

وهكذا بدأت الحروب الصليبية فى ١٠٩٥م

وفى صيف ١٠٩٩م. سقطت القدس.. أورشليم العرب.

ويروى باركر فى كتابه «تراث الإسلام» ما فعله الغزاة من أهوال لمسلمى القدس:

«وأخذت سيوفهم ترتفع وتهوى وتنسحب وتندفع تاركه دماء المسلمين تجرى وجثثهم تهوى.. وحشرجات الموت تؤلف صوتا رهيباً»

«ودخلوا البيوت يمزقون بسيوفهم أجساد النساء ويقطعون الأطفال كما تشرح الدجاجة عند أكلها ويتلذذون بفقء عيون الفتيات الصغيرات.

«وفى الطرقات والمساجد تناثرت الأشلاء وتفجرت الدماء وكانت خيول الظافرين تجوس فى لجج القتلى وسيوفهم تزيدها تمزيقا وتمثيلا»..

---

(١) كتاب: مواقف حاسمه فى تاريخ القومية العربيه.. لمحمد صبيح ص٢١١

نعم مثل ذلك.. وإلى ذلك صار أمر المسلمين فى أورشليم.

ذكر المؤرخ ابن العبدى فى كتابه مختصر الدول ص ١٩٧« ولبث الفرنج فى البلد أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين وقتل بالمسجد الأقصى مايزيد على سبعين ألفا» الملاحظ أن ادعاءات أوروبا بالمسيحية وحججها فى عسباب الحروب الصليبية لم يتناول بشكل اساسى إلا العاطفة المسيحيه ولم تتناد مع العقل.. فقد كان العرب وحسب تعاليم الإسلام أهل سماحة مع المسحيين ولم يكونوا ذوى عصبيه ضد أهل الكتاب منذ فتح عمر القدس.. ووقوع بعض الحوادث الفردية لايمكن رفعها كمنهاج للحكم الإسلامى للقدس أو غيره بأى شكل.

غير أن أهم ما فى الأمر حقا هو أنه رغم شعار الصليبين فى حروبهم تلك فقد رفعت أيضا شعاراً اساسيا هو اضطهادها لليهود كمنهاج وسبيل عقائدى لاشك فيه.. وهو ما عرف بالشعور «اللاسامى» فى أوروبا.. وقام هذا الشعار على أساس أن اليهود هم قتلة السيد المسيح عليه السلام الأمر الذى يفسر مذابح الصليبين لليهود أثناء فتحهم الشام.. وسقوط القدس

أسس الصليبيون فى القدس والبلاد المجاورة لها مملكه لاتينية جعلوا عاصمتها القدس.. واقاموا عليهت أميرا هو جودفرى دوبويون.. فتوجوه فى كنيسة القيامة.. كما دفنوه بها عند موته.

وكانت القدس – ومازالت ذات أهمية استراتيجية من النواحى السياسية والدينيه وايضا التجارية إذ كانت تسيطر على طرق القوافل التجارية التى تربط الشام بمصر.. ولعل ذلك ما أسرع بالمواجهه فلم تنعم مملكه الصليبيين بالراحه والهناء لوقوعها بين أصقاع خاصه بالمسلمين.. ولم تؤثر الحملة الصليبية الأولى على البلاد من ناحية اللغة إذ ظل سكان المنطقة يتكلمون العربيه رغما عن كل شىء كان رد فعل المسلمين أدنى من قيمة الأحداث.. فلم تبد حركات المقاومة لسقوط القدس ما يتناسب مع قيمتها إلا من المصريين

الذين بادروا بحرب الصليبيين فى معارك سريعة متتابعه فكانوا ينتصرون تارة.. وينهزمون أخرى.. وبتفاعل الأحداث ومرور الزمن تحللت معنويات المسلمين حتى عدوا الأمر قضاء مقضيا.. فبادلوا الفرتجة المعاملة والمتاجرة وتمت بينهم علاقات من المودة والمصاهرة.. بل لقد صار الفرتجه عاملا فى صراعات المسلمين بعضهم البعض (١)

ثم كانت بادرة الفرج من حكام السلاجقة فى شمال العراق وبحر قزوين متمثلة فى أميرها عماد الدين زنكى الذى زحف إلى حلب.. وتقدم إلى «الرها» وحاصرها واستولى عليها من الصليبيين بعد معركة رهيبة وحصار استمر شهراً من الزمان.

ثم جاء الدور على الفاتح العظيم صلاح الدين الأيوبى.. ورغم دقه موقف صلاح الدين وقيام بعض المؤمرات ضده فى مصر فقد تمكن من توحيدها وتوجيهها لمحاربة الفرتجة فى فلسطين.

وبدأت معارك التحرير- تحرير القدس الشريف.. وتتابعت.. وانتصر صلاح الدين فى معظم معاركة بعد أن أبدى خبرة وشجاعة أهلته للتكريم.. وعظمته فى التاريخ.

وفتحت القدس أخر الأمر سنة ١١٨٧م. كما سقطت مملكة اورشليم كلها. وأسر أمير أورشليم كما سقطت المدن الهامة فيما بعد عسقلان.. وصور وغيرها.

شهد التاريخ والمؤرخون فى تلك الحروب الدموية بصفات المسلمين الإنسانية ورحمتهم بأعدائهم رغم كل ما فعلوه بأهل تلك المنطقة من المسلمين.. فقد كان هدفهم الواضح نصب أعينهم على الدوام تطهير المسجد الأقصى.. وموقف صلاح الدين من القائد المسيحى بالبان عند فتحه القدس أعظم دليل على ذلك فرغم أن هذا القائد أخلف وعده وحارب المسلمين فى

(١) وما اشبه الليلة بالبارحة.. ولاحول ولا قوة إلا بالله.

القدس وغيرها فقد طلب من صلاح الدين أن يسمح له بانتقال زوجته وأطفاله معه إلى طرابلس.. فلم يلمه صلاح الدين لغدره بل أرسل خمسين فارسا لحراسة زوجته وتوصيلها إلى غايتها!!.. كما أصدر القائد الشهم أوامره بعدم الاعتداء على المسيحيين أو إرهابهم.. كما أطلق صراح الأسرى منهم .. وسرى عن نسائهم اللائى فقدن أولياؤهن فى هذه الحروب..

ولاشك فى أن معاملة صلاح اللدين للغزاة عند فتح القدس كانت نقطة وضاءة فى تاريخ الفتوحات اظهرت عظمة الإسلام وروحه النقية وعمق تسامحه.. فى مقابل معامله المسيحيين والتى اتسمت بكل آيات النذالة والجبن.

ثم اتجه صلاح الدين إلى المسجد الأقصى فأزال الآثار المسيحية.. وأعاده إلى سيرته الأولى وأمر بصنع منبر له .. ثم اتجه بعنايته إلى مسجد الصخرة فاصلح من شأنها ورتب آثارها.. غير أن صلاح الدين رفض أن يلمس فى المقابل كنيسه القيامة بسوء حفاظا على عهد عمر الخطاب.. وإثباتا لأصالة الدين الإسلامى.. واتباعا لتعاليمه وأوامرة تجاه أهل الذمة.

وحتى تكتمل الرواية فصولا فقد لجأ بعض الفقراء المسحيين ممن أطلقهم صلاح الدين إلى إنطاكية فأبى أميرها المسيحى أن يستضيفهم فساروا على وجوهم إلى بلاد المسلمين فقوبلوا بترحاب.. وذهب بعض اللاجئين إلى طرابلس.. فلم يكتف أهلها بطردهم بل نهبوا ممتلكاتهم التى أبقاها لهم المسلمون!!

عندما لمست الطوائف المسيحية والتى تتعلق مصالحها الروحية بالمدينة عمق وتأصل موقف المسلمين تجاه مقدسات أهل الكتاب ومايكنونه من احترام للاديان السماوية كلها نراهم وقد عهدوا إلى علماء المسلمين من أهل القدس بمسئولية الحفاظ على آثارهم بالمدينة المقدسة.. وفى مقدمتها كنيسة القيامة

حتى يضمنوا بذلك حيدة حقيقيه تجنبهم عواقب الخلافات الطائفية المذهبية والتى كثيرا ما انتهت إلى صراعات دموية مؤسفة بينهم.

فمنذ عهد صلاح الدين وقد عهد بمفاتيح كنيسة القيامة إلى عائلتين مسلمتين وهما عائلتى : نسيبه.. وعائله جودة.. ولايزال أحفادهما يحتفظون بهذا الحق إلى الآن فنرى مفاتيح كنيسة القيامة بيد آل جوده.. أما فتح أبوابها وإغلاقها فلم يزل شرفا لآل نسيبة.

وهكذا- كان فتح القدس على أيام عمر سنة ٦٣٦م

واستمرت تحت الحكم الإسلامى حتى سقطت تحت معاول الحروب الصليبيه عام ١٠٩٩م واستردها صلاح الدين سنه ١١٨٧م.. واستمرت تحت الحكم الإسلامى حتى سقطت تحت معاول اليهود فى سنه ١٩٤٨م.

مع ذلك كله.. فقد شهد اليهود أنفسهم بموقف العرب المسلمين تجاه مقدساتهم بأورشليم. الأمر الذى كان على مر العصور فوق أى مثار للشك أو الريبة:-

فى مذكرة مقدمة سنه ١٩٣٨م إلى اللجنة البريطانية لبحث مشروع لجنة Peel لتقسيم فلسطين وهى اللجنة المعروفة باسم لجنة وودهيد Wood bead commission ذكرت الوكالة اليهودية ما فحواه : «أنه ما من شك أن الفتح العربى فى القرن السابع للميلاد قد مثل تقدما مذكورا فى مركز اليهود بالمدينة المقدسة.. وأشارت المذكرة أن خلفاء الملك الناصر/ صلاح الدين الأيوبى قد سمحوا لليهود بتعمير أماكن قضائهم الدينى.. وبناء معابد لهم.. كما استمر تقدمهم بصفة خاصة فى العصور الحديثة على عهد الفتح المصرى لبلاد الشام .. ثم أشارت المذكرة إلى أنه عندما أعيدت القدس إلى الدولة العليا العثمانية سنه ١٨٤١م أعطى حاخام اليهود بها نفس الحقوق والواجبات والامتيازات الممنوحة لرؤساء الطوائف الدينية الأخرى.

★★★

كانت الحروب الصليبية رغم قسوتها وتناميها منعطفا أساسيا بالنسبة لأطراف النزاع الأساسيين.. فمن ناحية فقد هيأ المولى عز وجل لبيت المقدس.. وباقى المقدسات الإسلامية والمسيحية واليهودية من صد عنها عدوان الصليبيين وبصورة نجحت فى الجمع بين الإمارات الإسلامية المتنافرة آنذاك.

ظل الموقف فى تصاعد وتعقد حتى ظهر على سطح الأحداث دور البطل الخالد صلاح الدين الأيوبى. فقد جاهد القائد البطل فى سبيل هدف استعادة القدس من أيدى الصليبيين حق الجهاد وأخلصة.. فوجه جل همه أولا إلى لم شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم وتوجيه جهودهم.. ثم ظهرت عبقريته الحربية.. وإيمان المسلمين واخلاصهم واقتناعهم فى حربهم وجهادهم.. كانوا جميعا يعلمون أنهم يواجهون قوات أوروبا مجتمعة بقدها وقد يدها فلم يصبهم الوهن بل صدقوا العزم وأخلصوا النية لوجه ربهم..

ورغم الصعوبات صدق الله وعده فنصر من نصره.. وأعز من رفع دينه.. وفتح صلاح الدين القدس.. وعاد الحرم المقدس عربيا وإسلاميا خالصا.. كان ذلك تحديدا فى يوم الجمعة ٢٧ رجب سنه ٥٨٣هـ الموافق الثانى من اكتوبر سنة ١١٨٧م.. أى فى ليلة الإسراء والمعراج المباركة والتى من الله بها على نبيه الكريم تعضيداً له وتمكينا وتثبيتا.

وكما كان منهاج القائد المسلم مثالا من السماحة والعفو.. والصفح وجميل المعاملة الأمر الذى سجله التاريخ كآية فى الفخار والمثالية.. فقد أطلق سراح اليتامى والشيوخ والأرامل من الصليبيين ودون دفع أية دية.. بل لقد منحهم من ماله الخاص كمساعدات مالية للإعاشة والكفالة.. واكتفى القائد المنتصر

بأخذ فدية رمزية ومحدوده فقط بنحو عشرة دنانير من بطريريك بيت المقدس.. وتركه يغادر القدس حاملا معه ما استطاع من كنوز الكنيسة من ذهب وفضة وجواهر وآثار فى عربات كثيرة!!

.. وعندما أشير على صلاح الدين بأن كل هذه الكنوز من حقه وحق المسلمين المنتصرين . نظر فوجد نفسه قد عاهد الرجل.. فلم يزد على قوله: لا أغدر به. رغم ذلك فقد غدر الصليبيبون بصلاح الدين وتوالت الحروب الصليبية.. وتوالت الانتصارات الإسلامية.

على عهد الملك الكامل بن صلاح الدين عقد المسلمون مع الصليبيين الهدنة الشهيرة سنه ١٢٢٨ م.. والتى امتدت لمدة عشر سنوات وخمسة أشهر وأربعين يوما.. وبمقتضى تلك الاتفاقيه اتفق على أن تبقى القدس فى يد الفرنجة.. خلا الحرم القدسى الشريف وما فيه من مساجد كالصخرة والمسجد الأقصى فتبقى فى يد المسلمين.. وتكون سائر قرى القدس للمسلمين لا حكم فيها للفرنجة.

بوفاة الملك الكامل استولى ابنه الملك الصالح نجم الدين ايوب على القدس.. وبقيت من بعده فى أيدى سلاطين المماليك حتى استولى عليها العثمانيون.

تلك كانت نتيجة الحروب الصليبية.. والتى يقيمها جو ستاف ليبون فيقول:

«أنها كانت عميقة من حيث غايتها الأولى وهى الاستيلاء على فلسطين .. فإن الصليبيين على ما أراقوا من الدماء وبذلوا من الأموال رجعوا بعد قرنين بخفى حنين.. أما من حيث النتائج المباشرة فى هذه الحروب فيمكن أن يقال إن ثقافتها عظيمة .. وذلك أن الاختلاط بالشرق مائتى سنه كان من العوامل القوية فى انتشار المدنية فى أوروبا.. ونحن نعرف أن الشرق بفضل العرب

كـان ينعم إذ ذاك بمدنيـة زاخـرة حين كـان الـغـرب غـارقـا فى الـتـوحش وقـد استـنتـجنا من مـجمـوع أعـمال الصـليـبيين أنهم كـانوا فى كل مكان متـوحشين حقـيقـة ينهبـون ويذبحـون لا فـرق عندهـم بين عدوهـم وصـديقهـم .. خـربوا فى القـسطنطـينيه. اثمن كنوز العـاديات اليـونانيـة واللاتينيـة.. ولـم يربح الشـرق باحـتكاكه بـهؤلاء البـرابرة من الصـليـبـيين بل خسـر .. وأثمـرت الحـرب كـراهة العـرب للغـربيين كراهة دامت قرونا»

وهـكذا .. أرجع ليـبون كل تلك الأحداث والتـى كانت القدس ومـقدسـاتها هـى محـور أحداثها إلى الخلافات الدينية لكل من الطرفين..

أهـم ما يجب الإشـارة إليه وسـط تلك الأحداث أن تلك الفـترة التاريـخيـة كانت متزامنة- كما أشـرنا- إلى تعاظم اضـطهاد اليـهود داخل مـجتمـعات اوروبا.. كما أن دورهـم فى أحداث الحـروب الصـليبيه كان ضـئيلا إلى أقص حد..

بدراسـة بسـيطة لأزمنة تلك الأحـداث التاريـخـيـة الثـابته نلحظ وبـسهـولة أن فترة اسـتيلاء الصـليبيين وإقـامة دولتهم اللاتينية الصـليبـية فى القدس وبعض أراضـى فلسـطين تفـوق دون شك عـمـر الدولة اليـهـودية التـى قـامت على عـهـد النبيين داوود وسـليمان.

فى جـمـيع تلك الأحـوال اسـتـمـرت القـدس عـلـى عـروبتـهـا الأصـيله وفـشل الصـليبـيون بـعـد مائتى عام من السـيطرة عليها أو انـتزاعهـا من أيدى العـرب أو حتى تغيير تركيبتها السـكانية أو العرقية أو العـقائدية أو حـتى اللـغوية.. هـذا كما أنه من الملاحظ أن الصـليبيين لـم يتنادوا بأن تلك المنطقة المقـدسـة- مهد المسيح تحق لهم دون غيرهـم وهـم من يرفعون شعار الصـليب والمسيح.

وهـكذا بقى بيت المقـدس وسائـر البـقاع الإسـلامـيـة المقدسـة وغـيـرهـا تحت الرعـاية الإسـلامـيـة حـتى غـزا المنطقـه البـريطانيـون سـنة ١٩١٧م اثناء الحـرب العالمية الأولى.



كان وراء الحملات الصليبية صراع عقائدى مسيحى من نوع مألوف.. فكان كلما ظهر نفوذ لبابا روما فى المنطقة طرد بطاركة الأرثوذكس.

يذكر تاريخ كنيسة أورشليم :« وفى هذا تأييد لقولنا إن الغاية التى كانت تتوخاها الكنيسة البابوية إنما هى إخضاع الكنيسة الأثوذكسية لسلطتها بالعنف والقوة.

وفى عهد الدولة العثمانية كادت تلك العلاقة المتوترة بين كنيسه القدس بالقسطنطينيه تتسبب فى كارثه كبرى للمسيحية فى فلسطين.. وذلك أنه عندما استولى محمد الثانى على العاصمة البيزنطية عام ١٤٥٣م ظن البعض أن كنيسه أورشليم إنما هى امتداد لكنيسة بيزنطة فثاروا عليها.

أسرع بطريرك القدس إلى السلطان محمد الفاتح ومعه عهد امير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب، والذى يضمن وينص على تأمين نصارى فلسطين.. فأقر السلطان العهد.. وأصدر فرماناً بحق السيادة للبطريرك على كنيسة القيامة وجميع المزارات والكنائس داخل أورشليم وخارجها وعلى كنيسة العهد الشريف فى المنارة.. وأمر بإعفاء هذه المزارات وأوقافها من الخراج وجميع الرسوم.»

لم تكن فلسطين آنذاك تبع السلطنة العثمانية.. لكن بطريرك أورشليم أحس وأدرك سلفا من أين ستهب الريح.. وهكذا لما وصل السلطان سليم الأول إلى فلسطين عام ١٥١٧م وجد شعبا صديقا.. غير أن ذلك لم يمنع ذلك الصراع المستمر. من ذلك مثلا أنه فى سنه ١٦٧٦م تآمر الفرنج على قتل البطريرك ذو سيثيوس.. فهرب إلى بيروت ومنها إلى الأستانه متنكراً.. فجدد

التصديق على الأوامر الممنوحة من الباب العالى..

وكان سلفه أيضا قد هرب من القدس إلى دير طور سيناء خوفا من أن يقتله اللاتين».

ومن الطبيعى أن تتاثر هذه العلاقة وموازين الصراع الكنسى بالمتغيرات السياسية.. فقبل نهاية القرن السابع عشر الميلادى تمكن اللاتين من أن يحصلوا من الباب العالى على فرمان بالاستيلاء على قبة كنيسة القيامة،، وعلى جميع المزارات المسيحية وذلك مقابل حصول تركيا على مساعده فرنسا فى حرب تركيا ضد الألمان.. وظل اللاتين أصحاب سيطرة على مقدسات القدس المسيحية إلى عام ١٧٥٦ أما أبناء الكنيسة الأرثوذكسية فلم يستسلموا وكافحوا لعودة سلطانهم لمقدساتهم فى القدس وكانت حجتهم الكبرى أن السلطان صلاح الدين الأيوبى عندما طرد الصليبيين للمرة الثانية أرجع القبر المقدس مع سائر الأماكن الشريفة المقدسة إلى أبناء العرب الأرثوذكس الوطنيين.

وكان لابد من كلمة لمن له السيادة على القدس.. وهكذا عندما وضح وتحدد المسعى الغربى لإعادة الفرنجة إلى نفوذهم فى مقدسات القدس المسيحية كانت فتوى شيخ الاسلام تعزز الوجود الأرثوذكسى ... وجاء فى الفتوى:« أنه ليس حق ولامشروع ولامن مبادىء السلاطين الشريفة أن تداس فرامانات السلاطين العظام فتعطى مزارات الأرثوذكس للغربيين».

وفى سنة ١٧٧٥م.. عقد صلح بين روسيا وتركيا بعد حروب طاحنة.. وكان من مواد ذلك الصلح أن يكون لروسيا الأ رثوذكسيه» حق حماية مسيحى الشرق».

وهكذا .. ولما احترقت كنيسة القيامة عام ١٨٠٨م حاول الفرنجة أن يتدخلوا ويساهموا فى الترميم وأعادة البناء.. وألف سلطان الأتراك مجلس تحكيم من

مشايخ الإسلام.. وصدرت الفتوى بأن للأرثوذكس وحدهم الحق فى القيام بهذا العمل وذلك حتى يقطع الطريق على الفرنجة فى أن يأملوا بموضع قدم.. قد يطالبون به فى المستقبل.

إلى هذا الحد من الاحتياط رعى الحكام المسلمون فى السنين الأخيرة حق الكنيسه الشرقيه فى مقدسات المسيحيين ملتزمين بمنهج رسول الله (ص) وتعاطفه مع مسيحيى الشرق وفى المناطق المحيطة بالحجاز وهم من كونوا الكنيسة الشرقية الأمر الذى اكدة الفاروق عمر فى فتحه الشام.. وشدد عليه صلاح الدين الايوبى ومن اتبعه من سلاطين المسلمين بعد ذلك.

ولم يكن لليهود صوت ولاثقل فى المنطقة طوال ذلك التاريخ الطويل.. غير أن تفاعلات اليهود فى أوروبا وما أسفرت عنه من بزوغ المذهب البروتستانتى فى بريطانيا ومع التغيرات التى تزامنت مع نشأة عصر الاستعمار وجهت الحوادث وجهة أخرى تماما .



فى عصر النهضة .. وفى أوروبا كان تفاعل اليهود مع الصراع الأيديولوجى المسيحى تفاعلا إيجابيا.. وهكذا تنوع موقف الحركات المسيحية على اختلاف مذاهبها فى بلدان أوروبا الأساسية .. كل حسب اتجاهاته وظروفه السياسية خاصة مع بدايه عصر الاستعمار.. وثقل اليهود المادى وأثره فى إنجاح سياسات تلك الدول آنذاك ولعب اليهود من جانبهم على العداوات بين مذاهب المسيحية.. وكان بزوغ المذهب البروتستانتى فى بريطانيا نتيجة لذلك كله.. وبسببه إزداد الصراع الأوروبى تعقيداً.

فى فرنسا:

كانت الثورة الفرنسية وبما منحته من حرية ومساواة بين يهود فرنسا الأغلبية والمتميزين أملا طال انتظاره ليكسر اليهود حاجز الجيتو.. ليس على مستوى فرنسا فقط بل على مستوى أوروبا كلها كما أن انهيار الكاثوليكية أدى فيما أدى إلى حرية اليهود فى أن يسايروا جوهم الجديد ويلعبوا على المتناقضات فى العلاقات الدولية.. الأيديولوجية والسياسية.

أما فى بريطانيا.. فمنذ نشأه التيار البروتستانتى والذى ارتكن فى فلسفته إلى علاقة حميمة بالعهد القديم التوراتى فقد ارتكن إليه اليهود وآزروه.. وعضدوه بقوة.. ولما بدأت الإمبراطورية البريطانية فى الانتشار حول العالم كأن لتأييد اليهود المادى أثره فى حماية اليهود .. بل وتميزهم إلى أقص حد ممكن فى تلك الإمبراطورية القوية.

وعندما لم يكترث البريطانيون البروتستانت لتحذيرات كاتبهم العظيم شكسبير لم يلحظوا أيضا يهوديا وصل إلى كرسى رئاسة الوزراء فى القرن التاسع عشر وهو دزرائيلى.. واسمه الرسمى: بنيامين بيكو ترفيل «١٨٠٤-١٨١١» وقد تولى رئاسة الوزاره مرة عام ١٨٦٨م ومرة أخرى عام ١٨٧٤ إلى عام ١٨٨٠ .. بل وإليه ينسب خزب المحافظين فى تنظيمة الحديث.

كتب ذلك الرجل المؤثر بحسب موقعه قصة من قصصه بعنوان «كوننجزياس» ذكر فيها:

«لن تجد حركة فكرية كبرى فى أوروبا لا يشترك فيها اليهود.. إن الجيزويت الأوائل كانوا من اليهود وتلك الدبلوماسية الروسية الغامضة التى ازعجت أوروبا قد نظمها ونفذها اليهود أساسا..»

أما فى روسيا القيصرية .. والتى تحتضن معظم يهود أوروبا فقد خيل

للمـلاحظ أنه فى إبان حكم اسكندر الثانى أن يهـود روسـيا فى طريقـهم إلى التحـرير.. غير أن مـقتل القيصـر عام ١٨٨١م كان بدايه عـهد لاضطهاد اليـهود فى طول البلاد وعـرضهـا وبصورة لم يسبق لها مثيل. الامر الذى سرعـان ما أدى إلى هـجرات يهـودية جمـاعـية.. غـير أن من تبـقى سـاهـم أيضـافى فكره الشـيـوعـيـة التى قـامت عـلى أسـاس كـسـر الاسـاس الديـنى الأرثوذكسـى.. والمعادى لليهودية.

كتب طبـيب يهـودى من أوديسـا يدعى ليوبيـنسكو كـتابـا فى عـام ١٨٨١ بعنوان «التحرير الذاتى» ناقش فـيه الشعور المعادى للسامية كظاهـرة نتيجة لما يتمتع به اليهود من وضع شاذ بين الأمم.

ثم أوصى ذلـك الرجل إلى أن يتـولى اليـهود أمـرهـم بأنفـسـهـم ويقـرروا مصيرهم ويجاهدوا فى سبيل إقامة دولة لهم تجعل منهم أمة كسائر الأمم .

كان ذلك الكتـاب بمثـابه بداية عـهد الصـهـيونية فى روسـيـا.. فـسرعـان مـا اجتمع فى أعـقاب نشـره مؤتمر من كبار يهـود روسيا لتأسيس جمـعية تنهض بتنفيذ ووضع الاسس لما تضمنه الكتاب من أراء.

وأهم مايعنـينا أن الكاتب لم يشـر إلى فلسطين والقـدس كأمل فى إقـامة هـذه الدولة.. مع أن مفكرى هـذا المؤتمر طرحوا هـذا الاسـم عندما فكروا- أنذاك - فى ذلك الأمل.. واختاروا للجمعية اسـم «مـحبى صـهيون».

بعد فـترة من الزمـان ارتفعت الشـيوعيـة كمـذهـب وسـقطت الإمـبراطوريه.. وتداعت الأرثوذكسية كعقيدة مناهضة لليهود!!

امـا فى الولايات المتـحـدة.. فـقـد تميـز اليـهـود مـنذ هـجـراتهم الأولى إلـيـهـا بسيطرتهم على توجيه الرأى العام البروتستاننى.. كانت هـجرات اليهود الأولى مـتـزامنة مع مـوجـه طرد اليـهـود من أسـبـانيا حـيث طرد أكـثـر من ٣٠٠,٠٠٠ يهودى ذهب بعضـهـم مع كولمبس فى فتحه واكتشـافه للأمـريكتين.

ثم أخذ اليهود يتطلعون شيئا فشيئا إلى أمريكا كميدان فسيح لنشاطهم الاقتصادى. ساعدهم على ذلك خضوع أمريكا للفتح البريطانى وميلها البروتستانتى،، وكان لهم دورهم فى الحرب الأهليه الإمريكية وتعتبر نيويورك أكبر مركز مالى وتجارى فى العالم هى أيضا أكبر مركز سكانى لليهود فى العالم..

ويمكن من ثم تفهم كيف أطلق اليهود على أمريكا اسم أرض الميعاد التى تنبأ بها الأنبياء.. وأن نيويورك هى القدس الجديدة!!.. بل بالغ بعضهم فأطلق على جبالها اسم «جبال صهيون».

لعل هذه المتغيرات العاصفة والتيارات المتضاربة بقوة هى ما أفرزت على المستوى السياسى العالمى ما عرف بالمشكلة اليهودية.. أى إمكانية تعايش اليهود فى المجتمعات التى يتواجدون فيها..

من الطبيعى أن يفرز المفكرون والفلاسفة اليهود إمكانية إنشاء وطن قومى يجمع شتات اليهود.

لعل أول دعوة علنية لتلك الفكرة كانت عنصرية.. وذلك لارتباطها بفكرة إنشاء إمبراطورية عالمية واسعة الأرجاء.. تقوم أساسا على جمع اليهود من الشتات.

كانت تلك الفكرة ماعبر عنها السيد «هنرى فنش» فى كتابه الذى نشره عام ١٦١٦م فى انجلترا تحت عنوان «نداء اليهود» غير أن تلك الدعوة لم تظهر لها آثار إيجابية أو حتى ردود فعل محسوسة.

بظهور دعوة الحرية والأخاء والمساواة التى رفعتها الثورة الفرنسية والأمريكية.. ظهر على المستوى الفكرى النظرى اتجاه تزعمه مفكر يهودى-ايضا - يدعى موسى مندلسون ١٧٢٩ : ١٧٨٦.. وتنادى الرجل بضرورة اندماج اليهود فى سائر المجتمعات التى يتعايشون فيها..

بعد أكثر من قرنين من دعوة السير «هنرى فنش» راجت دعوة «موريس هاريس» ١٨١٢ـ ١٨٧٥م والتى قامت أساسا على مبدأ أن يتجنب اليهود ذلك الاندماج الذى تنادى به مفكرو اليهودية المعتدلين .. بل على اليهود أن يؤكدوا تفردهم وينموا شخصيتهم الذاتية والعقائدية .. وكان على المفكر اليهودى أن يلتجئ إلى محور جذب لكافة اليهود على اختلاف مذاهبهم وحتى اوطانهم.. فتنادى «بإعادة إقامة مركزهم المقدس فى أورشليم القدس.. وفلسطين العربية».. كان الدافع النفسى لكل ذلك رغم صعوبته آنذاك هو نتيجة مباشرة ورد فعل واضح تجاه ما أصاب اليهود من اضطهاد فى مجتمعات أوروبا المسيحية.. وبسبب ما نماه نظام الجيتو من تشكيل للذات اليهودية وتنمية أحاسيسهم القومية والعقائدية.

وهكذا..

فى عصر النهضة الأوروبية.. والاستعمار الأوروبى كان هناك تياران من الفكر اليهودى «النظرى» متعارضان فى الاستراتيجية والأهداف.. الأول يتزعمها موسى مندلسون.

والثانى يتزعمه: تيودور هرتزل ١٨٦٠:١٩٠٤م.. ويدعو فيها إلى رساله سياسيه.. وهى الصهيونية.. الأمر الذى يستلزم شعار بعث اللغة العبرية كمحور نفسى واجتماعى وحتى سياسى تلتف حوله جماعات الهجرة المرتقبة لتكون العبرية لسانهم المعبر عنهم.. وبهم،

فى تلك الفترة الهامة والتى كانت الأفكار تتصارع بحرية فى اوروبا كانت فلسطين والقدس الشرقية تحت سلطان العثمانيين بعد أن تغلب الساطان سليم الأول على المماليك فى معركة «مرج دابق» سنه ١٥١٧م.. وانتقلت تبعيتها إلى الأتراك العثمانيين.. واستمر الأمر على ذلك الحال حتى عام ١٩١٧.

خلال تلك القرون الأربعة من الحكم العثماني الإسلامى كان الشعب الفلسطينى العربى يتكلم لغته العربية ويحتفظ بخواصه القومية ويعبر عن إرادته ورغباته كاملة داخل دولة الخلافة الإسلامية.

لم تتخلل هذه الفترة الطويلة من عمر الزمن سوى فترة محدوده من الحكم الأجنبى عندما غزاها نابليون سنه ١٧٨٩ .. ولم تدم كثيرا على أية حال.

كان استيلاء الإنجليز «البروتستانت» على منطقة فلسطين سنه ١٩١٧م زاوية التحول فى مسيرة الدولة الفلسطينية العربية،، فقد دخل اليهود مع الإنجليز منطقة القدس وفلسطين متسترين بحماية ومساعدة الفاتح البروتستانتى- وسرعان ما ارتفعت الدعوات إلى العودة وإحياء تاريخ انتهى كلية منذ مئات وآلاف السنين.

★★★

القدس والحروب العالمية

(١) كانت القوى العالمية والصراعات الدولية متشابكة قبل نشوب الحرب العالمية الأولى «ففى الشرق كانت الدولة العثمانية الإسلامية الشاسعة مهيمنة.. لكن الضعف والشيخوخة كانتا قد تسللتا إلى ذلك «الرجل القوى» حتى أضحى مريضا.. رغم ذلك فقد كانت الدولة العثمانية دائما حجر عثرة قوية أمام أطماع العالم كله.. وليس أطماع اليهود فقط.

(٢) فى ذلك الوقت كان التنافس على أشده بين الإمبراطوريتين الإنجليزية .. والفرنسية لاقتسام العالم بينهما- وكان «الرجل المريض» ضمن اطماع الامبراطوريتين- الأمر الذى لم يجد معه العثمانيون بديلا من تقويه علاقتها الخاصة بألمانيا القيصرية.. والتعاون معها لوقف الزحف الأنجلو فرنسى.

(٣) لم تكن الإمبراطورية الروسية بعيدة هى الأخرى عن الأحداث بل كانت دائما تنظر بعين الطمع والتمنى علها تجد موطئ قدم فى تلك المنطقة ذات البحار الدافئة فى منطقه الشرق العربى.

(٤) وسط تلك الدوامات المتصارعة كان هدف اليهود واضحا ثابتا وهو - أرض فلسطين والقدس.. وعليه فقد رمى يهود أوروبا بأوراقهم إلى جميع

أطراف تلك الصراعات.. وكانت سياستهم مرنة ذكية ونشطة لم تحدها أية عوائق سياسية أو حتى اخلاقية.. وسهل لهم تعدد اطراف الصراع العالمى أن ينجحوا في هدفهم.. غير أن أهم عامل سهل لهم ذلك الحلم على أرض الواقع كان تخلف العرب الفكرى والسياسى والاقتصادى. الأمر الذى أفقد العرب القدرة والتأثير كعنصر أساسى فى أحداث وصراع تلك الفترة.

كانت سياسة اليهود أن يطفوا مع جميع التيارات إلى أن تستقر بهم المسيرة فى المصب والهدف فلسطين العربية الإسلامية.. واعتمدت استراتيجيتهم على الدوام على الاعتماد على الحليف القوى.. ولاتزال تلك السياسة ثابتة يقيناً.

من أوضح الشواهد على ذلك كله موقف المحامى اليهودى أدولف كريمييه وهذا الرجل عايش الثورة الفرنسية وما بعدها.. وعمل بالسياسة والصحافة وداخل التنظيمات الثورية وغيرها.. وكان جل همه خدمة القضية اليهودية وبأى ثمن.

على أثر فتنة دمشق سنه ١٨٤٠م قام أدولف كريمييه برفع قضيه ضد محمد على الكبير اتهمه فيها بالمسئولية المباشرة عن ضحايا هذه الفتنة من اليهود.

ملخص هذه الفتنة أنه فى موسم عيد الفصح اليهودى اختفى الأب الفرنسيسكانى «توما» من ديره فى دمشق.. وعلى الفور شاعت فى دمشق شبهة أن اليهود قد اختطفوه وذجوه ليعجنوا بدمه خبز الفصح.. فاشتعلت فتنة واسعة فى المدينة انضم فيها المسلمون إلى المسيحيين فى حملة انتقامية من اليهود.. واشترك فى ذلك والى دمشق من قبل محمد على وهو «شريف باشا» .. ولما كانت الدول الأوروبية تتوجس خيفة وتتحين الفرصة للوقيعة بمحمد على وتحطيم إمبراطورته الحديثة والتى أقامها فى مصر والسودان والشام والحجاز.. بل وتحطيم الإمبراطورية العثمانية ذاتها فقد اهتبل أدولف

كريميه الفرصة.. وهب يحرك الصحافة والرأى العام الأوروبى بوسائل الإعلام والدعاية التى صرفت عليها وأسستها الجمعيات اليهودية.. فرفع قضية على محمد على باشا.. انتهت- طبعا. بالحكم لصالحه وصالح اليهود!!.

أراد محمد على أن يتلافى ما يمكن أن ينجح فيه اليهود من تهيئه الجو العالمى ضده.. فدعا كريمييه لمقابلته فى الإسكندرية ليتسلم التعويض الذى حكمت به المحكمة له.. فحضر مصطحبا معه المليونير المعروف ورجل السياسة البريطانى اللورد «مونتيفورى».. والمتشرق اليهودى الفرنسى «سالومون مونك».. ثم قام ثلاثتهم بعد ذلك بزيارة فلسطين!! وهناك قرروا إقامة مدرسة زراعية باسم «مقوية إسرائيل».. اى أمل اسرائيل إلى الجنوب الشرقى من يافا هدفها تخريج مهندسين زراعيين إسرائيليين لاستصلاح الاراضى وتمليكها لليهود- بل واستخدمت اموال التعويضات التى دفعها محمد على فى ذلك الغرض.. إلى جانب تبرعات يهودية فى مقدمتها تبرعات موسى مونتيفورى نفسه!!.

وعندما نجح اليهودى كريمييه هذا فى أن يتولى وزارة العدل الفرنسية فى عام ١٨٧٠م انتهز الفرصة فأصدر قانونا فى ٢٤ أكتوبر من نفس العام الذى تولى فيه وزارة العدل يمنح يهود الجزائر جميعا وبدون استثناء الجنسية الفرنسية.. وبالضرورة مايستتبعها من امتيازات لاحد لها.. تجعلهم متساوون تماما مع المستعمرين الفرنسيين.

كان رد فعل الجزائر مواز ومقابل لمثل ذلك العمل الأخرق الفاضح فقامت ثورة عنيفة ضد هذا القانون فى يناير ١٨٧١ فى الجزائر.. بل وضد الوجود الفرنسى ذاته.. وكلف العسكريون الفرنسيون باخمادها .. غير أن معاناة القادة الفرنسيين جعلتهم ينتقدون وبشده قانون كريمييه هذا.. وكان أوضح المواقف على سبيل المثال لا الاستشهاد موقف الجنرال أوجران أحد القادة

العسكرين الذى ألقت عليه السلطة الفرنسية مسئولية إخماد الحركه الوطنيه الجزائرية..

كذا الأدميرال «دى جويدون».. والمسيو «لوجيه» محافظ القسطنطينية فى ذلك الوقت.

لكن اليهود لم يلتفتوا إلا إلى هدفهم المرصود.. وفقط.. ففى تلك الفترة صرح «شارل نيتر»ضمن تقرير قدمه إلى اللجنة المركزية للاتحاد الإسرائيلى العالمى فى باريس فقال:

«انكم سوف تقومون سلميا بفتح هذه الأراضى المقدسة التى لم ينسها أحد منكم. سواءكنتم من المحافظين أم من المتحررين - هذه الأراضى التى أشاد أباؤكم بالكيان الأسمى فيها بينما كان سائر العالم غارقا فى الوثنية.. بهذا التدبير ستنالون الأرض المقدسة.. ولستم بحاجة إلى الذعر أمام ضخامة الواجب الملقى على عاتقكم فإن ما يبدو اليوم وكأنه أحلام سيصبح حقيقة غداً.

واضح أشد الوضوح من مستقرات الحوادث والمواقف أن تلك الفترة الزمنية كانت فترة غرز البذرة.. استغل فيها اليهود كل المتغيرات المتنامية وكافة المواقف لصالحهم وضد العرب.. وكانت الحالة النفسية لليهود والتى تشير إليها طبيعة تحركاتهم ومواقفهم. كانت عالية ونشطه.. فى حين كان العرب فى تخاذل وانحطاط.. ولم يواجهوا المواقف بنفس مستوى اليهود أو حتى أقل.. ويظهر ذلك واضحا أشد الوضوح عند تحليل مواقف الأضداد فى المواقف الحادة.. وفى الافعال وردود الأفعال.. وقد أثر ذلك على موازين المواقف المتباينة للأطراف المتعارضة. ففى حين كانت حسابات قوى الأفراد تميل دون شك لصالح العرب نرى أن الطرف اليهودى كان على الدوام هو صاحب المبادرات السياسية.. وهو الطرف الإرهابى.. الجاهر بالعداء والكره.

ذهب المفكر اليهودى «أرثر جينز بورج» والمشهور بتوقيعه الأدبى «أحدها عام» لزيارة فلسطين.. ومشاهدة آثار الطلائع اليهودية الأولى المتحمسة مما يسمون «أحباء صهيون».. كانت دهشة ذلك المفكر واستغرابه وتعجبه من تصرفات الطلائع اليهودية الأولى فى فلسطين ورغم تأييده التام للصهيونية وفكرتها فقد حمل تحليله لما لمسه أن يكتب مقالا فى مجلة «هامليتص» اليهودية قال فيها:

«.. ماذا يفعل إخواتنا فى فلسطين؟!.. إنهم كانوا عبيداً فى المنفى «الدياسبورا» .. وفجأه وجدوا أنفسهم أحراراً بلا حدود ولا رادع.. إن هذا التحول قد خلق فى نفوسهم حالة من الميل إلى الاستبداد كحالة العبد عندما يتحول إلى سيد.. فهم يعاملون العرب بروح العداء والشراسة ثم يفاخرون بما يفعلون.. ورغم ذلك فليس هناك بيننا من هو قادر على الوقوف فى مثل هذا الميل الخسيس والخطير فى آن واحد..»

رغم وضوح الأمر ولمسه للواقع العجيب لذلك المفكر اليهودى فإن المدهش أن أحداً من المفكرين العرب والمسلمين لم يحلل الوقف السلبى للجانب العربى المهيمن عدداً وقوة آنذاك !! .. ولم يدرس أحد من السياسيين آنذاك تداعيات تلك المتعارضات اللامعقولة على مستقبل المنطقة!!

يمكن القول أن أخطر ما فى الأمر ـ رغم تعارض مصالح الأطراف الواضح ـ أن العرب لم يلتفوا حول محور يجمعهم كما التف اليهود حول محور القدس.. والمعبد والتوراة.. والمدهش فى الأمر أن هذا هو موقف الأطراف إلى وقتنا هذا، فاليهود بعد احتلالهم القدس إثر نكسه ١٩٦٧ رموا إلى غيرها.. وتطلعوا إلى ما بعدها.. فى حين أن العرب– جميعا– كانت سياستهم تجاه تداعيات الموقف غير ثابتة وليست قائمة على أيه أسس ثابتة متفق عليها تاريخيا أو عقائديا.. بل كانت كل مواقفهم تنم عن رد فعل عاجز وقاصر.. وفكر يفتقر إلى الفهم الواضح الموحد.. وهذا كله كان .. ومازال – أهم ما يميز الموقف العربى ويثبت

قصوره.. ثم كان لتداعيات المواقف وتراكم وتعقد المشاكل أثره النفسى الذى شكل الشخصية الانهزامية «إن جاز التعبير».

لكن كل ذلك يتحطم أمام وضوح قضية القدس..

ويطرح التساؤل القديم.. نكون أو لانكون.. فالأمر له شقه الايمانى ولاشك.

هذا كما أن مناولة الأحداث التى أدت فى النهاية إلى نشأة الدولة اليهودية وتعقد المشكلة الفلسطينية يشير إلى أن الخلل الأساسى يتمركز فى الموقف العربى.. وهو – فى رأينا – بيت الداء.. وتصحيح ذلك المسار هو أول خطوة على طريق صحيح لحل المشكلة – رغم صعوبته.. ومهما كانت قسوة التحديات فصبغ المشكلة باليهودية لم يبتدئ إلا منذ اقل من مائة عام– فقط!!

★★★

كان لعائلة روتشيلد اليهودية البالغة الثراء دور هام ملموس فى تحويل الهجرة اليهودية إلى فلسطين العربية بدلا من أوروبا.. ويدعى المفكرون والمحللون أن ما حدا بهذا الملياردير اليهودى إلى ذلك الاتجاه عدة عوامل منها: تجنب الآثار الوخيمة التى قد تؤجج العداء للسامية.. واكتساب العطف على اليهود.. وربط ذلك كله بالمصالح الإمبريالية المتسعة فى الشرق الأوسط خاصة بعد قناه السويس وغير ذلك ومثله!!.. الخ

غير أن الباحث يرى أنه لم يكن هناك من سبب قوى لتركيز هجرة اليهود إلى فلسطين بغيه احتلالها إلا لاعتقادهم العقائدى الأيديولوجى نحو القدس خاصة.. وفلسطين عامة.. و لم يكن كل ما رفعوه من شعارات إلا ستارا يخفون من وراءه حقيقة مقاصدهم والتى ظهرت واضحة جلية بعد أن تحول حلمهم إلى واقع.. فجاهروا به علانيه.. كما سنوضح.

أما الصحفى النمسوى اليهودى «تيودور هرتزل» فقد أصدر كتابه الشهير «دولة إسرائيل» سنه ١٨٩٦م.. وقد أثار هذا الكتاب اهتمام العناصر النشيطة من دعاة الفكر والجماعات الصهيونية فى مختلف بلاد العالم الغربى.. وتمكن هرتزل من عقد أول مؤتمر صهيونى فى «بازل » عام ١٨٩٧م .. فماذا قال فى خطاب الافتتاح؟!.

قال هرتزل: «إننا هنا لنضع حجر الأساس فى بناء البيت الذى سوف يؤدى إلى الأمة اليهودية» وكانت مقترحات هرتزل برنامجاً يدعو لتشجيع الهجرة اليهودية المنظمة والواسعة النطاق إلى أرض فلسطين.. والحصول على اعتراف دولى بشرعية استيطان اليهود فلسطين.. وإنشاء منظمة دائمة لضم صفوف يهود العالم أجمع وراء القضية الصهيونية..

انتهى المؤتمر بوضع الأسس الرئيسية والهيكل التنظيمى للمنظمة الصهيونية العالمية – كما تم إقرار البروتوكولات الشهيرة «بروتوكولات حكماء صهيون» التى أرست منهج سيادة اليهود على العالم كله كما يأملون..

وانتخب هرتزل رئيسا للحركة الصهونية العالمية..

هذا هو مستوى الفكر والسياسة لقادة جماعات اليهود منذ أكثر من مائة عام..

من الطبيعى والأمر هكذا أن تكون قرارات المؤتمر اليهودى سرية.. وأن يتكفل بالحركة أهل السياسة ومحترفوها حتى لايثيروا ثائرة أهل القوى العالمية والتى قد تقوض طريقهم وتتعارض مع سياستهم.

عرضت بريطانيا العظمى على اليهود موطناً فى شرق أفريقيا «أوغندة» سنه ١٩٠٣م.. فرفض المؤتمر اليهودى السابع سنه ١٩٠٥م هذا العرض البريطانى من ناحية المبدأ.

ثم يفصح ناحوم جولدمان عن هدف اليهود تجاه القدس وفلسطين .. فنرى

السياسة والتقية .. ونلمس الكذب.. فقد قال الرجل فى محاضرة فى مونتريال بكندة سنه ١٩٤٧م.. وهو يعلل اختيار اليهود فلسطين العربية مركزاً لإقامة الدولة اليهودية.. قال جولدمان:

«لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراني والديني بالنسبة لهم.. ولا أن مياه البحر الميت تعطي بفعل التبخر ما قيمته «ثلاثة آلاف مليار دولار من المعادن وأشباه المعادن.. وليس ايضا لأن مخزون أرض فلسطين من البترول عشرون مرة مخزون الامريكيتين مجتمعين.. بل لأن فلسطين هى ملتقى أوروبا وآسيا وأفريقيا.. ولأن فلسطين تشكل فى الواقع نقطه الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم. ولأنها المركز الاستراتيجي العسكرى للسيطرة على العالم..».

من الواضح أن الحركة الصهيونية كانت على مستوى جيد من التنظيم والنشاط وكانت تحركات وعلاقات تلك الحركة مع القوى العالمية آنذاك علاقة التابع الذى يعرض نفسه وخدماته ويقسم بولائه لتلك القوى.. ومع ذلك فلتلك الحركة منهاجها وهدفها الثابت والواضح.

كانت مرونة الحركة السياسية تضمن لها النجاح وولاء قوى العالم الكبرى لها.. لما بين هذه القوى من أطماع تجاه المنطقة العربية الإسلامية.. ولما بينها من تعارض أيديولوجى وتاريخ عدائى.. فى ذلك الوقت كان موقف القوى الإسلامية وتحركاتها السياسية تجاه تلك الأطماع الواضحة دون المسئولية بكثير.. رغم الخطورة الواضحة فى ذلك الفكر.

الضغوط السياسية فى فترة الحرب العالمية الأولى.

كانت ظروف المنطقة العربية حرجة وصعبة فى فترة الصراعات العقائدية والاستعمارية قبل الحرب العالمية الاولى مباشرة.. فقد كانت القوى الاستعمارية فى مرحلة نمو واضطراد وقوة متعاظمة وكان الصراع الحتمى بين تلك القوى البارزة امراً مؤكدا.. وكان حتما أن تكون الأرض العربية المترامية والغنية ميدانا لذلك الصراع المنتظر.. ومكانا للاستعمار الجديد القادم.

كانت الدولة العثمانية المترامية الأطراف آنذاك مثقلة بالأعباء والديون.. وكان الوهن والضعف والتخلف يضغط عليها من كل جانب.. غير أن النظرة الإسلامية تجاه الصراع وتياراته كانت تحدد المواقف بداهة ولو إلى مدى محسوس.

لما كانت فلسطين وأراضيها جزءا من تلك الإمبراطورية المترامية فقد تعددت محاولات شراء اراضٍ فلسطينية من السلطان عبد الحميد.. وذلك «وفاء جميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية وكذاتجديد وبناء أسطول بحرى لحماية الإمبراطورية.. وأيضا تقديم قرض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فوائد لإنعاش مالية الدولة وإنماء مزارعها.. وغير ذلك».

كل ذلك مقابل السماح لليهود بدخول فلسطين بقصد زيارة الأماكن المقدسة.. وإنشاء مستعمرة يهودية قرب القدس الشريف «خاصة»..

ورفض السلطان عبد الحميد كل تلك الإغراءات.. وبشدة.

ولما تكررت تلك المحاولات تنبه السلطان إلى هدف القوى العالمية واليهودية فسارع برد فعل مواز.. وعلى الفور أمر «رؤوف باشا» متصرف القدس أن يقوم بالتحرى عن اليهود فى فلسطين العربية لاسيما فى القدس الشريف-

وأمره أن لايبقى فى الأرض المقدسة أحداً من اليهود الذين قدموا إليها بقصد الزيارة السريعه المشروعة.. وشدد على عدم السماح بالمكوث لليهود بأكثر من المدة المحددة لهم.. وكان ذلك كله فى صورة قانون اسمه «الجواز الأحمر».

يذكر هرتزل - الذى كان زعيم المؤتمر الصهيونى فى «بال » فى سويسرا - فى مذكراته التى طبعت بالألمانية فى تل ابيب ١٩٣٤م فيقول:

«بعث السلطان إلى وساما عالى الدرجة.. ومع الوسام جواب مفزع فيه هذه العبارة: بلغوا الدكتور هرتزل ألا يبذل بعد اليوم شيئا من المحاولة فى هذا الأمر توطين اليهود فى فلسطين - «فإنى: لست مستعدا لأن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب إلى الغير. فالبلاد ليست ملكى.. بل هى ملك شعبى روى ترابها بدمائه.. فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب».

وعندما زار وفد من اليهود جلالة السلطان عبد الحميد رفض استقبالهم.. وأمر تحسين باشا أن يستقبلهم بدلا منه.. وعندما بلغه مرادهم كانت إجابة السلطان:

«تحسين .. قل لهؤلاء اليهود الوقحين مايلى:

١- إن ديون الدولة ليست عاراً عليها.. لأن غيرها من الدول مثل فرنسا هى الأخرى مدينة وذلك لايضرها.

٢- أن بيت المقدس الشريف قد افتتحه المسلمون أول مرة بخلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولست مستعداً لأن أتحمل فى التاريخ وصمة بيع الأراضى المقدسة لليهود.. وخيانة الأمانة التى حملنى المسلمون إياها.

٣- ليحتفظ اليهود بأموالهم.. فالدولة العلية لايمكن أن تحتمى وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام.

واخيراً.. مرهم فليخرج هؤلاء من عندى .. وأن لايحاولوا بعدها مقابلتى أو الدخول فى هذا المكان».

أهم مافى تلك الرواية الثابتة هو البعد الأيديولوجى عند أطرافها والذى شكل وحدد مواقف الفريقين حتى مع حساسيتها خاصة بالنسبة لموقف السلطان عبد الحميد وضعف دولته وتآكلها آنذاك.

وفى سنة ١٨٨١م. أصدر الباب العالى فرمانا يقضى بمنع أية هجرة يهودية جماعيه إلى أراضى الدولة العثمانية خاصة إلى القدس وفلسطين،

كان ذلك كله صورة من صور الضغوط للقوى السياسية العالمية ضد الدولة العثمانية الإسلامية آنذاك.. وكانت مواقف وردود أفعال السلطان عبد الحميد تظهر قدره وتمكنه على الصعيد الدولى وتظهر إيمانه ومعرفتة بحقيقة التيارات السياسية وأهدافها.. وهكذا فقد لجأ اليهود إلى الطرق السياسية الخبيثة.. فتآمروا على السلطان عن طريق «جمعية الاتحاد والترقى» والتى كانت خاضعة فى فكرها للماسونية.. فتم خلع السلطان سنه ١٩٠٩ ثم سارع اليهود فألبوا بلاد البلقان تحت ستار القومية .. وجروا تركيا إلى حرب استعمارية لاغاية منها سوى الإجهاد وإضعاف الخلافة الاسلامية.

فى تلك الفترة تزايد وفى صمت وإلحاح عدد اليهود المهاجرين إلى فلسطين حتى وصل إلى ١٢ ألفاً سنه ١٩١٤.

توازى ذلك كله مع أحداث هامة.. ففى سنه ١٩٠٢م رمت المنظمة اليهودية إلى فتح جبهة أخرى فقد دخلت فى مباحثات مع الحكومة الإنجليزية.. وأظهرت رغبتها فى منح الحركة اليهودية جزءا من شبه جزيره سيناء كى يقيموا عليها دولتهم القومية.. وكان رفض الحكومة المصرية قويا.

كان اختيار المنظمة اليهودية لذلك المكان تحديداً لأسباب.. فشمال سيناء كان طريق هجرة النبى موسى من مصر.. فله أيضا عندهم البعد الدينى الذى قد يجمع اليهود ويثيرهم.. وهذا المكان ايضا يعتبر كمنفذ وطريق سهل مجاور

لفلسطين يمكن الانتشار منه إلى فلسطين.

كانت سياسة اليهود مرنة وذكية ونشطة كما تشير إلى ذلك المواقف والأحداث فهى تطرق كل الأبواب الكفيلة بتحقيق هدفهم الثابت المتفق عليه. فمنذ ١٨٩٠م وهرتزل يسعى وبإلحاح للحصول على حماية بسمارك.. وفى سنه ١٨٩٨. اقترح هرتزل على القيصر الألمانى غليوم الثانى – وكانت تراوده أحلام التوسع فى الشرق إقامة دولة يهودية فى الشرق تكون موقع قدم متقدم للمصالح والحضارة الجرمانية.. لكن القيصر وازن بين تلك الأحلام وبين ما سوف يترتب عليها خاصة مع حليفته الدولة العثمانية. فاتفق القيصر على تأجيل النظر فى تلك السياسة لما قد تجره آثارها من خلل فى موازين القوى العالمية فى ذلك الوقت.

وفى سنة ١٩٠٤م. هاجر كيميائى روسى يهودى معروف وهو د. وايزمان إلى لندن.. وأخذ الرجل يتصل بالساسة والصحف من مختلف الأحزاب.. ونجح اخيراً فى عقد صداقة شخصية مع اللورد بلفور.. ومع «سكوت» رئيس تحرير جريدة المانشستر جارديان وعدداً من الوزراء البريطانيين وغيرهم.. وأجرى وايزمان تجاربه بنجاح فى تصنيع المتفجرات اللازمة لإنتاج الذخائر الأمر الذى– ساعده فى التدرج الوظيفى حتى عين فى سنة ١٩١٦م فى منصب هام بحيث أصبح اللورد بلفور رئيسه المباشر.

نجح د. وايزمان فى استغلال السياسة الإنجليزية للوصول إلى هدفه الصهيونى اليهودى مع البريطانيين.. فقد كانت طبيعة السياسة الإنجليزية تعتمد على خلق مشاكل الاقليات لتدعيم الوجود البريطانى الاستعمارى فى تلك الدول.. ومن ثم فقد مهد الرجل لبريطانيا نظريا تقبل فكرة خلق دولة يهودية تكون عونا للإنجليز فى سيطرتهم على تلك المنطقة بعد أن تعهد وايزمان لهم بأن يكون عونا لسياسة الانجليز وفى خدمتهم.

وفى سنة ١٩١٤م نشبت الحرب العالمية الأولى.

★★★

نزل الاتراك الحرب العالمية الأولى كحليف لألمانيا ضد انجلترا حليفاتها.. ولم تكن الحرب فى أيامها الأولى تشير إلى الطرف الأرجح كفة.. واليهود بسياستهم المرنة لايلجأون إلا إلى الطرف الرابح.. ومن ثم انكمشت المنظمات اليهودية وتقلص جهدها واستمسكوا بالحذر حتى تتكشف لهم تيارات الحرب الرابحة والكفة الفائزة.. فلم يحدث تحرك سياسى يهودى ملموس الاتجاه حتى صيف ١٩١٦م.

من زاوية أخرى كان الأتراك وهم أهل خبره بالتيارات اليهودية منغمسين فى الحرب.. فتوجسوا خفية من أى تحرك لطلائع اليهود الصهيونية فى فلسطين.. فشددوا الرقابة عليهم وراحوا يقتلون المشتبه فيهم من اليهود الصهانيه.. ويطردوا من لايحمل تصريح إقامة دائمة من اليهود فى فلسطين وحتى ما جاورها من بلدان عربية.. وحينئذ تحددت مواقف الأطراف المتعارضة وبشكل نهائى- سارع بالهرب من فلسطين زعيم ارهابى صهيونى يدعى «زئيف جابوتنسكى» فلجأ إلى مصر .. إلى القاهرة تحديدا حيث اختفى عن أعين السلطات.. ولحق به إرهابى أخر هو يوسف ترومبلدوز ووجد الإرهابيان أن تيار الاحداث يدفعهم دفعا تجاه الكفة الإنجليزية.. فقرروا إنشاء جيش صهيونى يحارب الأتراك تحت الراية البريطانية.

سافر الارهابيان إلى انجلترا بعد موقعه «غاليبولى الكبرى» بين الأتراك والإنجليز.. وبدأ باستقطاب اليهود وكونا الفرقة الثامنة والثلاثين من القوات البريطانية المسلحة فى الشرق الاوسط غير أن أهم ما يعنينا هو منطلق الأحداث وما تعنيه.

فقد أصدر جابوتنسكى هذا صيغة البيان العسكرى لهذه الفرقة اليهودية الخاصة وهى على مشارف فلسطين العربية ضمن جيوش القائد البريطانى اللنبى.. جاء فيه:

«إسمع يا إسرائيل.. انصت لصوت قلبك.. إن ساعة الاستيلاء على فلسطين قد حانت وليس من العقل أن نترك الناس من الأمم الأخرى يستولون عليها..انصت لصوت عقلك.. ليس من المنطقى أن يحارب الانجليز أمام أعيننا ونحن قاعدون فى بيوتنا حتى يعيدوا إلينا هذه البلاد بعد أن يأخذوها بدمائهم.. انصت لما يقوله لك شعورك بالكرامة.. هل من الممكن أن ننتظر هذه الأرض هدية ممن استولوا عليها بدمائهم دون أن نبذل أرواحنا معهم جنباً إلى جنب؟!

إن دماء آبائنا التى سفكت على هذه الأرض منذ آلاف السنين ودم الإنجليز الذين يساعدوننا على الاستيلاء عليها اليوم لدم مقدس!! .. وهو يهيب بنا من ثرى هذه الأرض أن تطوعوا للقتال .. فلنخرج إلى ميدان القتال نحن ومحررونا معا.. ومن الله النجاه.. فاشتدوا وتشجعوا».

- والبيان واضح الاتجاه.. ولايحتاج لتحليل أو تفنيد..

غير أنه يشير أول مايشير إلى إيجابية وعملية اليهود تجاه أهدافهم مع وعى لموقفهم.

التساؤل الذى يفرض نفسه تجاه ذلك كله هو أين موقف العرب والمسلمين من تلك الأحداث مع وضوحها.. وإعلان نواياها؟!

إن تحليل المواقف ومحاولة تقييمها على أساس سليم أمر يفرضه الواقع الذى فرض نفسه على الجانب الإسلامى حتى الآن.

فى فبراير سنه ١٩١٨م كانت الطلائع الأولى من الفرقة اليهودية على مشارف فلسطين يقودها الضابط البريطانى الكولونيل «باترسون» رافعة الشعار اليهودى أو النجمة السداسيه الصهيونية.. ومكتوب عليها بالعبرية:

«**إن نسيتك يا أورشليم نسيتنى يمينى**» .. وهى آية من مزامير داوود.

كانت تلك الأحداث الجسام متسايرة ومتزامنة مع احداث وتغيرات عالمية هامة..

ففى روسيا.. قامت الثورة الشيوعية الكبرى فى سنه ١٩١٧م.. ولما كانت المادة اليهودية موجودة وبكثافة نسبية فى تلك المنطقة.. فقد فكر أقطاب اليهود فى أن يكونوا الطرف القاسم المشترك فى كل من المعسكرين الشرقى والغربى.. الشيوعى والرأسمالى.. وكان الهدف الأسمى من المعسكر الشرقى اليهودى هو تسهيل هجرة اليهود من روسيا وأوروبا الشرقية إلى فلسطين وبسرعة وكثافة لكسب وتأمين قضيتهم وهذا هو الهدف والأصل من كل تلك المواقف.. وما عداه لا يعدو سوى فروع تخدم ذلك الأصل والهدف الثابت.. وفقط.

وهكذا فقد شجع علماء اليهود وزعماؤها ومفكروها أبناء طائفتهم فى الانضمام والانخراط فى المنظمات الشيوعية بعد نجاح حركتها عالميا.

كان رد فعل المعسكر الرأسمالى مشيراً أيضا إلى تفهمه للمواقف والأهداف اليهودية فإذا كان جل اليهود وغاية همهم زيادة الهجرة اليهودية لزيادة ثقلهم فى فلسطين .. فإن ذلك يخدم بالضرورة .. ولو مرحليا – مصالح الإمبراطورية البريطانية والمعسكر الرأسمالى.. فلم يعارض الغرب ذلك الاتجاه ضرورة خوفا من تيار الشيوعية أو أى حجة أخرى.

على جانب المعسكر الشيوعى الشرقى– فقد كان من اليهود– أيضا – من اقطاب الفكر والفلسفة الشيوعية مثل كارك ماركس.. وفريدريك انجلز.. وكانت كتاباتهما من لهب فجر الشرارة الحتمية للثورة الشيوعية الاشتراكيه .. ورغم أن التنظيم الصهيونى العالمى حركت كل هذه الأفكار والأحداث للمصلحه الصهيونية العالمية– ورغم لمس المخلصين من أبناء الفكر الشيوعى الاشتراكى لتلك الحقائق فلم يحركوا ساكنا تجاهها – حيث إن هجرة اليهود ذاتها إن كانت هدفا للحركة الصهيونية العالمية فلا مانع لدى الروس فهم طبقة

كريهة بالنسبة إليهم.. وهكذا.. فكما كانت الشيوعية جدارا تستتر وراءه الصهانية.. فلم يمانع الشيوعيون فى حركتهم داخل هذا المعسكر طالما كانت الفائدة ملموسة من وراء ذلك.

وهكذا استمرت الهجرة اليهودية من روسيا واوروبا الشرقية إلى فلسطين دون معوقات تذكر.

المحلل المتتبع للحوادث المتتالية ليدهش ويتعجب من تجمع كل الظروف والملابسات فى جانب الصهانية وضد العرب المسلمين.. أصحاب الأرض والحق والتاريخ!!.. غير أنه يجب أيضا الاعتراف وتقدير الموقف اليهودى حق قدره رغم صعوبته.. فهو يتميز بالمرونة الفائقة.. والفهم الثابت العميق للتيارات العالمية المؤثرة فى الأحداث .. كما أنه يمتاز بنوع من الإصرار تجاه ما يؤمن به بصرف النظر عن أحقيته أو بطلانه.

فى المقابل .. فإن الجانب العربى ظهر وسط تلك التيارات وكأنهم يفتقدون إلى فهم واضح، ومن ثم فإنهم افتقدوا موقفا ثابت تجاه الأحداث وما تشير إليه الأحداث وما تتضمنه من صراع أيديولوجى فى المقام الأولى.. بل لقد رموا جميعا بالمسئولية كلها على الراعى.. «الدولة العثمانية» .. وفى أحيان أخرى كثيرة نزعوا إلى تقليم أظافره تحت شعار القومية والوطنية!!

ورغم ضرورة الإشارة إلى مواقف الجماعات الإسلامية ـ خاصة جماعة الاخوان المسلمين فإن الاعتراف بالتقصير العربى الاسلامى نحو الأحداث بشكل عام.. والبراعة اليهودية الصهيونية فى المقابل لا يؤثر حقيقة فى الحق المجرد فى تلك القضية.. كما تأثرت الحقيقة على أرض الواقع المؤلم.. ذلك الاعتراف المؤلم ضروره لابد منها.. وأمر يجب إعلانه وتحليله كى يكون نقطة انطلاق لتصحيح الخطأ فى المسيرة الإسلامية العربية.. وأهل القضيه

وجيرانها فى المقام الأول .. تلك هى الخطوة الأولى فى طريق الألف ميل.

ولنا أن نتساءل لنثبت ضرورة ذلك.. فما هو الهدف من تحركات العرب وما هو غايه آمالهم تجاه الأحداث؟!.. وما هى تحركاتهم الواجبة تجاه ذلك؟!

بل كانت القاصمة حقا حتى عن طريق السياسة!!.. وهو اتجاه وطريق للعمل مكفول للجميع منهزم ومنتصر.. ولايحتاج لقدره قدر احتياجه للفهم والعلم والمناورة مع وضوح الهدف والإيمان به.

حتى هذا الباب الهام تركه العرب.. للصهانية.

وعد بلفور

بنهاية الحرب العالمية الأولى تم احتلال المنطقة العربية بالقوات الإنجليزية والفرنسية- وتم تقسيم المنطقة إلى دول مع محاوله جاده لإنماء الروح القوميه القطرية على حساب الدوله الإسلامية الواحدة. فى نفس الوقت كانت جميع تيارات الأحداث تسير وتتماشى مع الحركة الصهيونية ورغبتها حتى على اختلافها!!.. فلم يجمع الجميع إلا هدف واحد وهو تحطيم وتقسيم الرجل المريض.

رأت الحكومة البريطانية فى الحركة الصهيونية واتجاهاتها الحليف الأوثق حيث إنه يخدم أهدافها فى تلك المنطقه الهامة.. خاصة بعد أن توثقت علاقات رجال الحكومة البريطانية ببعض زعماء ومفكرى المؤسسة الصهيونية العالمية حيث يشترك الطرفان فى رؤيه عقائدية للأحداث سوف نوضحها فى مكانها.. ظهر كل ذلك واضحا أشد الوضوح فى خطاب خطير للدكتور «جاستر» قال فيه:

«إننا نريد أن نقيم فى فلسطين كومنولثا يهوديا مستقلاً استقلالا ذاتيا !! بأدق معنى من معانى هذه الكلمات. إننا نريد أن تكون فلسطين فلسطين

اليـهـود.. وليس مـجـرد فلسطين لـليـهـود. إنـنا نريد لأرضـهـا أن تكون أرض إسرائيل.. ويجب أن تكون أرضها لنا!!»

هكذا.. وبمنهى الوضوح.. وحتى دون سياسة!!

فى ذلك الوقت ركـز حـاييم وايزمـان على توثيق عـلاقـاتـه بكبار رجـالات الساسة الانجليز حتى اطمأن «لويد جـورج» إلى فكرة إقامة وطن قومى لليهود فى فلسـطين.. وكـان اللورد بـلفـور صـديق وايزمـان الحـمـيم قـد نجح فى أن يصبح وزيرا للخارجية البريطانية.. وهنا نشطت الدوائر السـياسية الصهيونية حـتى أقنعت وأشبعت اللورد بلفـور بالفكرة الصـهـيونيـة.. ومزاياها بالنسبة للمصـالح السياسية والاقـتصادية الإنجليزية.. وكان ولابد أن يتمخض ذلك كله عن قرار سياسى بشأن مستقبل فلسطين أعلن فى وسط سنه ١٩١٧م.

وهكذا .. وصـل خطاب من سكـرتارية الخـارجـيـة البـريطانيـه إلـى اللورد روتشيلد رئيس الاتحاد الصهيونى ببريطانيا جاء فيه:

.. عزيزى اللورد روتشيلد...

من دواعى غبطتى الجمة أن أنقل إليكم **بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة** التصريح التالى:

.. بعطفنا على **الآمال** الصـهـيونية اليـهـودية الذى عـرض على **الوزارة** فوافقت عليه:

إن حكومة **صاحبة الجلالة** لتنظر بعين العطف إلى مسـألة إقامة **وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى** وسـتبـذل أقصى مـا فى وسـعـها من مساع لتذليل إحراز هذه الغاية.. مع العلم بأنه لن يفعل شىء من شأنه المساس **بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية!!**.. الموجودة حاليا فى فلسطين أو الحقوق الأهلية والسياسـيـة التى يتمتع بها اليهود فى أى بلد آخر..

وأكون مدينا لكم بالجميل إذا تكرمتم فأبلغتم هذا التصريح إلى علم الاتحاد الصهيونى

صديقكم المخلص : **آرثر جيمس بلفور».**

تناول المحللون ورجالات الدين والقانون والسياسة هذا الوعد أو التصريح على مدار الزمن وأجمع المنصفون على أن صياغة هذا الوعد.. وبذلك الشكل يحمل فى طياته إشارات عديدة تشير إلى اتفاق أهداف ونفسيات رجالات الساسة البريطانيين مع الأهداف الصهيونية مع إسقاط كامل لقانونية وأحقبة إصدار مثل ذلك التصريح حتى من قبل دوله محتلة ومهيمنة.

فعبارة «وطن قومى» لم يكن لها معنى محدد،، ولم يكن لها معنى متعارف عليه سياسيا وشرعيا. الأمر الذى يتيح لليهود على أرض الواقع حرية الممارسة العملية فى فلسطين لأقصى حد ودون تحديد.

أما عبارة «تنظر بعين العطف» فما حدودها فى قانونية التعهدات؟! ولاداعى للتساؤل عن ثمنها وعن قيمتها على أرض الواقع والأحداث.

واما كلمة «التسهيل» فى عبارة «ستبذل ما فى وسعها لتسهيل بلوغ هذا الهدف» فهى تعنى الكثير.. وتدين السياسة الإنجليزية قبل أن نتناول أحقبة وقانونية المطالب اليهودية ذاتها.

فلم تولد السياسة الانجليزية قاضيا ومنفذا للحكم.. بل هى مجرد طرف مهيمن فى الأحداث .. قبل أن تصبح قاضية.

أما وصف سكان فلسطين العرب «بالجماعات غير اليهودية» فتعبير أحمق غير أمين قبل أن يكون تعبيرا جانب الحقيقة.. فهم الأكثريه والغالبية دون شك حتى هذه اللحظة ومنذ آلاف السنين كما أشرنا إلى ذلك. كان السكان العرب آنذاك ٦١٠,٠٠٠ نسمة مقابل ٦٠,٠٠٠ يهودى فقط.. أى بنسبة ١٠:١ تقريبا.

من زاوية أخرى فـإن الإشـارة إلى الأغلبـيـة الـسكانيـة من الـعـرب المسلمين والـغـيـر منكورة بتلك الإشارة التى أسـقطـت التـحـديد يرفع على سـطح الفكر عـشـرات الاسـئلة التى تشـيـر إلى شعـور واضح فى انحـياز ومـؤازرة مـخططى السياسة الإنجليزية لليهود على أصـحاب الحق.. بل هى فى حقيقة الأمر تؤكد على أحقبة هـؤلاء السكان العرب المتمثل فى مـحاولة إسقاطهم المخل.

ثم .. كيف يمكن تقـييم الحقوق.. بل مـا قيمتهـا «المدنية والدينية للـجـماعات غـيـر اليـهـودية» بعد أن أسـقـط صـائغو هذا الـقرار أو الوعـد الـعـجيب ذاتيـة هذه المجتمـعـات نفسـهـا؟!.. الأمـر الذى أثبتته الأحـداث التى تلت هـذا القرار.. بل وإلى وقتنا هذا.

لـم ينكر واضعوا وراسمـوا السياسة الإنجليز كل ما رفع حول هذا الوعد.

بل وأيدهـم فى ذلك الساسة الإمـريكيون..

المسـتر «دى هاعـاس» الـصـائغ الأمـريكى فى هـذا التـصـريح «يقـول مـوضـحـا نفـسـيـتـه وهـواه قـبل أن يكون مـفـسـراً لما خطت يداه يقـول : «نحن نفـرق بين الـحقوق اليهـودية والادعاءات الـعربية» . هـكذا!! وبكل وقاحة وجهل.

على أية حال .. فإن المحلل والمدقـق فى صياغة وعد بلفـور يلمس بسـهولة أن واضـعى هـذا الـوعد الـخبيث قد وزنوا كلمـاته وصـاغوا عباراته بما يـخدم هـدفهـم.. وفـقـط.. ودون أية مـراعاة لأصـحـاب الحق والأرض والتـاريخ (١) الأمـر الـذى قد يشـيـر إلى قـدرة وملكات واحتـراف واضـعى الـقـرار وراسـمـى الـسـيـاسـة فى قلب حقائق الأمور.

ونحن سندفع كل ذلك.. من أقصر الطرق وأوضحها.

---

(١) وذلك هو المحور الأساسى للقضية

فأين الحق فى قلب موازين منطقه عاشت بتركيبة سكانية ذات خصائص عقائدية واجتماعية معينة ولآلاف السنين؟!.. وأين ذلك من موجات هجرة اليهود من مختلف أنحاء العالم على اختلافاتهم وتنوعهم؟!.. وهل حق الانتداب أو حتى الاحتلال يعطى المستعمر ذلك الحق؟

إن أخطر ما فى وعد بلفور حقيقة أنه يكشف نظرة القوم ومنظارهم تجاه المنطقه العربية،، أما الزاوية الخاصة التى تحاشى طرقها الجميع فقد وجب طرقها بعد أن بلغ الأمر مداه.. وهو أن ذلك القرار وما تلاه يوضح فى الوقت نفسه تفريط العرب فى أنفسهم.. وعدم استقلاليتهم الذاتية- وشعورهم بالنقص تجاه الطامعين الجدد.

كان موقف العرب من أطراف النزاع إبان الحرب العالمية الأولى محيراً.. فقد مالوا إلى الجانب الأنجلوفرنسى أملاً فى «وعد شرف» قطعه الانجليز لهم أن تتألف من الجزيرة العربية وسوريا والعراق دولة عربية واحدة مستقلة بعد الحرب.. وهكذا تغلب شعار القومية على شعار دولة الإسلام الواحدة.. ولذا - ايضا - أخل الإنجليز بوعد الشرف هذا بعد هزيمة الترك.

إن أهم مايميز المحور الذاتى للأحداث أنه يمكن أن يوجه الأحداث ويفرض نظرته على مجريات الأمور.. لكن ذلك المحور مازال-حتى الان- هشا ولاقصى حد.

جرى المحللون إلى تحليل وعد بلفور.. فتنادوا بأنه عبر عن نظرة السياسه الإنجليزية تجاه المنطقة ومستقبلها.. وأنهم تذرعوا بكونه صفقة سرية أعطوا بموجبها فلسطين كنتيجة حرب ثمنا لمساعدة اليهود لهم فى الحرب.. كما أرجعوا الحوادث لنظرتهم الصليبيه الدفينة تجاه المنطقه والتى رمت إلى اضعاف المنطقة أساسا وتمزيقها.. وقد تتمشى الوقائع والأحداث ظاهريا مع كل ما ادعوه أو بعضه.. غير أن العامل المشترك فى كل تلك المواقف والذى

يظهر الحقيقة يكمن فى المنظور النفسى وأبعاده وأساسياته للعالم الغربى.. الأمر الذى يشكل نظرته تجاه المنطقة العربيه.

وهكذا..

سرعان ما صادقت فرنسا على تصريح ووعد بلفور وتبعتها ايطاليا عام ١٩١٨م.

بل ووافقت روسيا بشرط «**المحافظة على مصالح الكنيسة الروسية الارثوذكسية** «**فى الأراضى المقدسة**» أما أمريكا.. فقد سارع «ويلسون» وأعلن عن مكنون شعوره ونفسيته.. وتقديره لما اسفرت عنه الحرب من متغيرات فاعلن «قيام دولة يهودية فى فلسطين.. فقال أمام الرأى العام الأمريكى:

«قررت الأمم المتحالفة بمساندة مطلقة من جانب حكومتنا وشعبنا إقامة أساس للدولة اليهودية فى فلسطين».

وهكذا نلمس اجماع فريدا.. مع اللامنطق!! هذا من وجهة نظر أصحاب الحق.. غير أنه طبيعى ومنطقى أيضا من وجهة نظر الطامعين فى ذلك الحق.. مهما تعددوا.. وتعارضوا طالما تسيدوا... إن الصعوبة فى تفهم وتقدير المواقف السياسية تنشأ من رفع الشعارات السياسية للمواقف وأطرافها.. مع تعارض مصالحها واختلاف أهدافها الحقيقية.

كان من نتائج معاهدة «سايكس بيكو» أن اختلف الحلفاء حول أنصبتهم فى تركة الرجل المريض غير أن الخلاف وإن تناول مصير فلسطين فقد كان خلافا تكتيكيا.. فالهدف الأساسى اشترك فيه الجميع.. لكنهم اختلفوا حول افضل الطرق لتحقيقه.. ولما كانت الروح القومية والوطنية.. وأخيراً الإسلامية بين العرب تقف حائلا أمام ذلك الهدف تناول مجلس الحلفاء الأمر بطريق السياسة والمخادعة.. وهكذا..

اقترح «ويلسون» إرسال بعثة تقضى أمريكية إنجليزية فرنسية مشتركة إلى المنطقة.. وأعلنوا أن هدف تلك البعثة هو تحديد رغائب أهلها؟! وسميت تلك البعثه «كنك كريين» كان تقرير هذه اللجنة مثلا من أمثله دور السياسة العالميه واثرها فى الأزمات المعضلة .. فقد رمت نفسيا إلى زعزعة الجانب العربى خوفا من اتحاده لمواجهة الأهداف الحقيقية للحلفاء.. جاء فى هذا التقرير:

«.. إذا اعتبرنا أن فلسطين ستصبح فى نهاية المطاف دولة يهودية!!.. فما لايجوز التغاضى عنه أن فلسطين «أرض مقدسة» بالنسبة لليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء.. وملايين المسيحيين والمسلمين فى كل أنحاء العالم قلقون لا أقل بأى حال من اليهود حول الاوضاع فى فلسطين خاصة تلك التى تمس المشاعر والحقوق المدنية-

ومن هذه الزاوية فإن الوضع فى فلسطين معقد وحساس إلى أقصى حد.. وحتى مع أحسن النوايا الممكنة.. نشك فى أن يبدو اليهود للمسيحيين والمسلمين حماة حقيقيين للأماكن المقدسة أو قيمين عليها.. والسبب يكمن فى أن هذه الأماكن مرتبطه باسم السيد المسيح.. وهى لذلك تعتبر اكثر قداسة للمسيحيين .. كما أنها مقدسة فى نظر المسلمين أيضا.. أما بالنسبة لليهود فإنها ليست مقدسة فحسب بل ممقوته أيضا!! لذا من غير المعقول بكل بساطة أن يشعر المسلمون والمسيحيون بالاطمئنان **فى حالة وضع هذه الأماكن فى أيد يهودية** أو حتى جعلهم قيمين عليها.. وبالاضافة إلى ذلك توجد أماكن كثيرة يكن نحوها المسلمون هذا الشعور!!..

لذلك- فإن المسلمين الذين ينظرون بعين التقديس إلى الأماكن المقدسة لجميع الديانات يكونون أفضل من اليهود لحمايتها.. ويصح التفكير فى أن الذين يدافعون عن النهج الصهيونى المتطرف لم يدرسوا بما فيه الكفاية جميع

آثار **الاحتلال اليهودى الكامل لفلسطين**.. إن مثل هذا الاحتلال سيؤدى حتما إلى تعاظم **الشعور المعادى لليهودية** سواء فى فلسطين.. أو فى البلدان الأخرى حيث يعتبرون فلسطين أرضا مقدسة.

وانطلاقا من كل ما مر ترى البعثة **بالرغم من شعورها العميق نحو قضية اليهود** أن من واجبها التوصية بأن **يوافق مؤتمر السلام فى باريس على النهج الصهيونى بعد تقليصة إلى حد كبير!!!!!!**

شريطة أن ينفذ حتى فى هذه الحاله ببطء كبير مما يعنى ضرورة تحديد معنى لهجرة اليهود ورفضهم مشروع تحويل فلسطين إلى دولة يهودية.. وفى مثل هذه الحالة **لاتظهر أيه موانع لضم فلسطين مثل بقية اجزاء سوريا إلى الدولة السورية الموحدة.**

أما الأماكن المقدسة فيمكن وضعها فى حماية لجنة دولية ودينية.. يجب بالطبع تمثيل اليهود فيها!!

انتهى

رغم أن تقرير بعثه «كنك كرين» هذه يبدو معتدلاً أشد الاعتدال ومنطقيا فإن هذا التقرير عند تحليله بدقه ووضعه تحت المجهر نجده أشد خطراً حتى من التقارير الواضحة والصريحة الأخرى مثل تصريح الرئيس «ويلسن» نفسه تعقيبا على تقرير اللجنة.. ولطمأنة ممثلى الحركه الصهيونية.. فقد قال ويلسون:

«إستنادا لرغبة الشعب الأمريكى ورغبته الشخصية ورغبة الحلفاء :على الصهيونيين أن يثقوا فى أن فلسطين ستكون وطنا قوميا للاسرائيليين..»

تأتى تلك الخطورة من أن تقرير بعثة كنك كريين يعطى مدخلا للنفس العربية فى طرح التفاوض السياسى كوسيلة مثلى لحل المشكلة الفلسطينيه..

لكنه فى مضمونه يؤكد اقتناع اليهود بقضيتهم.. كما أنه يرمى فى المساحة التفاوضية بورقة كانت أملا عربيا وهو قيام دوله سورية الكبرى الموحدة امام قيام دوله لليهود فى فلسطين- هذا كما أن واضعى القرار لهم تصور كامل ورأى فى منطقه تسعة أعشار سكانها باعترافهم أنفسهم- من العرب.. وهكذا فإن ابسط قواعد العدل أن يراعى القرار حقوق هذه الأغلبية الواضحة- والتى سادت المنطقة لآلاف السنين،

ثم هل من حق الغرب إحقاق الحق أو سلبه بالنسبة للعرب مع تلك الأغلبية.. حتى ولو كانت قوى احتلال؟! ومثل ذلك وغيره يتضمنه التقرير عند تحليله بعمق.

باختصار .. كانت مسألة الحق والعدل غير مطروحة.. لعدم منطقيتها من ناحية- ولوضوحها إلى الجانب العربى وضوح الشمس فى رابعات النهار.. كما أن الهدف من قيام دولة إسرائيل كما خطط لها مخرجو السياسة كان ابعد من الحق والعدل.. بل وعلى أنقاضهما.

ذلك كله لايجب أن يبعدنا عن لب المشكله.. وحقيقة الكارثة.

وهو موقف العرب أنفسهم من تلك الحقائق. خاصة أنها كانت تمس عقيدتهم من جانب رئيسى .

الموقف العربى تجاه القدس.

تعددت زوايا مناولة موقف العرب من قضية فلسطين والقدس من جانب المحللين والمؤرخين فى تلك الفترة الحاسمة.. فتعارضت وتباينت لاختلاف الميول والأهواء.. ولنمو السياسات القومية من ناحيه أخرى.. غير أن تناولنا للمواقف العربية المتعددة يجب أن يقيم أساسا من خلال المدخل السليم لقضية ومستقبل القدس الشريف.. ألا وهو المنظور الإسلامى للحوادث والنظرة

الإيمانية التى يجب أن توحد المسلمين تجاه قضيتهم على اختلاف ميولهم وتباين أهوائهم.

مثلا.. فى مرحلة من مراحل القضية رفض المصريون الوجود الاسرائيلى فى شبه جزيرة سيناء. وكان محور ذلك الرفض - أيضا - أن سيناء أرض مصريه اصلاً.. ولاشك فى ذلك. لكن ذلك الرفض أشار فيما أشار إلى ضيق أفق سياسى وتقصير إيمانى فلم يتم رفع المفهوم العقائدى للقضية والحكم على أساسه.. رغم أنه هو الأساس ذاته الذى يحاول الاخرون خلق واقع جديد بشأنه.. ولم يرتفع ذلك المفهوم الا عند حرب فلسطين.. مع أن اليهود اسمعوا العالم الغربى بأمانيهم العقائدية ووجهة نظرهم الإيمانية قبل ذلك بخمسين عاما أو تزيد.

أما بالنسبة للثورة العربية بقيادة الشريف حسين.. فقد كانت آمالها منصبة على تكوين دولة عربية موحدة فى المشرق العربى.. وبين النظرة التقديرية السليمة لقضية فلسطين.. وهكذا كان الشريف حسين يحارب فى جبهتين فى وقت واحد.

أما موقف الفلسطينيين أنفسهم فقد كانت تنبع من إحساس واقعى ملموس بأخطار باتوا يحسونها وكادوا يلمسونها لكن قرارهم شكلته ضغوط عديدة وقوى محتله عظمى أثر إلى حد بعيد فى فاعليته فى الأحداث.. مع أن هذا الموقف كان فى الحقيقة أهم المواقف قاطبة تأثرا أو فهما ولمسا للأحداث..

أما المواقف العربية الأخرى فقد كانت دون ذلك بكثير.

والمثير للاستغراب أن تلك المواقف مازالت بشكل أو بأخر كما هى فى تقديرها لخطورة قضية فلسطين والقدس حتى وقتنا هذا.. الأمر الذى يشير إلى خلل مؤكد فى تقدير العرب المبدئى لحقيقة الصراع فى فلسطين وقضية القدس.. والسبب تعدد زوايا الرؤية والمناولة للقضية.

على الجانب الآخر كان اليهود يشكلون خليطا عجيبا من يهود المشرق والمغرب والشمال والجنوب.. وعلى قله عددهم.. وتباين لغاتهم فقد التقوا جميعا على أرض فلسطين يجمعهم فهم عقائدى موحد تجاه القدس!!.

فى عام ١٩٢٠ وأثناء احتفال يهودى بعيد النبى موسى «عيد الفصح» هب الشعب العربى فى فلسطين فى ثورة عارمة تجاه ذلك الكيان السرطانى الذى يرمى إلى تثبيت كيانه.. وكان قتال وحرق.. وسلب ونهب.. وسقط القتلى من الجانبين.. وكان لليهود فرقه إرهابيه معروفه «للدفاع عن النفسى!!.. شكلها الارهابى المشهور جابوتنسكى.. بينما حرم ذلك على العرب!!

كما كانت هناك بعثة تمثل الوجود وقدم استطلاع للمنظمة اليهودية فى فلسطين.. وسمح لهذه المنظمات اليهودية بحرية إرسال أبنائها وبرقياتها عن طريق أسلاك البعد العسكرية البريطانية.. فى حين حرم ذلك على الجمعيات الاسلامية المسيحية.. الأمر الذى سمح لليهود والجانب الصهيونى بعرض قضيته بكل حرية وبالشكل الذى يخدم هدفه الأصلى.. فى حين منع العرب أصحاب الحق من مثل ذلك.

رغم ذلك فقد كانت المواقف أوضح من السياسات.

فى عام ١٩٢١م عين المستر ونستون تشرشل سكرتيراً عاما لشئون المستعمرات البريطانية.. وفى زيارة له للقاهرة سارعت الوفود العربية من فلسطين للقائه.. وعرض قضيتهم عليه.. وكان رده عليهم يشير إلى كثير من حقائق الموقف.. قال لهم:

«إنكم تطلبون منى أن ألغى تصريح بلفور.. وأن أوقف الهجرة. وهذا شىء ليس من سلطتى !!! وهذه ليست رغبتى «هكذا».. وفضلا عن ذلك **فإن الحق البين هو أن يكون لليهود المبعثرين مركز قوى !! ووطن قومى**

يجمع شملهم!!.. وأين يكون هذا الوطن إن لم يكن فى فلسطين التى اقترن بها اليهود **ثلاثة آلاف عام اقترانا وثيقا عميقاً**!! منذ ذلك التاريخ حتى الآن؟!.. ونحن نعتقد أن هذا شىء طيب بالنسبة للعالم وبالنسبة لليهود وبالنسبة للإمبراطوارية البريطانية.. وهو كذلك طيب بالنسبة للعرب الذين يسكنون فى فلسطين!!- ونحن نريد أن يكون كذلك.. وهم لن يطردوا من بلادهم!!.. ولن يقع بهم ضيم.. وسيكون لهم نصيب من فوائد الصهيونية وتقدمها!!..»

ولن نتناول تلك الهرطقة والكذب الصريح إلا من ناحية لم يلتفت إليها معظم الباحثين والمؤرخين.. فالسيد القائد بطل الحرب العالمية الثانية وسكرتير شئون المستعمرات البريطانيه لم يخجل وأفصح عن أهدافة وحقيقه رؤيته فى رده على نواب العرب الفلسطينيين.. وفى وطن عربى مسلم.. وبهذه اللهجة والأكاذيب المفتراة وبشكل اقل ما يوصف به أنه أوضح ميزانه للعرب فى دارهم وأسقطهم أمام أنفسهم.. ولم يتعفف فكذب وادعى عليهم وبشأن تاريخهم وأصولهم..

لايمكن قبول وتفهم مثل ذلك الموقف إلا من ناحية الاستهانه والإسقاط بأصحاب الحق .. ومرجع ذلك لضعفهم من جهة.. ولعدم تقدير العرب وايمانهم بقضيتهم ومدى مسها بالعقيدة من ناحية أخرى.. ومن تلك الزاوية فلا عذر ولوحتى التمسناه وبحثنا عنه وفلسفنا المواقف.

بل إن موقف النواب العرب من ذلك القائد الانجليزى يؤكد الضعف الإيمانى بقضية إيمانية لالبس فيها.. ففى حين كانت تعقيدات الموقف عالميا وفعليا محسوسة كان من الواجب تفاعل العرب بها على الوجه السليم.. فحتى ذلك الوقت وعلى أرض الواقع كان يمكن قلب الموازين فقد كانوا يشكلون ٩٠ ٪ من السكان.

لتفسير كل تلك المتناقضات فى المواقف يمكن القول أن طرفا من أطراف النزاع رفع المفهوم الإيمانى والمنظور الأيديولوجى.. فأسقطه الطرف الآخر.

فى السنوات الخمس من الانتداب البريطانى على فلسطين المحتلة كان المندوب السامى البريطانى يهودى ويدعى هربرت صمويل (١).. وهو من زعماء الحركة الصهيونية المعروفين.. وفى تلك السنوات تدفق على فلسطين العربية ما يقرب من ٥٠,٠٠٠ يهودى من مختلف أنحاء العالم.. تركز معظمهم فى منطقه القدس الشريف ،، من ناحية أخرى لجأت الإدارة البريطانية إلى اعتماد اللغات الثلاث العربية والعبرية والإنجليزية لغات البلاد الرسمية.. واستمرت السياسة البريطانية بنشاط فى محاولة تغيير الهوية العربية للقدس حتى أنهم سمحوا لليهود بزيادة ممتلكاتهم فى فلسطين بحوالى ٧٪ من مجموع أراضيها.. ونشطت الجهود الصيونية فى حركة محمومه لشراء الأراضى.

على الجانب السياسى فقد لوح أقطاب السياسة الإنجليزية للامير عبد الله بالتاج الفلسطينى وشرق الأردن ودارت المفاوضات مع الشريف حسين والده.. لكن الشيخ أظهر دراية كاملة بأساليب واهداف السياسة البريطانية والصهيونية وأبت عليه أخلاقه ودينه أن يندفع مع تيار السياسة وضغط السياسيين.

ورفض الشريف حسين وعد بلفور.. بل واتخذ موقفا متشدداً .. وعندما ازدادت الضغوط لم يخضع الرجل بل قال قولته المأثورة:« إن شرفى فى مهب الريح» .. وأصر الشريف حسين على موقفه المبدئى من قضية تهويد فلسطين.. فأرغم على التنازل عن عرشه.

وتنازل الشريف عن الملك والعرش.. ولم يتنازل عن إيمانه بقضيته .. فارتحل إلى «قبرص» وبقى بها حتى توفاه الله بها سنه ١٩٢٨م.

---

(١) نقلا عن كتاب: اليهود تاريخا وعقيدة ص٩١

وكان لابد من تفاعل ما مع المتغيرات على أرض فلسطين والقدس.

فى عام ١٩٢٩م قامت ثورة القدس.. والتى نشبت اثر مناوشه طعن فيها يهودى. وسرعان ما سرت ثورة كالنار فى الهشيم.. وانتشرت من القدس إلى مختلف القرى والأقاليم.. وقتل فى تلك الأحداث الدموية عددا من اليهود وعددا من العرب.

وفى عام ١٩٣٠م استقر الرأى فى لندن!! على ارسال لجنة لتقصى الحقائق فى المناطق المضطربة وأقامت اللجنة لمدة ثلاثة أشهر استمعت فيها إلى حوالى ١٣٠ شاهداً.. ثم عادت لتقدم تقريرها والذى جاء فيه:

(١) إن عدداً كبيراً جداً من المهاجرين الصهانية لاتحتمله البلاد.. حتى على الأسس والمقاييس التى رسمتها الحكومة لدخولهم.

(٢) إن هؤلاء المهاجرين يزيحون العرب ويحلون محلهم.. كما أن الفترة التى تكون فيها الهجرة كثيفة تعقبها بطالة شديدة وارتباك اقتصادى شديد.

(٣) إن مقاومة العرب للهجرة اليهودية مقاومة لها «أساسها المتين» من حيث كونها تنبع من النتائج المعروفة للهجرة المفرطة التى تدفقت على البلاد من قبل. وأن ذلك الشعور سيكون بلاشك عاملا لابد وأن يساهم فى انتفاضة إذا ما أضيفت إليها أسباب أخرى.

من الواضح أن اللجنة البريطانية كانت ولابد أن ترمى إلى مصلحة الانتداب البريطانى واستقراره مع تنفيذ أهدافه. فإذا كانت هجرة اليهود سوف تؤدى إلى انتفاضة عربية حتمية شاملة فإن الواجب التنبيه على ذلك والتحذير منه مع الاجتهاد لمحاولة مواجهه ذلك مستقبلا ومعالجة أسبابه قدر الامكان.. لكن ذلك كله لايستلزم تغيير الهدف الاساسى تجاه القدس وفلسطين.

وهكذا .. وفى نهاية ١٩٣٠م تعهدت الحكومة البريطانية رسميا فى كتاب ابيض بتنفيذ توصيات تلك اللجنة. هذا على الجانب الرسمى لتهدئه خواطر

العرب ومحاولة كسب الوقت.. وكوسيلة للظهور امام العرب بمظهر الراعى العادل!!

أما على الجانب العملى التطبيقى وعلى أرض الواقع فقد رمت – من هذا المنطلق نفسه– إلى تحقيق كيان سياسى رسمى لليهود فى القدس– وتحت الهيمنة والرعاية البريطانية– وكى يمكن إدارة ذلك الصراع الحتمى المنظور والملموس لخدمة اليهود وحسب المصلحة الصهيونية والغربية.. وعلى حساب العرب قطعاً.. وفطن العرب داخل إسرائيل لذلك كله.. فقاوموا المشروع .. وأحبطوه.

من ناحية اليهود – فلم يتقبلوا بدورهم ذلك المنظور البريطانى وتقديره للأمور.. بل أظهروا تبرأهم من السياسة البريطانيه والتى اعتبروها تراجعا مخلاً بالمواثيق والعهود مثل وعد بلفور.. وتصريحات الزعماء والمفكرين الإنجليز.. وعلى الفور اشتعلت المظاهرات فى أوروبا وانهالت الاحتجاجات الصهيونية على الخارجية البريطانية.. فاستقال وايزمان من رئاسة المنظمة اليهودية العالمية.. ثم سرعان ما استقال المستر «واربورج» من رئاسة مماثلة !! .. ثم استقال اللورد ملشيت من المنظمة ومن الوكالة اليهودية – وتبعهم غيرهم.

وعلى الفور كان الرضوخ البريطانى المشين أمام مواقف الاعتراض الصهيونية المكشوفة.. وتمثل ذلك فى رساله أو «كتاب أسود» من رئيس الوزراء البريطانى إلى د. وايزمان بتاريخ ١٣/٢/١٩٣١ وفيه اعتذر رئيس الوزراء البريطانى عن ذلك الموقف البريطانى وتعهد بمؤازرة ومساعدة اليهود فى القدس بلا حدود.. الخ.

واضح من المواقف وردود الافعال أن مواقف الانجليز واليهود كانت توصى إلى هدف واحد متفق عليه.. غير أنهم قد اختلفوا فى وسيله تحقيق هذا الهدف المنشود.. وذلك لاختلاف المواقف وتنوع المسئوليات وتعارض زوايا المناولة لا

أكثر.. الأمر الذى يدل عليه المرونة وسرعه التفاهم وسهولة التوافق عند حدوث اى بوادر للخلاف.

أهم من ذلك كله فإنه يشير إلى نمو الوجود اليهودى المتصاعد فى القدس وما يحمله ذلك من نظرة صهيونية خالصة للمواقف.. أصبح لها وزن وثقل يمكن لمسه وخطورته على الصعيد الدبلوماسى.

لكل ذلك.. تزايدت الهجرة اليهودية سنه ١٩٣٢م وبصورة خطيرة!! ولم يكن هناك رد فعل عربى لذلك المنهاج الثابت والواضح..

وفى ذلك العام أيضا طالب المؤتمر اليهودى الصهيونى والذى انعقد فى براغ بضرورة بناء واستكمال الوطن القومى لليهود فى فلسطين بأسرع ما يمكن.. والسماح بالهجرة اليهودية على أوسع نطاق.

اما فى القدس.. المرمى الثابت للحركة الصهيونية فقد شكلت مختلف الأجنحة والأحزاب العربية المسلمة الهيئة العربية العليا «برئاسة الحاج/ أمين الحسين.. مفتى القدس.. وأعلنت تلك الهيئة أهدافها ومراميها والتى تتلخص فى مواجهة ورفض موجات الهجرة اليهودية المتلاحقة إلى القدس.. وتحريم بيع أية أرض مسلمة أو عربية إلى الصهانية اليهود.. كما طالبت بإقامه حكومة وطنيه فى فلسطين معبرة عن معاناه وامانى ومطالب العرب فى فلسطين.

يمكن وبسهولة القول أن رد الفعل الإسلامى تجاه الأحداث كان فرديا أو فى جماعات اسلامية مثل جماعة الإخوان المسلمين المصرية.. لكن مواقف الحكومات والبلدان العربية لم يكن على نفس الدرجة الايمانية. الأمر الذى ترك بصماته على نتيجة الصراع.

أما فى القدس فإن الاحداث أشارت إلى حدوث تحرك دينى وسياسى ووطنى تجاه تطورات الأحداث ومقابل للحركة الصهيونية.. وحيث إن الحركة

الصهيونيه اعتمدت على مبدأ الواقعية ومستندة إلى القوة المادية والعسكرية المتمثلة فى الحركة الصهيونية العالمية ورجالات العصابات اليهودية والتحالفات الدولية فقد نمت فى المقابل الروح الوطنية العربية الفلسطينية.

جرت عدة اغتيالات وعمليات عسكرية بين الجانبين ألحقت الدمار ببعض الممتلكات الصهيونية.. ثم تطورت العمليات وتصاعدت إلى درجة العصيان المدنى العام.. وتوقفت الحياة الاجتماعية حتى صارت الأمور إلى حرب مدنية محدودة بين جموع المسلمين وتمثل الغالبية العظمى وبين عصابات اليهود المحترفة والمسلحة والمنظمة.. وهكذا شنت الهجمات على خطوط السكك الحديدية لقطع الاتصالات بين البلدان.. وأيضا نالت مراكز الشرطة نصيبها وانتشرت أعمال القتل والقنص.

كان التطور التنظيمى للجموع العربية بفعل القائد «فوزى القاوقجى» الضابط السابق بالجيش التركى.. ثم الجيش العراقى بعد ذلك.. ثم فى فلسطين.

لم يكن من القوات البريطانية إلا أن عززت قدراتها وقواتها.. واتخذت من الإجراءات ما يهدف إلى كسر شوكه القوات العربية الفلسطينية وتعزيز قواتها والقوات اليهودية.. غير أنها وفى نفس الوقت رفعت – مرة أخرى– باب المفاوضات لتجميع القضية وكسر الروح القتاليه العربية.

وهكذا.. أرسلت لندن «لجنة بيل» لاستقصاء الحقائق فى فلسطين.. وجاء تقريرها فى يوليو سنة ١٩٣٧م مقترحة تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام– القسم الساحلى مع مايليه من سهول خصبة لليهود.. والقسم الداخلى والذى يكون مع شرق الأردن كتلة واحده للعرب.. ويفصل بين القسمين دولة الانتداب والتى تشتمل على القدس.. وبيت لحم– والناصرة!!.

ورفض اليهود التقرير.. ولم يجد العرب بدا من رفضه أيضا واستئناف الجهاد مرة أخرى..

كان رد فعل الإنجليز ضد موقف العرب خاصة عنيفا وقاسياً.. فأحرقت وخربت القرى كما سجنت العرب الأحرار المعارضين- وانتشرت المحاكم العسكرية.. وحلت «الهيئة العربية العليا» كما اعتقل اعضاؤها.. وهرب مفتى القدس إلى بيروت.. ثم إلى العراق..

فى نفس الوقت نعمت القوات الصهيونية بعطف وحماية القوات البريطانية.. ونشطت الوكالة اليهودية وأخذت تنظم شئونها فى طمأنينة وثقة.. ولم تهدأ المقاومة العربية تجاه ذلك المخطط الملموس.

عادت بريطانيا مرة أخرى للعبة السياسة وجر العرب إلى بحر الامانى السياسية ورمالة المتحركة فألفت لجنة أخرى برئاسة «وود هد» فى نوفمبر ١٩٣٨م.. فدرست اللجنه واقترحت بدورها شكلا آخر من أشكال التقسيم..

ورفض العرب مرة أخرى.. بل وعلت الأصوات العربية فى العالم العربى كله مستنكرة سياسة بريطانيا الجائرة المتحيزة.. فى ذلك المؤتمر حضرت وفود تمثل دول مصر والعراق وشرق الأردن والمملكة العربية السعودية واليمن- كما مثلت فيه الهيئة العربية العليا سكان فلسطين العرب.. واستمرت اللجنة فى مؤتمرها لمدة ثلاثة أشهر كاملة..

فى أعقاب ذلك أصدرت بريطانيا «كتابا ابيض» آخر. كان ملخصه:

(١) أن تصريح بلفور الصادر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م انطوى على قيام وطن قومى لليهود وليس دولة يهودية فى فلسطين.

(٢) إن تحقيق الوطن القومى اليهودى قد تم بالفعل.. وعليه .. فقد توجب وقف الهجرة اليهودية إثر تهجير ما يزيد على ٧٥,٠٠٠ آخرين من اليهود فى فلسطين.

(٣) سكان فلسطين والذين يتألفون – حينذاك – من ١,٢٥٠,٠٠٠ نسمة عربية .. بالإضافة إلى ٦٥٠,٠٠ يهودى يجب أن يتمتعوا بحق تقرير مصيرهم بأنفسهم.. وأن يحصلوا على الاستقلال فى غضون عشر سنوات.

من الواضح من تلك السلسلة التاريخية أن السياسة الأنجلو صهيونية قد اعتمدت فى استراتيجيتها على المؤتمرات والقرارات المتعاقبة والمتتالية.. فى حين كان التغيير على أرض الواقع مستمراً وبكل قوة فى خدمة أهداف الصهيونية العالمية.. وقد كسب الجانب الصهيونى من جراء تلك الاستراتيجية– استراتيجية المؤتمرات والقرارات – أهم عامل فى تغير موازين القوى.. ألا هو عامل الوقت اللازم للهجرة ومحاولة موازنة الهيمنة العربيه السكانية (١).. مع ما يتبع ذلك من خلخلة للروح العربية القتالية خاصة كلما ارتفعت جلجله السلاح وصوت الحرب.

المدهش أن تلك السياسة مازالت مستمرة.. ومازالت فى نجاح بالنسبة للغرب.. وتم قلب نتائج بعض المواقف بواسطتها .. الأمر الذى يشير إلى تقصير استراتيجى عربى واضح.. بل وملموس.

واستمرت تلك السياسة الأنجلو صهونية فى حلقه مفرغة.. أو متواصلة..

فى أوائل عام ١٩٣٩م أعلنت بريطانيا عن عقدها «مؤتمر المائدة المستديرة»– مرة أخرى!! فى لندن .. حضر ذلك المؤتمر ممثلو الدول العربية المعنية.. وكان هدف وشعار بريطانيا المرفوع فى ذلك المؤتمر هو الوصول إلى التوفيق بين العرب.. واليهود.. فدعت أيضا ممثلى اليهود... بحث السياسون البريطانيون توفيق الأوضاع مع كل وفد. كل على حدة – وكانت نتائج هذا الجهد البريطانى ما أعلنته من قرارات فى نهاية المؤتمر فى «كتاب ابيض»

(١) حتى اصبحت نسبه العرب إلى اليهود ٢:١ بعد أن كانت ٩:١

أخر.. طالبت فيه بادخال ٧٥,٠٠٠ يهودى آخرين!!! فى غضون الخمسة أعوام القادمة.. ثم ادعت بعد ذلك واشترطت أن لا يدخل فلسطين بعد ذلك يهودى أخر إلا بموافقة العرب!!

حتى تكتمل المسرحية الهزلية قامت قومة الصهيونية العالمية.. فهاجموا ذلك الكتاب الأبيض.. مرة أخرى.. ولم يوافقوا عليه .. كما رفضه العرب كذلك.

من السهل ملاحظة أن الهدف من تلك المؤتمرات والقرارات المتتالية كان تهيئة الشعوب العربية لحقيقة استمرار وتصاعد الهجرة اليهودية كأمر واقعى لا مفر منه.. برغبة الطرف المهيمن.. غير أن أشد ما يؤسف له حقاً أن الأحداث العالمية بتطوراتها أنذاك مهدت بطريق مباشر أو غير مباشر لنجاح خطة الصهيونية .. والغرب.

التطورات الألمانية .. والهجرة اليهودية

تولت النازية الحكم فى ألمانيا سنه ١٩٣٣م. وكانت النزعة القومية قوية وعنيفة ضد كل من ليس جرمانيا آريا.. وذلك كرد فعل وطنى مباشر لهزيمة الألمان فى الحرب العالمية الأولى.. والحقيقة أنه قد انطبعت تطورات الأحداث على اليهود فى المقام الأول.

فى الأول من إبريل ١٩٣٣م. أصدر هتلر قراراً بمقاطعة اليهود.. وباعتبارهم جواسيس على ألمانيا وأعداء للشعب الجرمانى الآرى.. بل ورمى عليهم مسئولية هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى .. وندد بهم هتلر.. وحذر منهم الألمان.. وحض على مقاطعتهم.

استجاب الشعب الألمانى لذلك كله تحت تيار القومية الآرية المتصاعد.. وهكذا فى السابع من شهر إبريل نفسه أصدر هتلر قراراً بفصل كل من ليس آريا من عمله!!

وهكذا .. وجد اليهود أنفسهم رغم تنظيمهم وقوتهم وغناهم- مواطنين من الدرجة الثانية وسط شعب قوى يناهضهم .. بل ويستعديهم..

ولم يجد اليهود بداً من الهجرة إلى أمريكا.. وفلسطين أساساً.

كان موقف الصهيونية من ذلك التطور المفاجيء على الساحة العالمية للأحداث يظهر بوضوح مدى ميكيافيلية الصهيونية وطريقة تفكيرهم ومستوى أخلاقياتهم ومثلهم التى تحدد سياستهم الدولية تجاه أبناء عقيدتهم من اليهود.. فقط لخدمة أهدافهم المعلنة والمحدودة.. الا وهى اقامة دولة يهودية فى فلسطين.. بأى ثمن.

جاء فى كتاب «جاحاش».. أى التصلب الإنسانى - بقلم المحامى وعضو البرلمان شموئيل نمير .. وفيما ورد عن محاكمة الدكتور «كاستنر» ما يفيد :« أن رؤساء الوكالة اليهودية كان لهم التأثير المباشر فى إبادة يهود هنغاريا .. والبالغ عددهم ٨٥٠ ألفا من أجل مطالبة العالم كله بثمن تلك المجزرة «.. كان الثمن الجاهز آنذاك إقامة دولة صهيونية مستقلة على تراب فلسطين العربية!!.

وجاء فى كتاب «إيخمان فى أورشليم» ما معناه : «أنه قد تمت عمليات تبادل حفنة من الصهانية نظير الموافقة على إبادة مئات الالوف من اليهود العامة !!

وهكذا كان موقف الصهانية من قضيتهم .. فقد استغلوا حتى الموقف الطاريء فى أوروبا والذى تميز باضطهاد اليهود أنفسهم لخدمة هدفهم المعلن والمحدد وبأى ثمن(١) .. وليس هناك من إشارة تثبت عفونة السياسة الصهيونية وإيمانها بشعار «الغاية تبرر الوسيلة» من تلك المواقف الثابته هذا رغم أنها ترفع فى سياستها شعار الدين.. وقدسية أورشليم .. الخ.

واستمر الحال إلى تصاعد فى فلسطين.. حتى نشبت الحرب العالميه الثانيه فى سبتمبر سنه ١٩٣٩م.

(١) بعد سقوط الاتحاد السوفيتى تم توجيه تيار الهجرة اليهوديه إلى اسرائيل .. ولضمان ذلك المصب كمنفذ وحيد لليهود تم قفل بابا الهجرة الاوروبيه الأمريكية ليهود الاتحاد السوفيتى .. وغيرهم.

الحرب العالمية الثانية وتطوراتها بالنسبة لفلسطين والقدس

فى وقت الحروب تظهر حقائق الأمور وعمائق الأحاسيس وتتكشف النفسيات على حقيقتها فلا وقت لتقية .. ولامكان لسياسة..

كان ظهور نظامى الحكم فى ألمانيا وإيطاليا وما يشعران به من غبن نتيجة الحرب العالمية الأولى عاملا جعلهما يبحثان عن أسباب سقوطهما الأول .. ،فلم يجدا سوى اليهود.. والنظام الصهيونى واتجاهاته السياسة.. فصبا عليه جام الغضب..

استغل دعاة الصهيونية ذلك فضخموه بدورهم واتخذوا منه سببا وجيها بضرورة قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين.. فهم مطرودون ومشرودن فى أوروبا .. كما أنهم استطاعوا دون جهد إقناع اليهود المترددين بتوجيه هجرتهم إلى فلسطين العربية على وجه الخصوص. من زاوية أخرى فإن ظروف الحرب أجبرت بريطانيا على أن تعدل ما وعدت به العرب من أن تفكر بإنصاف فى مشكلة فلسطين كما جاء فى الكتاب الأبيض الثانى – بل سرعان مارفعت وعودها ليهود العالم بتحويل فلسطين إلى دولة يهودية خالصة – مستندة إلى رد الفعل للإعلام الصهيونى القوى والذى نجح فى تهويل كوارث اليهودية على ايدى النازية والفاشية.

ومرة أخرى نلحظ الصهيونية العالمية وسياستها المرنة الجديرة بالتحليل والتقييم .. فهى تعلم طريقها وتحدد هدفها وتعلم كيف تتعامل مع الأحداث على قدرها.. فوسط تلك الصعاب تفاعل اليهود إيجابيا مع أحداث الحرب العالمية.

فرغم كل ما صوره الإعلام الصهيونى القوى من حملات إرهاب «خيالية» ضد اليهود جرى د. وايزمان وراء هدف اساسى لتكوين فرق يهودية تساعد الحلفاء .. على أن تكون نواة للجيش الإسرائيلى إذا ما انتصر

الحلفاء فى الحرب.

تميزت تلك الفرق بعلمها الخاص الذى تبرزه.. وترفعه فى الاستعراضات العسكرية .. والمعارك كذلك أما على الجانب الأمريكى.. وبعد حتمية نزوله ساحة الحرب بعد بيرل هاربر .. ونظراً لما تميز به الكونجرس الأمريكى من نفوذ قوى وواضح وملموس.. فقد وقع ثلث أعضاء الكونجرس وحوالى ١٥٠٠ شخصيه أمريكية على بيان يطالب بإنشاء جيش يهودى. تم كل ذلك والحرب مؤذنة بالانتهاء.. وتبين للجميع رجحان كفة الحلفاء.. وكأن الأمر كان مقصورا على إعداد جيش قوى كنواه لقيام دولة إسرائيل فعلياً.. كما أن ظروف الحرب وما تميزت به من تصنيع للأسلحة أثر على تسليح عصابات اليهود الإرهابية فى فلسطين العربية مثل الهاجاناه.. وارجون زفاى .. واشتيرن وغيرها..

كان انتهاء الحرب ١٩٤٥م. بداية لمتغيرات وتوازنات خدمت جميعها القضية اليهودية فى توافق يثير التساؤل والتعجب.. قبل الدهشة والاستنكار.

ففى انجلترا.. سقطت حكومة المحافظين المنتصرة.. وتولت حكومة العمال إداره شئون الإمبراطورية البريطانية.. وعلى الفور تنصلت حكومة العمال من أيه التزامات تعيق حركتها لصالح الحركة الصهيونية العالمية وأهدافها فى فلسطين.

أما فى الولايات المتحدة .. فقد خلف «ترومان» روز فلت فى رئاسة أمريكا .. فاندفع فى السياسة الدولية بعد أن شعر ولمس الجميع بقوة أمريكا وهيمنتها على أحدث الحرب. الأمر الذى أهلها لقيادة العالم بعد أن وضح دورها وثقلها على ارض أوروبا جميعا عامة وخاصة.

فى تلك المرحلة برز أثر المليونير اليهودى «برنارد باروخ» والذى كان مستشاراً للبيت الابيض وبشكل دائم خاصة على عهدى ترومان وأيزنهاور.

وهكذا .. سرعان ماطلب ترومان من الحكومة البريطانية الترخيص بهجرة ١٠٠,٠٠٠ يهودى إلى فلسطين.. وسرعان ما وافق الإنجليز فأصدروا قراراً بفتح باب الهجرة اليهودية بنسبة معينة !! ثم إن لندن تفضلت فأوضحت أن ذلك الاجراء إنما هو «إجراء مؤقت» !!!

وسرعان - أيضا - ما تشكلت لجنة أنجلو- أمريكية برئاسة «هتشسون» القاضى الأمريكى للنظر فى مسائل الهجرة اليهودية والإقامة وغير ذلك من الشئون اليهودية على أرض فلسطين.. ولم يكن من المستغرب أن يرد فى تقرير تلك اللجنة سنه ١٩٤٦م وجهة نظر ترومان والتى تطالب بريطانيا بأن تلغى قوانين «تحديد» الهجرة اليهودية وتنظيمها إلى فلسطين.

غير أن ذلك التقرير أوصى أن لا تصبح فلسطين دوله يهودية - وأخرى عربية .. بل رأت اللجنة أن تصبح فلسطين خاضعة للضمانات الدولية التى ترعى مصالح المسلمين والمسيحيين واليهود فى الأراضى المقدسة!! وذلك كخطوة مرحلية.

بعد ذلك.. وبسنة واحدة.. وتحت التأثير الأمريكى والدول الاستعمارية وإغراءات الصهيونية أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ قراراً يقضى بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية وصهيونية .. وكانت خرائط التقسيم وتحديد الأماكن جاهزه..

جاء فى مذكرات ترومان عن تلك الحادثه الفاصلة:

«.. الحقيقة هى أن الضغط الذى وقع على الأمم المتحدة فى ذلك الوقت لم يكن له مثيل قط.. وأن البيت الأبيض تعرض لضغط لا أظن أن البيت الأبيض تعرض لمثله فى أى وقت.. إن إصرار وإلحاح الزعماء الصهيونيين الذى تحركه دوافع سياسية مصحوبة بالتهديدات قد ضايقنى وأزعجنى حقا.. بل إن بعضهم كان يطلب منا أن نضغط على دول ذات سيادة للحصول على الأصوات المطلوبة فى الجمعية العامة».

وذراً للرماد نجت من هذه الضغوط ثلاث عشرة دوله عربية وإسلامية.. بالإضافة إلى الهند واليونان وكوبا.. وفقط.

وفى ١٨ مارس ١٩٤٨م قابل وايزمان ترومان.. وسرعان ما اتفق الطرفان على قرار أمريكى يقضى بالاعتراف بإسرائيل كدولة مستقله يوم ١٤ مايو من نفس العام.

صدر ذلك القرار فعلا بعد إحدى عشرة دقيقة فقط من قيام إسرائيل كدوله!!

ولم يسبق أمريكا فى تلك البادرة الفريدة سوى الاتحاد السوفيتى!!

رغم ذلك كله.. ورغم علانية التيارات ووضوح الأهداف فإن انجلترا كانت صاحبة موقف أوضح وأقوى مما عداها.. كان الدور البريطانى يهدف بكل لهفة لحث أمريكا على أن تؤدى وتؤكد دورها فى تنفيذ ذلك المخطط ولخدمة الصهيونية العالمية بعد أن تراجعت بريطانيا.. وأقرت لأمريكا بالرئاسة والهيمنة..

يعترف د. وايزمان فى مذاكراته ويذكر بكل تقدير الموقف البريطانى فيقول:

«لقد احتضنت بريطانيا حركة الصهيونيه منذ نشأتها.. وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها ووافقت على تسليم فلسطين «خالية من سكانها العرب!!!» لليهود سنه ١٩٣٤م.. ولولا الثورات المتعاقبة التى قام بها العرب فى فلسطين لتم هذا الانجاز فى الموعد المذكور»

ويؤكد ذلك بن جوريون فهو القائل:

«إن حزب العمال كان قد سبق له أن اتخذ خلال الحرب قرارات تدعو إلى قيام الدولة اليهودية. قرارات فيها ما هو أكثر مما طالبت به الوكالة اليهودية

نفسها فى أى وقت!!.. وخصوصا قرارا يقضى باقتلاع كل العرب من الدولة اليهودية ونقلهم إلى البلاد العربية المجاورة».

ثم كان الإخراج الإنجليزى للحوادث..

فقد أعلنت انجلترا أن الانتداب البريطانى سينتهى على أرض فلسطين فى اغسطس من سنه ١٩٤٨م ثم .. وفجأه .. قدمت انجلترا ذلك الميعاد ليكون فى ١٥ مايو من نفس العام!!

كان ذلك بعد أن هيأت لليهود عمليا سبيل الاستيلاء على المناطق الاستراتيجية والساحليه لضمان التموين والإمداد.. وأيضا كمنافذ للهجرة والمساعدات.. وبعد أن دربت الإسرائيلين وعصاباتهم الإرهابية وكونت منهم جيشا مزودا بأحدث الأسلحة الغربية.

.. وكان لابد من الانفجار..

★★★

أما القادة والساسة العرب فرغم لمسهم ومعايشتهم للأحداث .. فماذا كانوا يملكون؟

على الجانب السياسى لم تكن محاولات العرب على قدر خطورة القضية وأبعادها المستقبلية المتطورة بحال رغم أن الإشارات الصهيونية كانت تهدد المنطقه كلها بشعار «من الفرات إلى النيل».

قامت محاولات سياسية فى مصر لمصطفى النحاس باشا لمناقشة القضية وتوضيح أخطارها وكيفية مواجهة الأحداث لكنها لم تسفر عن نتيجة.

أما حكومة نورى السيد فى العراق فأوضحت نظرتها فى المذكرة التى بعثت

بهـا إلى المســتـر «كـايزى» وزير الدولة البـريطانيـة فى ١٩٤٢م وهـى المذكـرة المعروفة «بالكتاب الأزرق» والتى اقترحت قيام دوله سورية الكبرى والتى تدخل مع العراق فى شكـل اتحاد فيدرالى.. كما اقـترح حلا لقـضية فـلسطين يقضى بأن يكون لليـهـود فى فلسطين كـيانهم الخـاص ويتم تحـديد شكل ذلك الكيـان باتفاق الدول العربية مع بريطانيا!!.. ورفضت بريطانيا ذلك الكتاب.. الأزرق.

إن بريطانيا لـم تكن تهدف من إنشاء جامعة الدول العربية على أساس الميثاق المبرم فى ٢٢ مارس ١٩٤٥م والذى يعكس ظروف العـلاقات بين دول متنازعة.. تتمسك بسيادتها الإقليمية وتؤكد احترام أنظمة الحكم الداخلية فيها إلا تحقيق أغراضـها.. وزيادة الفرقة بينها.. وتحقيق التوازن بينها وبين اليهود.. المهاجرين إلى فلسطين من ثم..

ونجحت بريطانيا فى اسـتراتيجيتـها لدور جامعة الدول العربيـة المرسوم لـها – فقد تـخلت الجامعة العـربية عن تزويد عرب فلسطين بالمال أو السـلاح.. كما احجـمت عن تبنى خطه لتدريب وتنظيم المنظمـات العربية وكان لذلك كله آثاره على نتيجة معركة ١٩٤٨م ضـد اليهود فى فلسـطين.

أما مـواقف الزعـماء والقـيادات فلم تعـد كونهـا مواقـف شـخصـية ذات تأثير محدود للغـاية.. تكتب لهم،.. كما يكتب عليـهم أيضا قيمة الأحـداث وخطورتها بالنسبه لتفهمهم.



ليس الغـرض من عـرض الأحـداث التـاريخـية وتحليلـهـا وتطورها مـجـرد التذكـير بهـا وسـط وقائع مـهدئه وسـياسـات ضـاغطة.. فى الوقت الذى يتـشـكل فيه الواقع حسب ما يراه الطرف المهيمن.

الغرض الأسـاسى والواجب اللازم تذكره وعلى الدوام أن مـا نعيشـه اليوم لا يعدو سوى مـرحلة من مراحل مؤامرة كـبرى.. وأمر أريد بالعرب مـنذ عشـرات السـنين فـقط.. فلاقى نجـاحا منقطع النظيـر.. وصل بنا إلى حالتنا التى نـعيش مرارتها .. وقسـوتها التى نحس بطعمها..

ويفرض علينا الواقع تساؤلا هام لايجب أن يغيب عن عقول القادة واولى الأمر.. فما هو الدافع لديهم لكل تلك والمواقف من بدايتها حتى الآن..؟! كما سنوضح .. وما هو المحرك الفلسفى والنفسى خاصة تجاه المقدسات الإسلامية والهوية العربية فى القدس وما جاورها من بلاد عربية؟!

يقينا فإن الدراسة الجادة والتحليل العلمى.. وحتى استعمال المنطق المجرد سوف يلقى الضوء على حقيقة الدوافع المحركة للأطراف الأخرى فى تلك الحرب الحتمية.. وذلك لوضوح التحرك والنية للطرف المعادى لإسقاطه لقيمة الطرف العربى؟!

من زاوية أخرى أساسية .. فإن هناك أمراً ملزماً.. فالموقف العربى الإسلامى تجاه مقدسات القدس يجب أن يتحدد تجاه الأحداث التى شارفت على التبلور فى صورتها النهائية.. وضروره الالتزام بذلك ضرورة إيمانية لاشك فيها.

يؤكد ذلك وبصورة لاتقبل السياسة ولا الفلسفة موقف الإمام العادل الفاروق عمر من القدس ومقدساتها حين فتحها.

كى نحدد الأمور وبصورة أوضح وأدق.. وأحرج فأن المنطق الصهيونى - الأنجلو كسونى البروتستانتى ينطلق دون شك هو الآخر من منطلق ايمانى.. فما نظرته ونيته تجاه مقدسات المسلمين؟!

وهكذا .. يمكن القول أن الأحداث تجاه القدس منذ البداية.. وحتى الآن- وفى المستقبل تحركها اتجاهات عقائدية من خلال مواقف الأطراف المتعارضة.. لكنها تختلف قطعا من زاوية مدى الالتزام العقائدى لتلك الأطراف تجاه مقدسات الآخرين..

قال بن جوريون :« إن إسرائيل ليس لها فى العالم غير حليف واحد وفى .. هو الشعب اليهودى. إن اسرائيل هى الدولة الوحيدة فى العالم التى لا أقارب لها سواء من ناحية الدين أو اللغة او الأصل.. إنها شعب يعيش فى هذا العالم بمفرده».

بصورة أخرى هم شعب الله المختار.. فما نظرتهم لغيرهم؟

توضح تلك العبارة – عند تحليها – أثر لغة التوراة الاستعلائية اليهودية.. وتنطبع عليها آثار حياة الجيتو الانعزالية.. وتترك آثارا من وقفة حائط المبكى العدوانية.. وتفسر مواقف اليهود ومدى احترامهم لحياة غيرهم من الفلسطينيين.. الأمر الذى نعايشه يوميا أما زاوية الغرب المسيحى للأحداث فتفسرة وتوضحه كتابات الساسة والمفكرين الأنجلو ساكسون البروتستانت خاصة . وضحت تلك النظرة منذ القرن السابع عشر فقد قامت على التعاطف البالغ مع الأمانى اليهودية.. ومع الإيمان والدعوة لعودة اليهودية إلى فلسطين خاصة.. لكن تلك الدعوة لم تقم على منظور يهودى بل نبعث من فكره اقتناع وإيمان بروتستانتى بضرورة عودة اليهود لفلسطين كأساس وضرورة لرجعة المسيح !! وقيام مملكته على تلك الأراضى بعد هدايته الأخيرة لليهود.!!

من ثم .. يمكن القول أن وعد بلفور ١٩١٧ خرج من وعاء الأصولية المسيحية السياسية .. أى الأصولية المسيحية البروتستانتية. اليهودية وذلك من خلال المنهج الذى ساد انجلترا منذ القرن التاسع عشر. الأمر الذى أعد الأنجلو ساكسون لتقبل فكره إعادة اليهود.. ويفسر مواقفهم من الأحداث.. خاصة أنها على المستوى النفسى تعد تطوراً إيجابيا بعد انتكاسات متعددة فى الحروب الصليبية المتوالية والمتعددة .. خاصة بعد أن لاح فى الأفق انهيار

الدولة العثمانية .. وتطور القوة الأوروبية والأمريكية بعد الحرب العالمية الأخيرة.

وهكذا يمكن وبسهوله لمس اختلاط المفاهيم الدينيه والاتجاهات العقائدية بالاعتبارات السياسية فى معركة القدس وفلسطين عامة.. الأمر الذى شكل دون شك السياسة الاستعمارية للمنطقة بعد الحرب العالمية الأخيرة..

أما من زاوية العرب.. أصحاب القضية .. فيمكن وبسهولة ملاحظة رفض السياسيين والزعماء العرب ولفظهم لأى منطلق عقائدى دينى تجاه الأحداث وفى مواجهة الخطط السياسية الغربية اليهودية تجاه قضية القدس.. أو حتى غيرها..

هل يفسر ذلك اللاتوازن أسباب نتائج الصراع منذ بدايته .. حتى الآن؟

سؤال يفرض نفسه فى اللاوعى؟

ولم يفرضه على مستوى الوعى سوى ضياع القدس المقدسة!!

الهجرة اليهودية المعنى والتاريخ

كان للمنظار والمنطلق العقائدى بصماته التى يمكن أن تبرز مواقف الأطراف العديدة المؤثرة فى خلق إسرائيل منذ بداية الأحداث .. بل ويمكن لمس ذلك المنطلق طوال مرحله قيام إسرائيل كدولة .. وحتى الآن .

بالنسبة للمنطلق الكاثوليكى التقليدى والرئيسى فلم يكن هناك أدنى احتمال أو فكر عن قيام أو خلق للأمة اليهودية كاستراتيجية عقائدية .. وكانت الكنيسة الكاثوليكية التقليدية تنظر إلي تفسير الفقرات الواردة فى التوراة خاصة فى العهد القديم عن عودة اليهود إلى أن اليهود قد اقترفوا إثما فطردهم الله من فلسطين .. إلى منفاهم فى بابل .. ثم لما أنكروا أن عيسى«ع» هو المسيح المنتظر نفاهم الله مرة ثانية .. فالنفى مرتين – وبذلك انتهى وجود ما كان يدعى بالأمة اليهودية .. وإلى الأبد .. ومن ثم فليس لليهود مستقبل قومى جماعى .. والخلاص الروحى الوحيد بالنسبة لهم إنما يكمن فى ارتدادهم للمسيحية .

وهكذا .. كانت النبوءات المتعلقة بعودة اليهود تؤول إلى عودة اليهود من بابل .. وقد تحقق ذلك فعلا فى القرن السادس ق . م . حين أعادهم قورش من بابل إلى فلسطين .

أما الفقرات التى كانت تتنبأ بمستقبل مشرق لإسرائيل .. فقد كانت تؤول على أنها تنطبق على إسرائيل الجديدة .. أى الكنيسة المسيحية ذاتها .. والتى كانت تعتبر نفسها - منطقا - الوريث الشرعى الأكيد للديانة العبرية .

كان من نتيجة ذلك مع تعاظم شأن الكنيسة الكاثوليكية أن تضاءلت أهمية القدس .. خاصة بعد عام ٥٩٠ م حين أصبح عرش البابا غريغورى العظيم مركز السلطة المسيحية .. وأصبحت لروما الحظوة من ثم على القدس .

رغم ذلك كله .. فإن اهتمام الكنيسة المسيحية بفلسطين والقدس خاصة ارتفع فى القرن الحادى عشر عندما احتلها الأتراك العثمانيون .. عندئذ تضامنت البابوية الكاثوليكية مع الأمراء والنبلاء فى الحملات الصليبية المتعاقبة لاستعادة الارض المقدسة من الكفرة .. مسلمون كانوا .. أم يهود !!

أهم ما فى الأمر أن العداء كان شائعا لليهود كما للمسلمين إبان الحملات الصليبية .. وقد توافق ذلك مع بداية نظام الأقليات والذى شهد عزلة اليهود فى جماعات خاصة .. مع لفظهم اجتماعيا عن المسيحيين .

وفى القرن السادس عشر م . قامت حركة الاصلاح الدينى المسيحى .. وظهر الحزب البروتستانتى والذى تعارضت أفكاره وفلسفته ونظرته مع الفكر الكاثوليكى .. حتى يمكن وصف فلسفة تلك الحركة بأنها ليست سوى بعث عبرى أو يهودى للمسيحية .. وكان منطقيا من ثم أن تتولد عنه نظرة فلسفية جديدة للديانة اليهودية .. مع تقييم جديد للماضى اليهودى .. وحاضره... ومستقبله ضرورة .

ساد تلك الحركة محوران أساسيان : الاعتقاد بالمسيح المنتظر .. والعهد الألفى السعيد .. وأهم ما فى الأمر حقا أن هذين المحورين من مقومات الفكر اليهودى .

وهكذا ... روجت البروتستانتية إلى أن اليهود أمة مفضلة - كما أكدت على حتمية عودتهم إلى الأرض المقدسة فلسطين .. ومن ثم ساد الاعتقاد بين البروتستانتين على أن عودة اليهود المشتتين إلى أرض فلسطين هى البداية الضرورية لعودة المسيح المنتظر .. كما أصبح العهد القديم هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد عند ذلك الحزب المسيحى !! ليس هذا فحسب بل قد تحتم الدعوة على أن العودة للعهد القديم هى الأصل السليم .. فهو مصدر المسيحية النقية الثابتة .. وحضت الدعوة على فهم نصوصه وأحداثه ومواقفه على ذلك الأساس المحورى !! .

كان للأبعاد النفسية لذلك الاتجاه الإيمانى الجديد آثاره وأبعاده .. تلك التى شجعت مثل بن جوريون على أن يصف الكتاب المقدس المسيحى بقولة :

«إنه صك اليهود المقدس لملكية فلسطين .. والذى يرجع تاريخه إلى ٣٥٠٠» عام من زواية أخرى .. فقد كانت ترجمة الكتاب المقدس للغات القومية على تعددها عاملا ترك أثره على نظرة البروتستانت .. فلم يعودوا ينظرون لأنفسهم على أنهم أبناء ابن مريم قدر كونهم أبناء سلسلة طويلة من الأنبياء العبرانيين !!:

ورغم أن نظرة البروتسانت إلى فكرة الحج للقدس كواجب لتكفير الخطايا كانت فكرة غير أساسية (١) .. فإن ذلك لم يمنع القوم فى أوروبا على أن ينظروا إلى فسلطين كأرض يهودية أساسا ..

«كان كل يوم أحد يعيد إلى ذهنه تاريخ مفخرة كل البلاد القديم وازدهارها المفقود فى الوقت الذى يشهد فيه الدمار القائم هناك بصدق الكتاب المقدس والبركات الموعودة ... وقد ساهمت الأوصاف

(١) يمكن تفسير ذلك كرد فعل لنتيجة الحروب الصليبية والتى انتهت بانتصار المسلمين فى آخر المطاف

التى وردت فى التوراة عن الأرض المقدسة فى نشر ما يمكن أن نسميه الفكرة الصهيونية»(٢)

مع انتشار وقوة وسائل الإعلام صارت روايات العهد القديم الأكثر شيوعاً، والمصدر الأساسى لتسجيل المعلومات التاريخية الهامة ... ومع تملك اليهود وسيطرتهم على تلك الوسائل بدأت فترة عملية التزوير التاريخى. الأمر الذى أبرز إلى الوجود فكرة الحق التاريخى لليهود فى أرض فلسطين .. وبمرور الزمان وتفاعله أصبحت مادة تلك الفكرة تشكل عنصرا هاما وأساسيا فى الفكر المسيحى البروتستانتى .. وكانت أهم الملاحظات على ذلك الفكر تقلص التاريخ الشامل لتلك المنطقة الدينية الهامة علي فترة التواجد اليهودى .. وفقط!!!.

من ثم .. فلا هجرة فى مادة التاريخ السياسى لفلسطين فى عقلية أوروبا المسيحية سوى هجرة إبراهيم ع .. ولا وجود لمملكة غير مملكة داوود .. ولم تعد هناك ثورات على أرض فلسطين إلا ثورات المكابيين .. ولا تاريخ ولا وجود لشعوب أخرى على تلك الأرض سوى لليهود !!!

وهكذا .. ومع بداية القرن التاسع عشر كان الاعتقاد بالبعث اليهودى يشكل جانبا أساسيا من فلسفة اللاهوت البروتستانتى الأنجلو ساكسونى .. حيث احتلت معتقدات المسيح المنتظر وظروف وشروط عودته ورسالته مكانا منتظرا وبارزا .. كما أثرت الانجيلية الامريكية فى بروز ثقافة شعبية تعتمد أساساً على التعاليم الصهيونية الدينيه والروحية .

«كان هناك ميل مسيحى قوى للاعتقاد بأن مجيئ المسيح

---

(٢) Robert W. Srookey "The Holey Land" Middle East Jaurnal Vol.30 No 3; 1976; P 353

المنتظر يجب أن ينتظر عودة الدولة اليهودية ... لم يكن ذلك الرأى جماعيا بين اللاهوتيين المسيحيين، ولكنه كان يشكل جزءا من مصفوفة التاريخ الفكرى الأمريكى التى كانت تتضمن دائما خيطا من العصر الألفى السعيد فى الفكر الأمريكى المسيحى البروتستانتى» (١)

نعم .. إلى هذا الحد كانت فلسفة المحافظين البروتستانت وكان أثرها على أكبر نسبة من الأنجلوساكسون والأمريكان فى نهاية القرن التاسع عشر وأوئل القرن العشرين .. حتى أن النظرة الدينية صورت للقوم اليهود ودولتهم المنتظرة على أنها مفتاح المستقبل بالنسبة للمسيحية ذاتها !!!

«إن الله كان يهدف طوال الوقت إلى غرضين متميزين .. أحدهما متعلق بالأرض وشعبها وأهدافها الأرضية .. وهى اليهودية .. وثانيهما مرتبط بالسماء وأهلها وأهدافها السماوية وهى المسيحية» (٢)

وهكذا ..

«فإن حدود الأرض الموعودة لإبراهيم ستعاد خلال العصر الألفى السعيد. وسيعود المسيح إلى مملكة سياسية ثيوقراطية قائمة على الأرض. ولها حكومة على غرار الحكومة الوطنيه القائمة» (٣)

ويمكن بذلك لمس لمدى التفاعل الإيجابى بين الصهيونية كفكر وبين

---

(1) Seling Alder; "America And The Holy land." Vol 62; No 1 sephember 1972; .

(2) Charles C.Ryne; Dispensationalism Taday, Chicago 1965; P. 138 F.

(3) Clarence B.Bass, Backgrounds to Dispensationalism (Grand Rapids, Michigan 1960) P. 150 .

الفلسفة العقائديه البروتسنانيتة ومن الطبيعى أن تنتشر تلك الفلسفة العقائدية وتزداد قوة مع نمو امريكا المضطرد .. وتقوى فكرة البعث اليهودى . البروتستانتى .. وتنتشر فى الصحافة العالمية والأدب الدينى.. والدنيوى وحتى السياسى ضرورة .

وكان من اللازم ظهور نجوم سياسة رفعوا تلك الأسس العقائدية كهدف سامى يحدد هدفه

ويلزم حركته .. ويشكل استراتيجيته .. منهم على سبيل المثال .. لا الحصر :

١ - وليام بلاكستون :

هو المؤلف .. والمبشر الإنجيلى ١٨٤١ : ١٩٣٥ .. والرجل الذى أنفق الملايين على التبشير .. وبطل صهيون البارز .. ومؤلف «كتاب عيسى قادم» عام ١٨٧٨ م .. ذلك المؤلف الذى بيع منه أكثر من مليون نسخة .. وترجم إلى ٤٨ لغة بما فى ذلك العبرية .. وذلك المؤلف نشر المثالية الصهيونية !! .. فى إطار الإيمان والاعتقاد بالعصر الألفى السعيد !!.

«ربما كان كتاب عيس قادم الشهير الذى كتبه وليام بلاكستون أكثر الكتب المتعلقة بعودة المسيح انتشارا .. وإن عدد الزعماء المسيحين الذين أثار الكتاب انتباههم لعودة المسيح كان يفوق عدد من أثر فيهم أى كتاب آخر نشر طوال عشرات السنين»(١)

من هؤلاء الزعماء مثلا :

ملفيل فولر كبير القضاة .. ومحافظون ورجال البرلمان .. كما كان بينهم رجال دين كاثوليك وبروتستانت وممثلون عن رجال

---

(1) W.M. Smith "Signs of the Times" Moody Monthly; Augst 1966.P.5

الأعمال والرأسماليين الأمريكيين مثل بيربونت مورغان .. وجون روكفلر .. ووليام روكفلر .. ورسل سيج .. وتشارلز سكربنر .. وغيرهم ..

كان من الطبيعى أن تؤثر تلك التيارات العقائدية فى النظرة السياسية الأمريكية تجاه قضية فلسطين – وتجاه القدس تحديدا .. وكان لذلك كله أثره فى الاهتمام بمسأله الهجرة اليهودية وتقديرها وأهميتها .

ولعل ذلك التيار يفسر نظرة التضخم الإعلامية لمأساة اليهود خلال الحرب العالمية الثانية .. فالأمر يمتد بجذوره قبل تلك الحرب بأعوام وأعوام .. !! .. ويحدد من ثم مسار هجرة اليهود تجاه المصب الفلسطينى أساسا .

٢ – الرئيس وودرولسن :

وكان ذلك الرئيس معروفا بميوله الصهيونية – وقد بعث إلى زعيم الحركة الصهيونية الامريكية الحاخام ستيغنى وايز برأيه فى وعد بلفور فى ٣١//٨/ ١٩١٨ .. فقال :

راقبت باهتمام مخلص وعميق البناء الذى قامت به لجنة وايزمان فى فلسطين بناء على طلب الحكومة البريطانية .. وأغتنم الفرصة لأعبر عن الارتياح الذى أحسست به نتيجة تقدم الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة والدول الحليفة منذ إعلان السيد بلفور بأسم حكومته عن موافقتها على إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .. ووعده بأن تبذل الحكومة البريطانية قصارى جهدها لتسجيل تحقيق ذلك الهدف .. مع الحرص على عدم القيام بأى عمل يلحق الأذى بالحقوق المدنية والدينية لغير اليهود فى فلسطين

.أو حقوق اليهود ووضعهم السياسى فى دول أخري» (١)

إن أدنى تحليل لتلك البيانات الرسمية توضح التيارات النفسية والعقائدية الإيمانية التى تحكم نظرة الأضداد تجاه القدس .. كما توضح أن المصادقة السياسية الرسمية تجاه وعد بلفور كانت قرارا متخذا سلفا .. كما تظهر النظرة تجاه أهل فلسطين العرب من غير اليهود وهى نظرة متدنيه وإسقاطية إلى أوضح حد وأبعد مدى .

من الطبيعى أن تتواجد على الساحة السياسية والفكرية العالمية من لا تتمشى مصالحه مع تلك التيارات الواضحة الهدف. خاصة إذا احترمنا ثقل الجانب الإسلامى المتمثل فى تركيا وقيادتها الإسلامية آنذاك رغم أنها كانت فى أدنى مراحلها .. وأدق مراحل تدنيها السياسى الاستراتيجى .. فقد كان ومن مستشارى الرئيس ولسن من كان يرى الحركة الصهيونية وأهدافها على حقيقتها .. مثل وزير خارجيته السيد روبرت لانسنغ .. إلا أن الرئيس ولسن أكد على نظرته الموافقه للحركة الصهيونية وأهدافها فى رسالته إلى مؤتمر باريس للسلام والذى عقد فى بداية عام ١٩١٩م ..

كتب الرئيس ولسن لزعماء الصهيونية فقال :

«لم أحلم قط بأن من الضرورى أن أقدم لكم تأكيدات جديدة عن التزامى بوعد بلفور ولم أجد حتى الآن من يعارض بشكل جدى الهدف الذى يجسده ..ولا أرى ما يدعو إلى الشعور بالإحباط .. بل أرى كل مبرر للأمل بالحصول على ضمانات مرضية» (٢)

---

(١) ولسن إلى ستيفن وايز .. اوراق ولسن .. مكتبة الكونفرس ، وشنطن .. ملف ٦ رقم ٦١٨ نقلا عن كتاب الصهيونية غير اليهودية .. تأليف رجينا الشريف .. عالم المعرفة – الكويت .

(٢) فرانكفورتر إلى لانسنغ ٢٣ مايو ١٩١٩ .. السجل العام لوزارة الخارجية .. ملف رقم ٨٦٧ رقم ٧٥/٠١

ليس هناك ما يفسر منتحى ولسن إلا إنتماءه للتعاليم البروتستانتية .. والتى تؤمن بالأسطورة الصهيونية والدولة اليهودية الحتمية .. فهو : «ربيب ببت القسيس ينبغى أن يكون قادرا على المساعدة على إعادة الأرض المقدسة لأهلها !!»

والمعروف أن ولسن ينحدر من أبوين ينتميان للكنيسة المشيخية .

ويمكن من ثم تفهم وتفسير ورقة العمل لوفد ولسن إلى مؤتمر باريس والتى أوصت :

«بدعوة اليهود للعودة إلى فلسطين !! .. والاستيطان فيها مع تأكيد المؤتمر على تقديم كل مساعدة مناسبة لذلك .. والتأكيد بأن سياسة عصبة الأمم ستكون الاعتراف بفلسطين دولة يهودية عندما تصبح يهودية فعلا» (٢)

إن روح جميع التصريحات والمواقف لزعماء الأنجلوساكسون .. والبروتستانتية الصهيونية كانت تتعارض – أنذاك – تعارضا يكاد يكون تاما مع النداءات والتصريحات حول حق تقرير المصير فى مؤتمر باريس .. الأمر الذى استوجب رفع الشعار الصهيونى فى وصفه لفلسطين بأنها أرض بلا شعب !!! .. كما أن فلسطين حرى بها أن تكون دولة يهودية لأنها مهد ووطن شعبهم – اليهود – المفعم بالحيوية . !!

ليس هذا فحسب ..

بل إن موقف الرؤساء والذين خلفوا ولسن لم ينحازوا عن موقف سلفهم .. حتى مع تفاوت وتباين الظروف العالمية والمتغيرات الدولية .

---

(١) فرانكفورتر إلى لانسنغ ٢٣ مايو ١٩١٩ .. السجل العام لوزارة الخارجية.. ملف رقم ٨٦٧ رقم ٠١/٧٥

(2) David Hunter Miller . My Diary at the Canference of Paris Policy Towards Palashine "New York 1924" Vol 4; PP4-236.

يذكر الرئيس السابق ريتشارد نيكسون فى كتابه الأخير الفرصة السانحه عن نظرة أمريكا تجاه إسرائيل .. فيذكر :

«إن اكثر ما يهمنا فى الشرق الأوسط هو البترول وإسرائيل .. ولو أنهما لا يسيران دائما فى اتجاه واحد .. فالتزاماتنا نحو إسرائيل تجعلنا نتحمل مصاريف باهظه فى بترول الخليج »

وما بين الرئيسين والزمنين .. وتطور الموقف تجاه إسرائيل ذاتها فلم يتغير الموقف المبدئي للغرب البروتستانتى تجاه إسرائيل .. وقطعا بعد ذلك .

إن الدارس والمحلل لتلك المواقف والقرارات الأساسية والمبدأئية لا يمكنه تفسير تلك المواقف على أساس منحى شخصى أو مصلحة سياسية أو حتى استراتيجية .. فالأمر الذى يمكن لمسه وحتى شمه من تلك المواقف أنها مواقف تعتمد على تركيبة أيديولوجيه وأيمانية. الأمر الذى صبغ تلك المواقف بقوة لا شعورية واضحة أشد الوضوح .. وتزداد قوة ورسوخا مع تطور المواقف ورسوخ الدولة الصهيونية فى إسرائيل .

★★★

مع نمو القوة الأمريكية المضطرد كان من الطبيعى أن تحول الحركة الصهيونية العالمية كل جهدها لإنماء تلك العلاقة الخاصة مع أمريكا .. وكانت بوادر ذلك النشاط مشجعة للغاية لوجهة النظر الصهيونية .. كما كانت عملية أيضا لأقص حد .

منذ الثلاثينات – وقبلها – جعلت المنظمات الصهيونية جل همها وأعظم أهدافها فى مؤازرة الهجرة اليهودية إلي فلسطين العربية .

وهكذا .. فى عام ١٩٣٠ م .. تكونت منظمة صهيونية شكلها الكاهن تشارلس أى رسل وتدعى اتحاد المنظمات الأمريكية الموالية لفلسطين – وأعلن عن هدف المنظمة الاساسى:

...تكريس جهودها لتشجيع التعاون الأوثق بين اليهود وغيرهم المسيحيين والدفاع عن قضية الوطن القومى اليهودى كما تحدد فى انتداب فلسطين».

وفى عام ١٩٣٦ م طلبت تلك المنظمة من رئيس الوزراء البريطانى ستانلى بلدوين أن يسمح بالهجرة اليهودية المتزايدة إلي فلسطين مؤكده على أن :

«إعادة أرض إسرائيل لأبناء إسرائيل هى النجم الساطع فى هذا الصراع العظيم من أجل عالم وإنسانية أفضل»

وفى ١٥ ديسمبر من نفس العام أشرف اتحاد المنظمات الموالية لإسرائيل على عقد مؤتمر أمريكى فى نيويورك لبحث المشكلة اليهودية .. شارك فيه أكثر من ٢٠٠ شخصية حكومية ودينية .. واختتم المؤتمر بتوصيات جاء فيها **«إن واجب كل المجتمعات المتحضرة أن تساعد اللاجئين اليهود الفارين من التعذيب فى ألمانيا وأوروبا الشرقية على العودة إلى فلسطين .. ملاذهم الطبيعى !!!»**

من زاوية أخرى .. فإن ذلك التيار الملموس لم يكن وقفا على الاتجاه الرسمى السياسى والدينى بل ظهرت لمسته – ومنذ البداية – حتى فى الحركة العمالية الأمريكية !! .. فقد كان لاتحاد العمل الفيدرالى الأمريكى "AFL" موقفه الواضح والمعلن تجاه وعد بلفور. ففى نوفمبر من عام وعد بلفور نفسه ١٩١٧ م أصدر ذلك الاتحاد العمالى قراره باعترافه بالمطالب الشرعية للشعب اليهودى لإقامة وطن قومى فى فلسطين على أساس حكومة ذاتية !!.

لم يكن الموقف المبدئى من جانب الحركة العمالية الأمريكية تجاه قضية الوطن القومى اليهودى فى فلسطين حادثا منعزلا عن غيره من تيارات قوى الشعب الأمريكى .. البروتستانتى .. بل ظهر أيضا فى غيره من القوى السياسية .. والاجتماعية .. والعمالية ..

بالقطع لا يجمع بين تلك القوى جميعها سوى الاتجاه الدينى البروتستانتى

★★★

من الطبيعى أن تتضح النيات .. وتعلن السياسات على أشدها فى أوقات الهيمنة الأنجلوساكسونية الأمر الذى يمكن لمسه بسهولة فى الحرب العالمية الأخيرة .. بل لقد أصبح ذلك الاتجاه ورقة يلعب بها السياسيون لضمان النجاح والاستقرار ..

وهكذا .. عندما أعلن المرشح الجمهورى للرئاسة توماى أى ديوى فى اكتوبر ١٩٤٤ م عن موافقته على بند سياسة الجمهوريين والمتعلقة بفلسطين .. والقائمة على دعم الهجرة اليهودية الغير مقيده إلى فلسطين .. ودعم وعد بلفور والعمل على تنفيذه .. لم يتردد روزفلت هو الآخر فى الإعلان عن بنده فى برنامج حزبه الدعائى .. فقال :

«اننا نحبذ فتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية .. غير المقيدة .. واستيطانها .. كما نحبذ أية سياسة تؤدى إلى إقامة كومنولث يهودى ديمقراطى حر هناك»

بل لقد أعلنها الرجل واضحه جلية - فتحدث عن فلسطين فى معرض دعايته الانتخابية كرئيس للولايات المتحدة !! .. فقال :

«.. ستبذل جهود لإيجاد السبل والوسائل المناسبة لإنجاز هذه السياسة طالما كان ذلك ممكنا - إننى أدرك أن اليهود عملوا طويلا وبحماس لجعل فلسطين كومنولث يهودى ديمقراطى حر .. وإننى لعلى يقين بأن الشعب الأمريكى سيؤيد هذا الهدف .. وإذا ما أعيد انتخابى فسأساعد على تحقيق هذا الهدف» !!.

وصدق الرجل .. فقد كانت جهود روزفلت هى التى أدت إلى عقد مؤتمر إيفيان عام ١٩٣٨ م والذى رمى إلى تخفيف مشكلة اليهود اللاجئين الأوروبية

قامت الخلافات فى هذا المؤتمر لتحديد الهدف الأصلى للهجرة ووجهتها .. فبينما كانت فكرة المؤسسة الصهيونية قائمة على افتراض أن فلسطين يجب أن تكون المصب الوحيد الذى يستقبل اليهود المهاجرين .. طالبت أمريكا وبريطانيا أن يتناول المؤتمر رغبة اللاجئين .. وحرية هجرة اليهود .. وتخفيف قيود قوانين الهجرة فى الدول الأوروبية والغربية !!

ومن ثم فشل مؤتمر إيفيان

وعقد مؤتمر آخرا فى برمودا فى إبريل ١٩٤٣ م وبضغط من روزفلت نفسه . لبحث مشكلة الهجرة اليهودية برمتها ..وفشل أيضا هذا المؤتمر نتيجة ضغط الكونجرس الأمريكى والصهيونية العالمية اللتان اتفقت رؤيتهما على الإبقاء على القيود المفروضة على الهجرة اليهودية للدول الأوروبية الغربية .. وجعلها حرة ومفتوحة لفلسطين والقدس خاصة .

رغم وضوح التيارات السياسية وقيام الحرب .. وسهولة لمس أهداف التيار الصهيونى فإن روزفلت لم يتخذ أى موقف عملى مؤثر لظروف الحرب من جهة .. ولعدم تسليمه بأن المصالح الأمريكية متفقه ومتوازية مع المصالح الصهيونية فى الشرق الأوسط .. الأمر الذى يمكن تعليله بظروف وطبيعة الحرب .. ومستقبل المنطقة العربية بعدها .

ذلك كله أوضحه خليفته ترومان والذى تولى الرئاسة الأمريكية فى ١٢ إبريل ١٩٤٥ م .. فعند انتهاء الحرب .. وانتصار أمريكا والحلفاء .. كانت سياسة ترومان تجاه الشرق الأوسط وفلسطين خاصة واضحة جلية .. بل

ومؤثرة وعملية .. الأمر الذى أثر فى المنطقة بشكل أساسى حتى يومنا هذا..

فما إن تولى ترومان منصب الرئاسة .. حتى أصدر بيانا صحفيا مفاده :

«إن وجهة النظر الأمريكية من فلسطين هى أننا نريد أن نسمح بدخول أكبر عدد ممكن من اليهود إليها قدر الإمكان – وبعد ذلك يبحث الموضوع مع البريطانيين والعرب بالطرق الدبلوماسية .. حتى إذا ما أمكن قيام دولة هناك فإن ذلك يمكن أن يتم على أسس سليمة !!».

المدهش .. أن ذلك الرجل أدلى بوعود مناقضة تماما لزعماء العرب .

لكن وكما هو معروف .. فإنه فى لحظات الانتصار والنشوة تنكسر مبادئ السياسة والحنكة للشعور بالقوة والهيمنة .. الامر الذى وضح على أقوى صورة فى خطاب ترومان للملك عبد العزيز آل سعود فى ٢٨ اكتوبر ١٩٤٨ م .. حيث ذكر ترومان فى رسالته :

«.. من الطبيعى أن تشجع الحكوّمة فى هذا الوقت وصول أعداد كبيرة من اليهود المرحلين من أوروبا إلى فلسطين .. لا لكى يجدوا مأوى لهم هناك فحسب .. بل ليساهموا بمواهبهم وطاقاتهم فى إقامة الوطن القومى اليهودى».

وهكذا أوضح الرئيس الأمريكى هدف سياسته الثابتة الأسمى .

كانت تلك الرسالة بمثابة رد على موقف الملك ابن سعود الذى أشار فيه إلى موقف ترومان المعلن من مقترحات موريسون رغرادى .. والتى وضعت فى عام ١٩٤١ م وأوصت باقامة دولة فيدرالية فى فلسطين تضم أقليات كانتونات عربية ويهودية منفصله فى منطقتى القدس والنقب .. فقداتهم الملك ابن سعود ترومان بأنه غير الموقف الأساسى الأمريكى فى فلسطين على النقيض من الوعود السابقة .

فما هو المحور الذى تدور حوله المواقف ؟! .

ليس هذا فحسب .. بل إن تسجيل التاريخ لبعض المواقف التصادمية المتعارضه بين ترومان ومستشاريه .. وبين المنظمات الصهيونية ورجالات الإعلام يمكن تفسيرها على أساس عقائدى وتعارض ذلك مع المستلزمات السياسيه والمواقف المرحلية وتقديرها آنذاك.

كانت مواقف الجماعات الصهيونية ترى التيار الأمريكى وميوله حتمية وإيجابية بالنسبة لقضيتهم نتيجة إيمانهم بالبروتستانتية ونظراتها الفلسفية تجاه فلسطين .. فى حين كان موقف المسئولين السياسيين الأمريكيين يتضارب - فى بعض مراحل التفاعل - مع المصلحة السياسية المرحلية الامريكية وأيضا مع فظاظة الضغوط الصهيونية والتى يمكن تفهم مصدرها .

على أية حال .. فقد كان للتيار العقائدى أثره فى السرعة التى أبداها ترومان فى الاعتراف بدوله إسرائيل فى مايو ١٩٤٨ م .. وحتى قبل أن تطلب منه ذلك حكومة إسرائيل المؤقتة بشكل رسمى .

وفى احتفال أقيم فى معهد لاهوتى يهودى .. قدم إيدى جاكسون ترومان إلي الحضور واصفاً إياه بأنه الرجل الذى ساعد على خلق دولة إسرائيل

وكان رد ترومان كاشفا لحقيقة التيارات النفسية اللاشعورية العقائدية .. بل كان متشبعا بفكرة اليهود ونظرتهم إلى النفى والبعث من جديد .. فقد قال «**ماذا تعنى بقولك ساعد على خلق .. إننى قورش .. إننى قورش ..ومن ذا الذى ينسى أن قورش هو الذى أعاد اليهود من منفاهم فى بابل .. إلى القدس» !!**

إن أهم ما فى ذلك كله هو تحليل تلك المواقف لمعرفة ولمس الاتجاهات اللاشعورية والعقائدية التى تحكم السياسات وتوجه الأهداف نحو غايتها ..

وذلك حتى يمكن مواجهتها بما يناسبها .. فلم تتغير السياسات .. قدر ما وضحت وبانت .

حتى على المستوى العام للرأى الامريكى الشعبى لم يختلف الموقف .. فالمواقف لقوى الشعب وطبقاته وحركاته العماليه .. بل وعلي مختلف الطبقات الاجتماعية أشارت كلها إلى تفهم وتأييد الحركة الصهيونية فى اتجاهاتها المعلنة تجاه القدس وفلسطين .

أما عن رأى الكونجرس الأمريكى فلم يكن بدوره بعيدا عن ذلك التيار القوى .. ولم يكن هناك خلاف بين حزبى الأمة الأمريكية الرئيسيين .. الجمهوريين والديمقراطيين – فى منظارَهم للمستقبل المنشود لفلسطين خلال فترة الحرب العالمية الأولى .. وأيضا الثانية – وحتى قبلهما .. وحتى الآن . أهم ما يميز هذه الرؤية إنها على تاريخها نالت الإجماع فى موضوع مستقبلى .. تمناه الجميع. فما هو المحور الذى جمع الجميع .. ووحد الفكر تجاه تلك المشكلة؟! .

يجيب على ذلك التساؤل .. ويشير إلى ذلك التيار اللاشعورى والذى شكل الرؤية الأنجلوساكسونية للأحداث استشهادات أعضاء الكونجرس الامريكى نفسه .. وتحليله .. فقد استشهد بعضهم على رؤيتهم المستقبلية بالعهد القديم .. العبرانى .. واعتمدوا فى ذلك نبوءات توراتية بحته :

«كما خلص موسى الإسرئيليين من العبودية .. فإن الحلفاء الآن يخلصون يهوذا من أيدى الاتراك القبيحين .. وهى الخاتمة الملائمة للحرب العالمية هذه .. إن يهوذا يجب أن تقوم كأمة مستقلة .. وتكون لها القوة لتحكم نفسها وتتقدم وتكمل مثاليتها فى الحياة .. إننى أحس أننى أعبر عن أفكار الشعب الأمريكى .. وبالتاكيد عن أفكار اؤلئك الذين بحثت معم هذا الموضوع وهو

..أن الحكومة الأمريكية يجب أن تمارس سلطاتها الملائمة لرؤية هذه الدولة تقام لتنبثق منها تعاليم ومبادئ يهوذا القديمة.»

وفى يونيو ١٩٢٢ م . كان قرار مجلس الشيوخ الأمريكى :

«إن الولايات المتحدة الأمريكية تحبذ إقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين طبقا للشروط التى يتضمنها وعد بلفور .. وعد الحكومة البريطانية فى ٢٢ نوفمبر ١٩١٧م.»

أما مجلس النواب الأمريكى .. فقد عبر أعضاؤه عن نظرتهم ومنظارهم للأمر كله .. فلم يختلف النواب عن مجلس الشيوخ فى الاتجاه والمضمون والهدف .

فقد أصدر مجلس النواب الأمريكى قرارا فى ٣٠ يونيو ١٩٢٢م . جاء فيه :

«حيث إن الشعب اليهودى كان يعتقد لقرون طويلة ويتشوق لإعادة بناء وطنه القديم وبسبب ما تمخضت عنه الحرب العالمية .. ودور اليهود فيها .. فيجب أن يمكن الشعب اليهودى من إعادة إنشاء وتنظيم وطن قومى فى أرض آبائه.»

كان ذلك فى عام ١٩٢٢ م .

إن أدنى تحليل لزمان وظرف وطبيعة تلك القرارات وأمثالها .. وحتى أيامنا يوضح وبصورة شبه مؤكدة عن مدى تأثر الثقافة العقائدية البروتستانتية الأنجلوساكسونية والأمريكية بالفكرة الصهيونية .. وتعبر عن مدى تأييدهم لها .. فهى واضحة ومسجلة حتى قبل ظهور اللوبى الصهيونى واشتداد عوده

.. الأمر الذى لا يمكن تفسيره إلا على أساس وجود محور عقائدى مشترك بين اليهودية والبروتستانتية .. مبنى على التوارة وأسسها كمحور مشترك بين الفريقين .. فقد كان لدى معظم الرؤساء الأمريكان .. وأعضاء الكونجرس والنواب .. وغيرهم .. وحتى الآن إيمان لا يتزعزع بمقوله أن لليهود حقا تاريخيا لا فى القومية فحسب .. بل فى أرض فلسطين كذلك .

يوضح ذلك وبكل وضوح نائب ماسا شوستس .. السيد توماس جى لين فى قوله :

«لكى يبنى اليهود مملكة الله يجب ألا يشتتوا بين الأمم الأخرى وكأقليات عاجزة .. وكما بشر الأنبياء يجب أن تكون لهم دولتهم ليعملوا فيها وليطوروا النظام الاجتماعى المثالى كنموذج ومثال تتعلم فيه الأمم الأخرى!!»

الأمر إذا محورى وعقائدى .. الأمر الذى يفسر استمرار المنهاج .. فلم تختلف تصريحات الرؤساء وأعضاء مجلس الشيوخ والنواب والمفكرين فى أمريكا وانجلترا حتى بعد أن أصبحت دولة إسرائيل واقعا ملموسا .. قويا غازيا ومهيمنا أيضا !!»

أعلن وزير الدفاع الأمريكى ويليام بيرى .. نقلا عن جريدة الأهرام المصرية فى ١٤/٨/١٩٩٤ م بعد أن أصبحت الهيمنة الأمريكية العسكرية على أحداث العالم واقعا ملموسا .. فقال :

«إن الولايات المتحدة ستستخدم القوة العسكرية فى ٣ حالات فقط وهى : ضمان أمن كوريا الجنوبية .. وضمان أمن اسرائيل .. وتدفق البترول من منطقة الشرق الأوسط»

تتضح أهمية هذا التصريح من صدوره إبان أزمة كوريا الشمالية النووية .. وبعد هزيمة القوة العراقية العربية .. وهيمنه القوة الأمريكية على مناطق البترول العربية .. فرغم كل تلك الحقائق والوقائع ورغم تيارات التوافق العربية السياسية- الإسرائيلية فقد تضمن البيان كذلك إشارة إلي تيار أساسى لا شعورى يحدد نظرة أمريكا الأيديولوجيه تجاه إسرائيل .. حتى وهى مهيمنة على الأوضاع بشكل أو بآخر فى المشرق العربى .

★★★

كما يعتمد نجاح الأيديولوجيات على كمال منهاجها فإن أهم عوامل نجاحها يقوم على مدى إيمان أفرادها واتباعها بمنهاجها .. ومدى التزامهم .. ويتضح ذلك من خلال مواقف وسيرة الأيديولوجيةخاصة عند المنعطفات الحاسمة.. والمواقف الدقيقة الفاصلة.

عند بداية شواهد سقوط الاتحاد السوفيتى الأخير .. وتحت الضغوط برزت على الساحة السياسية ظاهرة التدفق الجماعى لليهود السوفيت من روسيا .. وعلى الفور استنفرت الجهود السياسية الدوليةلتوجيه تيارات الهجرة إلى اسرائيل .. ووضعت الحواجز القانونية والسياسية فى وجه الجماعات التى رمت إلى الهجرة إلى أمريكا وأوروبا ..وصل معدل الهجرة لليهود السوفيت إلى إسرائيل فى وقت الذروة إلى حوالى ٣٠ ألف مهاجر شهريا !!.

تأتى أهمية تلك الموجات من الهجرة أنها وقعت فى فترة اضطراب واضح عمت المنطقة العربية الشرقية لكن القرار بتركيز الهجرة إلى المصب اليهودى

كان متفقا عليه .. ومجمعا عليه من قبل الولايات المتحدة وأوروبا الغربية .. وبشكل جماعى وأساسى .

تبع ذلك - وبعد قليل - بموجة واسعة أخرى ليهود الفلاشا من أثيوبيا .. وقبل سقوط النظام الشيوعى بها .. بل لقد استطاعت الجهود الدبلوماسية الامريكية والإسرائيلية من تأجيل السقوط الرسمى للنظام لمدة ايام قليلة حتى يتم تهجير الجماعات الفلاشا بسلام .. الأمر الذى أمكن أتمامه بكفاءة عاليه ضرب بها المثل فى الدقة والسرعة والكفاءة.

بعد سقوط الاتحاد السوفيتى بقليل .. تحررت القيادة السياسية فى أوروبا الشرقية .. وعلي الفور شهدت بلدان أوروبا الشرقية موجات متنابعة متتالية من هجرة اليهود.. تم توجيهها هى الأخرى إلى المصب «المتفق عليه» الأمر الذى استدعى غلق أبواب امريكا.. واوروبا الغربية فى وجه تلك الموجات!!

وتكررت نفس الظاهرة - ونفس الاستراتيجية فى أيه مناطق توترات أو مراكز هجرة فى العالم كله .. فى حرب اليمن .. كانت هجرة اليهود العرب إلى اسرائيل ظاهرة تستدعى العجب والدهشة .. وتحتوى على معان ودلائل تستحق التحليل والدراسة ..

وحتى بين يهود الأكراد فى شمال العراق - وفى المغرب .. وفى غيرها .

تميزت موجات الهجرة اليهودية - كما ذكرنا - بذاتيه المصب .. لكن ذلك حدث فى وقت ساد الاضطراب ولاحت فيه على الأفق حرب الخليج الأخيرة .. ومازالت المنطقة غير مستقره .. الأمر الذى يشير إلى العمق الدينى .. ومدى الإيمان عند اليهود بقضية فلسطين من زاويتهم الخاصة .

ففى أوقات الحروب والأزمات يحجم المهاجرون عن التوجه لمناطق الأزمات .. فلا أحد يهاجر إلى مواقع الأضطرابات والخطر ..إلا.. إلا إذا كان الدافع عقائديا وأيديولوجيا .

على الجانب الإسرائيلى .. وبعد حرب الخليج .. ومع ملاحظه كثافةموجات الهجرة فقد تم ترسيخ كل الجهد على استيعاب المهاجرين ولم تبد بادرة إزعاج أو تململ فى إسرائيل من تلك الموجات رغم ما يستتبعها من مشاكل عديدة .

وهكذا .. عند إقرار مشروع ميزانية الدولة لعام ١٩٩١ م . ومع تبعات الموقف وعمق المشاكل فقد تمت زيادة بند الإنفاق العسكرى لوزارة الدفاع الإسرائيلية - رغم زيادة العجز فى الميزانية - وفى المقابل تم تقليص ٣٪ من ميزانيات جميع الوزارات لاستيعاب مئات الألوف من المهاجرين اليهود الجدد إلى إسرائيل .

حتي يمكن تفهم وتقييم كل تلك المواقف المحورية الثابتة والواضحة لا يمكن الاعتماد على تحليل وتفسير لافتراضات قد تصيب .. كما قد تخطئ حتما .. لكن الأمر يزداد أهمية عندما يكون الاستشهاد بمعطيات من قبل الطرف الآخر .. المهيمن والموجه للأحداث .. والقائم علي إخراجها .

من ذلك المنطلق كان استشهادنا بكتاب «هل لندسى» وعنوانه «الراحل كوكب الأرض العظيم» .. والذى نشر عام ١٩٧٠ م ..وقد طبع من هذا الكتاب على طول العشرين عاما الأخيرة ما يزيد على ١٨ مليون نسخة !!! .. الأمر الذى جعله الكتاب الأول فى المبيعات بين الكتب الغير روائية.. بل ويأتى مباشرة فى المرتبة الثانية فى المبيعات بعد الكتاب المقدس ذاته ..

تلك الإشارة توضح قيمة الكتاب ومدى تأثيره بين الغرب المسيحى .. فكتاب مسترلندسى دستور أصولى ايديولوجى بروتستانتى صهيونى .. رغم أن الكتاب يمس السياسة والتاريخ بشكل اساسى ٠ فكرة الكتاب الهام تعتمد على ربط التاريخ والسياسة .. بالعقيدة .

ومن ثم فقد تناول الكاتب شرح الأحداث الهامة من منطلق عقائدى ..

فوضح كيف أن الأحداث التاريخية تتفق مع نبوءات الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث !! .. ثم ينطلق الكاتب حتى يمس المستقبل .. طبقا لنبوءات الكتاب المقدس .. حسب فهم الكاتب ورؤيته .

كان سقوط القدس تحت أيدى إسرائيل سنة ١٩٦٧ م . هو الباعث لتلك الفكرة دون شك ٠ تلك الرؤية وطريقة المناولة ليست مستحدثه ولا جديدة.. يعى ذلك جيدا من ملك الكلمة ونزل ملعب الكتابة وساحة التأليف .. غير أن أهم ما يستلفت النظر أن ذلك الوتر الذى لعب عليه الكاتب يخدم أهداف الصهيونيه من جانب .. ويمس العقيدة البروتستانتية بعمق .. الأمر الذى قد يشير إلى سبب إنتشاره المذهل ومبيعاته الضخمة رغم أن الصهيونيه لها مواقفها الأساسية العدائية لغيرها من الأديان والمذاهب .

رؤية المؤلف تقوم على أساس أن العد التنازلى لنهاية العالم تبدأ من خلال تجمع اليهود من الشتات فى دولتهم فلسطين .. ومن ثم تتجمع قوى الخير لتحارب قوى الشر فى تلك المنطقة المقدسة فى معركة هومجدلون .. وهى فى موقع على أرض فلسطين .. وتنتصر قوى الخير ..

وهنا يأتى المسيح ليحكم العالم أجمع .. وينشر دعوته بين اليهود أنفسهم .. ولمدة ألف سنة كاملة .. وهى الألف سنة السعيدة .

أهم ما فى تلك الرؤية أنها ترى قيام دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات إنما هو جزء من الخطة الإلهية لتجميع كل شعب الله المختار وذلك كفرصة اخيرة حتى يتقبل اليهود المسيح «ع» كمخلص لذلك العالم البائس !!.

وتقوم تلك الفكرة على محورية أن اليهود - كشعب مختار - قد ضل الطريق .. لكن الله لا يتخلى عن شعبه المختار .. لذلك تظل له مكانته الخاصة .. وفرصته الأكيدة .

والحقيقة أن اليهود لا يتحملون وزر تلك الفلسفة العجيبة ... إنما العيب كل العيب يقع على الفلسفة البروتستانتية التى لم تستوعب أن حقيقة انتشار المسيحية قد قامت فعلا على كسر ذلك المبدأ القديم بعد أن لاقى المسيح عيسى بن مريم منها ، من عنف واضطهاد وعلى يد كهنة اليهود وعلمائهم حتى رموا إلى التخلص منه .. فانتشار الدين المسيحى كدين سماوى عالمى ينقض فى حد ذاته تلك الفلسفة .. ثم كيف يتأتى حماية اليهودية من المسيحيين رغم نظرة اليهودية لما عداها .. حتى البروتستانتية ذاتها ؟! .

وهكذا .. أصبحت فلسفة جماعة من البشر محور الأحداث وموجهه للتيارات .. بل واعتبرت علامة للإيمان .. ورمز للتقوى .. وكل ذلك على انقاض المنهج الإيمانى الثابت والواضح .. بل ويكفى الاستشهاد على ذلك برأى وأقوال المسيح عيسى بن مريم وتقديره لليهود فى الكتاب المقدس ذاته !!.

أهم ما يعنينا أن ذلك التصور يستوجب توجيه الهجرة اليهودية إلى فلسطين .. وفلسطين خاصة دون غيرها .. كما يستدعى مساندة الدولة الصهيونية ضد جيرانها العرب قوى الشر وذلك كله من منطلق النظرة الفلسفية البروتستانتية اليهودية ..

لكن أهم ما يستلفت النظر عند أدنى دراسة أو ملاحظة هو مدى عمق والتزام الدول الغربية المسيحية الكبرى بتلك النظرة لأقصى حد .. وأبعد مدى .. وحتى الآن .. وقطعا فى المستقبل البعيد ، رغم أن البابوية الكاثوليكية تعارضه من منطلق إيمانى .

فى المقابل .. وعلى الطرف الآخر .. ومنذ بداية الأحداث .. وحتى الآن لم يجد الطرف المسلم العربى فى ركام إيمانه الشجاعة اللازمة لرفع المحور الإيمانى تجاه الأحداث على أرض فلسطين .. خوفا من نظرة العالم إليهم كمجتمع دينى متشدد .. وحرجا من وصفه بالإرهاب أو غير ذلك كما يبدو ، إن

طبيعة الصراع مع الدولة اليهودية يجب تحديدها كأساس لمناولة الصراع حتى يمكن مواجهته المواجهة الصحيحة .. ورغم وضوح الأمر بعد الهيمنه اليهودية على مجريات الأمور وكتاباته التى يمكن تحليلها وقراءة أفكارها بسهولة فإن أى اتجاه أو جماعة تحاول رفع الإسلام ومنهاجه كمبدأ وأيديولوجية عربية تواجه بكل حزم وصرامة ... من قبل السياسات العربية المؤمنة نفسها !!!.

رغم ذلك كله .. وأثره الواضح فى نتائج الصراع منذ بدايته وحتى الآن .. فإن مصير القدس .. أولى القبلتين وثالث الحرمين عند المسلمين تصبح حجر الزاوية - الوحيد - لتوضيح المواقف .. وزيادة الصراع مهما كانت الظروف .. ومهما بلغ العقل من غفلة .. والإعلام من سطوة .. والقلب من هفوه ..

ولو كان المرء يهوديا مخلصا ورأى مكاسبه وإنجازاته لقام ونصح الأمه بترك القدس خاصة للمسلمين .. فهو مفتاح الهيمنه عليهم سلما .. بعد أن هيمن حربا .. واقتصادا وبعد أن هيمن سياسيا - لكن موقف اليهود الواضح منذ سقوط القدس فى أيدهم عام ١٩٦٧ م .. وبعد تنازلات العرب الهائلة لا زال كما هو .. القدس الموحدة عاصمة لبنى إسرائيل من المنطق الدينى وفقط .

فهل بعد ذلك من شك فى طبيعة ذلك الصراع .. الأبدى .

★★★

المدهش أن المحور الذى بنى عليه الجانب البروتستانتى موقفه من الأحداث يفصل فيه الإنجيل نفسه فهى مملوء بالشكوى من اليهود ..

وها هو السيد المسيح لها ، يصيح بأعلى صوته فى هؤلاء الفجرة .. الذين ضيقوا عليه الطريق عمدا وسدوا أمامه الأبواب سدا - وعاملوه أدنأ معامله واقبحها يصيح فيهم السيد المسيح : يا أولاد الأفاعى .. من دلكم على الهرب من السخط ؟

ويصفعهم السيد المسيح مرة أخرى بقوله : أعمى الرب قلوبهم .. وأقسى قلوبهم – لئلا يبصروا بعيونهم .. ويفهموا بقلوبهم .

وعرف السيد المسيح خصائصهم .. وأسباب نجاحهم فى الحياة الدنيا .. واسباب فشلهم الإيمانى فناداهم محذرا .. ولا مجيب له .. فقال : لا تعبدوا ربين : الله والمال

ولمس فيهم السيد المسيح طبائعهم من نفاق أصيل ودجل عميق فقال : يا مرائى .. اخرج أولا الخشبة من عينيك

ثم لمس سياستهم وعقائدهم وتقاليدهم الخاصة فكان تقديره لهم : أبطلتم وصية الله من أجل تقاليدكم

ثم عندما تيقن المسيح لها ، من مدى ضلالهم كان حكمه وتقييمه : أنتم من أب هو إبليس .. وشهوات أبيكم تبغون أن تعملوها .

ونترك للقارئ الكريم تحليل كل تلك الآراء للمسيح عيسى بن مريم على الأحداث وتطوراتها وتاريخها وسيلمس على نحو مدهش عمق وصحة آراء المسيح عيس بن مريم وأقواله الحكيمة.

أما المسلمون – فنقول كلمه واحدة .. ارجعوا إلى دينكم وقرآنكم .. واحكامه على من مرغوا القدس .. وهددوا المسجد الاقصى .. أولى القبلتين .. وثالث الحرمين ..

فى عهد إسرائيل

شكلت الهجرة اليهودية العملية محورا أساسيا من محاور أساسيات الاستعمار الصهيونى لفلسطين العربية وإقامة دوله يهودية على أرضها .. كانت تلك الأساسية من أهم محاور العمل ومازال المشروع نظريا فى مهده كما لسنا .. ثم أصبح أمرا هاما وعمليا وعلى أوسع نطاق منذ حصول الحركة الصهيونية على وعد بلفور.. وما زال للأمر محوريته حتى تلك اللحظة .. وغدا دون شك اتخذت تلك الاساسيه كل الزوايا الممكنة شرعية كانت .. أو غير شرعيه .

كان اهتمام الحركة الصهيونية بالهجرة اليهودية إلى فلسطين محورا أساسيا لأسباب عديدة :

– منها ضرورة إيجاد عصبية يهودية فى فلسطين تكون مركزا لقيام الدولة اليهودية المأمولة .

– وأيضا لتكون منبعا ومصدرا لمجموعات من الشباب اليهودى المقاتل .

ونجحت الحركة الصهيونية فى مراميها .. وقامت دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م

منذ قيام الدولة الإسرائيلية أولت السلطات علم السكان أهمية بالغة حيث

حتم عليها وضعها الخاص وهدفها الاستراتيجى وطبيعة تكوينها السكانى أن تجرى دراسات وتنبؤات من وقت لآخر على تكوين السكان .. وأعلنت منذ البداية اعتمادها الكلى على الهجرة اليهودية وتشجيعها من دول العالم كافه إلى إسرائيل – وتذليل العقبات أمام ذلك الهدف الأسمى .

وهكذا .. فعندما قامت إسرائيل فى مايو ١٩٤٨ لم يكن عدد اليهود يتجاوز ٦٥٠,٠٠٠ نسمة وفى عام ١٩٦٢ م – وصل العدد إلى ٢ مليون نسمة .

هذا بينما كانت زيادة العدد الكلى للسكان يهود .. وغير يهود من ٨٥٠,٠٠٠ نسمة إلى ٢,٣ مليون نسمة !!.

عند تحليل معانى تلك الأرقام المؤكدة يتضح الهدف الأسمى للاستراتيجية الصهيونية .. والذى لم تمنعه سياسة الدوله اليهودية المعلنة .. فقد رفعت مبدأ الهجرة لليهود .. واليهود فقط .. من زاوية أخري فقد رفعت أيضا ضرورة تهجير غير اليهود من الأرض الفلسطينية .. وهذا الشق الثانى من سياسة الهجرة اليهودية لا يقل خطورة و أهمية من المبدأ الأساسى .

أوضح بن جورين نظرة اسرائيل وتقديرها للهجرة اليهودية كهدف .. واهميتها فى تكوين ومستقبل الدولة اليهودية فقال :

إن اسرائيل لا يمكن أن تضمن أمنها بدون هجرة .. والأمن هنا يعنى المستعمرات .. واسكان المناطق غير الأهلة فى الشمال « على حدود سوريا » .. وفى الجنوب «على حدود مصر» (١)

وفى مناقشة لقانون الدفاع المدنى فى الكنيست أعلنها رئيس الوزراء الاسرائيلى واضحة :

... لهذا تتبع الحكومة بالنسبة للهجرة سياسة ليس لها مثيل فى التاريخ –

(١) تم الاستيطان وبكثافة فى تلك المناطق– كما فى القدس والضفة الغربية بعد اتفاقية كامب ديفيد وتزايدت موجات الهجرة اليهودية إلى إسرائيل .

الأمر الذى يدعو بعض المراقبين فى الداخل والخارج إلى الإعراب عن اعتقادهم بأن هذه السياسة تجلب الخطر والكارثة على الدولة!!

وذلك فى إشارة لمشاكل الهجرة غير المقيده من جهة .. ولطبيعة تهجير اصحاب الأرض من غير اليهود وما تثيره من أزمات من جهة أخرى .

استقر ذلك المفهوم كأساس استراتيجى بل ومستقبلى للدوله الصهيونية .. واتفق عليه وحوله الجميع ٠ الأمر الذى استلزم ومن البدايه تمييز واضحا ونظرة خاصة فى فكر الحركه الصهيونية ومفهومها لدولة إسرائيل .. وأرض فلسطين .

أما من الزاوية الاستراتيجية والمستقبليهة كهدف أسمى فقد أعلنها بين جوريون أيضا .. فقال :

«إن على اسرائيل أن تستعيد حدودها التاريخية !! التى وضعت وحددت منذ بدء التاريخ .. حتى المترددين لا يستطيعون أن ينكروا غرابة هذه الحدود حيث لا تتطابق الارض والدولة...»

كانت تلك الرؤية الاستراتيجية من القوة حتى أنها انطبعت على برامج الأحزاب الساسية الإسرائيلية المتنافسة الأساسية والتى تمثل أكثر من ثلثى الناخبين الإسرائيلين .

فبينما رفع حزب حبروت رؤيته فى تلك الأساسية فكانت : «الدعوة إلي الوحدة الإقليمية لأرض إسرائيل ضمن حدودها التاريخية على جانبى نهر الاردن..

كانت رؤية حزب أحدوت هاعفود تدعو إلى «إقامة دولة إسرائيلية اشتراكية فى كل أرض الميعاد..»

أما حزب الصهيونيين العامين فكانت رؤيته : « إن دولة إسرائيل لا توجد

كفاية فى حد ذاتها بل كأداة لتنفيذ الحلم الصهيونى..»

وكان ولابد أن ينطبع مدى الرؤية السياسية لقوى الدولة اليهودية تجاه مسأله الهجرة على أرض الواقع .. ففى المدة الزمنية من ١٩٤٨ م إلى ١٩٦٢م/ اعتبر التطور السكانى فى إسرائيل كحالة فريدة لا مثيل لها فى العالم كله لم تمر به دوله أخرى فى العصر الحديث .. إذ زاد عدد السكان خلال ١٤ عاما فقط إلى أكثر من أربعه أضعاف .

بمعنى أخر فقد كانت نسبة زيادة السكان سنويا خلال تلك الفترة حوالى ٧٪ وهى نسبة رهيبة هائلة بكل المقاييس العالمية .

نظرا لطبيعة الهجرة اليهودية الشاملة انخفض إلى حد كبير ما يطلق عليهم يهود الصابرا .. أى اليهود الذين ولدوا فى إسرئيل أو فلسطين .. ولما كانت طبيعة تلك الهجرة العامة الشاملة تعتمد على قبول هجرة اليهودى بصرف النظر عن إمكانياته أو قدراته وطبيعته فقد كان من الطبيعى أن تشكل تلك الهجرة المفتوحة مصاعب كبيرة للسلطات الاسرائيلية حيث إن العمال المهرة من سكان أوروبا وأمريكا الشمالية لا يمكن اغراؤهم بسهولة على الإقامة فى المناطق النامية .. هذا كما أن المثالية التى تعتمد عليها الصهيونية العالمية فى حث اليهود على الهجرة إلى إسرائيل والعمل فى المستعمرات الاسرائيلية« الكيوبتز» لها حدها المنطقى والطبيعى دون شك .

من زاوية أخرى فإن الزيادة السكانية فى إسرائيل لا يمكن تقييمها دونا عن دراسة معدل الزيادة السكانية الطبيعية .. تلك الزيادة التى تعنى ببساطه الفرق بين المواليد والوفيات سنويا الأمر الذى يحتم علميا دراسة معدلات الخصوبة الدولية بين جماعات اليهود المختلفة .. بمعنى أخر عدد المواليد الأحياء بالنسبة لكل ١٠٠ أنثى يهودية .

يتضح من نتائج دراسات لتلك الخصوصية أن الخصوبة بالنسبة ليهود الصابرا .. وأيضا اليهود الذين قدموا من أمريكا وأوروبا – أن خصوبة تلك الجماعات تماثل تقريبا معدلات الخصوبة فى الدول الغربية المتقدمة .

أما معدلات الخصوبة بين يهود أفريقيا وآسيا والعرب فى اسرائيل فهى أعلى من ذلك بكثير . لكن معدل الخصوبة يقل بين هذه الجماعات عاما بعد آخر أما نسبة المواليد بين غير اليهود العرب أساسا فهى عالية .. ولم يطرأ عليها أى هبوط .. بل قد تكون ظاهرة الهجرة اليهودية إلى إسرائيل وقوتها الملحوظة عاملا نفسيا ولا شعوريا أدى إلى زيادة تلك النسبة بين العرب فى إسرائيل خاصة .

وبصفة عامة فقد أثبتت الأحداث ووقائع التاريخ أنه لا يمكن توقع أية زيادات ملحوظة فى هجرة يهود أوروبا الغربية أو الولايات المتحدة إلى إسرائيل والتى لا تزيد عن ٥٠ شخصا لكل مليون نسمة فى العام الواحد .

لا شك أن البعد الايديولوجى والسياسى لظاهرة الهجرة اليهودية إلى إسرئيل واهميتها بالنسبة لمستقبل الدولة هو ما أدى بالحكومة الإسرائيلية فى بدايه ١٩٦٤ م . إلى استصدار قانون فريد يشذ عن قوانين العالم كله المماثلة.. ألا وهو قانون العودة.

يسمح قانون العودة لكل يهودى فى العالم كله بحق قانونى فى الإقامة بإسرائيل .. ان يحصل فورا على الجنسية الإسرائيلية .. وجواز سفر إسرائيلى ..

أما على مستوى التنفيذ العملى لهذا القانون فلا يستطيع المهاجر أن يحصل على هذا الحق القانونى إلا بعد مضى عام أو أكثر فى إسرائيل – وليس لذلك أدنى علاقة بالإجراءات الإدارية المتميزه فى إسرائيل قدر ما أن ذلك الواقع

يخدم ظاهرة الهجرة من ظاهرة الهجرة المضادة الإسرائيلية إلي الولايات المتحدة خاصة .. ويرجع ذلك أساسا إلى أن مستوى التقدم الاقتصادى الذى حققته إسرائيل رغم ارتفاعه لا يمكن مقارنته بمثيله فى أمريكا أو أوروبا الغربية .. الأمر الذى يمثل حجر عثرة فى سبيل إقناع تلك الأسد اليهودية بالاستقرار فى إسرائيل حتى الآن .

لكن كان لذلك التوازن ثمنه .. وهو خدمة ظاهرة الهجرة إلى اسرائيل .. خاصة .

عند بداية سقوط الاتحاد السوفيتى وما تلاها من أحداث كانت ظاهرة هجرة اليهود السوفيت الهائلة تحت السيطرة .. فقد تم توجيه الموجات المتلاحقة من اللاجئين إلى إسرائيل وفقط بعد أن غلق الباب أمامهم فى الهجرة إلى أوروبا الغربية أو أمريكا ..ولم تتوقف هجرات اليهود بعد ذلك من أثيوبيا – واليمن .. وشرق أوروبا الذى انفصل عن الاتحاد السوفيتى .. حتى اكراد اليهود من شمالى العراق وأخيرا وليس أخرا يهود سوريا أنفسهم !!.

كل تلك الموجات تم توجيهها إلى مصبهم الوحيد .. الدولة الاسرائيلية .. وفقط !! .

من زاوية أخرى .. فإنه نظرا لتلك السياسة .. وعوامل أخرى أيديولوجية ونفسية فإنه من الملاحظ أن نسبة كبيرة من هؤلاء المهاجرين اليهود من كبار السن .. أما صغار السن فهم يفضلون الهجرة إن استطاعوا إلى باقى بلاد العالم المفتوح خاصة أمريكا وأوروبا الغربية ولو عن طريق لا شرعى ..الأمر الذى دفع إسرائيل للتعاون مع حكومات أوروبا وأمريكا لمواجهه ذلك الواقع · خاصة أنه يخدم من منظور عقائدى واقتصادى دول العالم الحر .. كما يخدم اسرائيل .. ويتمشى مع وجهة نظر كل طرف للآخر .. كما أوضحنا أنفا .

الأمـر الجـديـر بالإشـارة هـو أن نفـقـات الـهـجـرة باهـظة دون شـك .. لكن ذلك النشـاط يمول أساسـا من أموال الجـباية اليـهودية فى العـالـم – خاصـة الولايات المتحـدة .. وأيضا من التبرعـات وكذا عن طريق زيادة الضـرائب على الكثـير من السلـع فى إسـرائيل والتى تتمـيز بارتفاعها الملحـوظ حيث تتراوح بين ١٠:١٥٪ وأيضـا عن طريق فـرض رسـوم جـمـركيـة عـالية عـلى الـواردات وفـرض قـروض إجبارية على الموظفين والعمال وسـائر أفراد الشعب .

تشيـر تلك الحقائق إلى أهـمـية ظاهـرة الهجـرة اليهودية إلى فـلسطين المحتلة من جانب اليهود وإسرائيل كدولة .. وأيضا أمريكا وأوروبا وغيرها ..

أشـد مـا يؤلم فى تلك القضـية أن تلك السـياسـة الـغربية اليـهـود نجـحت أشـد النجاح بين يهود العالم العـربى ذاته .. الأمر الذى جـعل نسـبـة اليهـودية العرب عالية فى إسـرائيل رغم ظاهـرة الهجرة اليـهودية العالمية ..الأمر الـذى يشير إلى مدى فاعلية السياسة العربية تجاه تلك الظاهـرة ..

★★★

كان من نتيجة تلك السياسـة أن أضـحى المجتمع الإسـرائيلى عبارة عن مزيج من القـومـيـات .. وخليط غيـر مـتـجـانس من العناصـر واللغـات والثـقـافـات .. فالمجـتمـع الإسـرائيلى مـجتمـع مـتـناقـض متنافر .. وكـان مما أظهر تلك الظاهـرة والواقـع الاجـتـماعـى سيـاسـة الدولة المتـحـيزة إلى جـانب يهـود الـغـرب .. ورغـم الجـهـود الهائلة التى بذلت ومـازالت فى مـحاولة صـهـر هـذا الجـمـع المتنافـر فى وحـدة قـوميـة فـإن عـدم التـجـانـس ظاهـرة يمكن لمسـهـا وبسـهـولة فى المجـتـمـع الإسـرائيلى .. تثـبـته النسـبـة العـاليـة والملحـوظه مـن حالات الانتـحـار المدنى .. وحتى العسـكرى.

فى عام ١٩٤٨م كانت الأغلبية السـاحقـة من اليهود المهاجرين والذين نجحوا فى قـيـام دولة إسـرائيـل من يهـود الخـزر والذى يرجع أصلـهـم ومسـقـط رأسـهـم

إلى شرق اوروبا وجنوب الاتحاد السوفيتى الأمر الذى يفسر تأهليهم لقيادة وتوجيه بناء دولة قوية فى المنطقة العربية - فهؤلاء اليهود الخزر لهم تاريخهم ومملكتهم فى أوروبا الشرقية والتى انهارت فعملوا على تجديدها.. ولكن فى فلسطين العربية ٠

لكن كما أن الدولة شىء فإن المجتمع شىء أخر.. وحتى يتم تأسيس مجتمع متكامل منتج وحيوى كان لابد من المادة البشرية الأساسية لشغل قاعدة الهرم الإنتاجى.. ولخلق أجيال من العمال والفلاحين اللازمين للعملية الإنتاجية.

كانت تلك الأساسية ما استلزمت تشجيع هجرة اليهود العرب إلى اسرائيل بالوعد أحيانا «اليمن والعراق».. وبالوعيد أحيانا أخرى.. والمؤسف أنه قد نجح الصهانية فى انجاز مخططهم وإلى حد بعيد بسبب جهل بعض الحكومات العربية.. وعمالة البعض الاخر.

قامت السلطات البريطانية فى الفترة الأولى من تأسيس اسرائيل فى عدن- بالتعاون ولأقصى مدى مع الدوائر الصهونية العالمية وعملائها حتى تم تهجير حوالى ٥٠٠,٠٠٠ يهودى يمنى إلى إسرائيل.. لكن طوائف الاشكناز الغربية اليهودية قامت باستيعاب تلك الأعداد كعمال مأجورين يخدمون فى المزارع والمنازل والمستوطنات.. وكأداه لضمان دوران عجلة العمل.

وهكذا كان الهرم الاجتماعى منذ البداية- وحتى الآن- قاعدته سفاردية شرقيه. وقمته إشكنازية غربية لما كانت تلك القاعدة العريضه من اليهود السفارد العرب أصحاب تقاليد عريضه ومعتقدات دينيه عميقه الجذور فقد صدموا عند وصولهم إلى إسرائيل خاصة عندما واجهوا الواقع ولم يجدوا شيئا مما وعدهم به زعماء الصهيونية العالمية.. فلا اهتمام بالدين.. ولاتقديس ليوم السبت.. ولاعناية بالتوراة وتعاليم موسى.. ولاذهاب إلى المعابد إلا فى المواسم

والأعياد اليهودية الرسمية .. كل هذا مع غلبة روح الاستهتار والفسوق الغربية على المجتمع الإسرائيلى.

كان رد فعل يهود الشرق السفارد طبيعيا.. حيث تحوصل يهود اليمن خاصة فى جو خاص بهم.. وانطووا على أنفسهم.. رغم ذلك فإن الهجرة المضادة لم تكن ملحوظة بين هذا الصنف اليهودى حيث أن الاختيارات أمامهم كانت معدومة..

تكررت نفس السياسة واستمرت وكان أوضحها أخيراً موقف يهود القمة من مهاجرى أثيوبيا حيث تم تجنيدهم ودفعهم لأحط الأعمال فى المستعمرات المستهدفة وعلى خط المواجهة فى جنوب لبنان وشمال إسرائيل.

رغم بعض المحاولات الحكومية لرفع الشعارات ومحاولة تذويب الفوارق بين جماعات المجتمع اليهودى إلا أنها لم تنجح فى تذويب تلك الفوارق وما تحمله تلك المجتمعات من تناقضات جذرية فى الفكر السياسى والنظره الاقتصادية والاجتماعية.. فاليهودى الشرقى شرقى.. والغربى غربى ولاشك عند الطفرة المفاجئة عقب ١٩٦٧م ومع تزايد الثروات التى صبت فى التجمع الإسرائيلى حقق اليهود الشرقيون بعضا من الحراك الاجتماعى فتركوا قاعدة العمل الإنتاجية والأعمال الوضيعة للعمال العرب وتحول معظمهم إلى مقاولى أنفار وأصبحوا عاملا وسيطا بين القمة والعمال العرب الأدنى «وساعدهم على هذا الخلفية الثقافية المشتركة».. وبدأوا يطالبون بمساواتهم باليهود الاشكناز .. الأمر الذى أدى إلى أزمة اجتماعيه حيث ارتفعت قمة الهرم الانتاجيه صعودا إلى القمة.. وتركت القاعده الانتاجية للعرب بصورة عامة.. الأمر الذى أدى إلى هامشية وطفيليه القطاع اليهودى فى الاقتصاد الاسرائيلى. سجلت الحكومة الاسرائيلية فى تقاريرها الرسمية تلك الظاهرة الواقعية.. وحاولت تفسيرها

ودراستها وعلاجها- غير أنها لم تنجح إطلاقا فى إحقاق الحق بشأنها.. خاصة أن هذا الحل قد ينعكس على سياسة الدولة الإسرائيلية وتوجهها..

وهكذا لم يجد الاشكناز فى علاج هذا الموقف غير استيعاب يهود الشرق دون دمجهم فى المجتمع.

ليس أدل على ذلك من أن إسرائيل اعترفت فى تشكيلها الوزارى بتخصيص نسبة محدده من الوزراء لايتعدى عددهم أصابع اليد الواحدة لتمثيل اليهود الشرقيين.. والذين يمثلون وعلى الأقل ثلثى عدد سكان إسرائيل الفعلى.

ساند عملية التهميش السياسى والثقافى للشرقيين بنية القوة المتميزة للاشكناز والذين احتفظوا بكل مؤسسات صنع القرار ٠ فى أيديهم الوزارة والكنيست والوظائف الإدارية والسياسية العليا.

وأولا وقبل كل شىء المناصب القيادية فى الجيش..

وقد لوحظ فى دراسات أثر ذلك كله اجتماعياً فبينما زادت نسبة التعليم عند الشرقيين نجدها تقل فى مرحلة التعليم العالى.. ومن ثم فى الوظائف القيادية..

وبينما زادت تلك النسبة فى جميع مستويات الجيش نجدها تقل عندما نصل إلى قمة الهرم العسكرى..

«لم يجمع بين هذا الكم الغث سوى النظرة العقائدية «للقدس» !!»

كان التوجه الإعلامى بين مجموعات الشتات المتعارضة يلعب على العامل الوحيد الذى يجمع بينهم.. فى دراسة أعدها «الياهو إيلان».. رئيس الجامعه العبرية السابق نجده يقول:

«إن الفجوة بين الشرق والغرب.. وأساليب الحياة الوسطى والحياة العصرية

قد سدت بعامل واحد ٠ فأفواج الوافدين إليها من أوروبا وأسيا ومن أفريقيا برغم اختلافهم الشاسع وتناقضهم الواضح فى كل شىء تقريبا.. قد اتفقوا فى المثل الأعلى المشترك.. وهو العودة إلى صهيون» يوضح ذلك ويؤكده أقوال وأفعال مشهورة..

كان من مظاهر تلك الفجوة بين مجموعات الشتات أوضح المشاكل وأصعبها.. الا وهو عنصر اللغة ،. يروى فى هذا الصدد قول أحد المدرسين: «فى فصل واحد مكون من خمسة وثلاثين طالبا وجدت ما لا يقل عن سبع عشرة لغة مختلفةمستعملة ٠ لعل ذلك الواقع وتلك الحقيقة كانت وراء قانون للكنيست الإسرائيلى ينص على التعليم الأجبارى للغه العبرية لكل الاطفال ما بين ٥ - ١٤ عاما- وايضا للمهاجرين الجدد وبشكل مكثف وسريع.

لذلك أنشئت المعاهد الخاصة الليلية «أولبان» كمحاولة للإدماج اللغوى والثقافى بين المهاجرين بل ويعتبر الجيش الاسرائيلى نفسه بمثابه مدرسة قومية صهيونية للفتيان المهاجرين فى سن التجنيد.. اما من الناحية المدنية فإن معهد «حركة أطفال وشباب علياه» وهى حركة يهودية امريكية اسستها «هزيت شولد» فقد ركزت هدفها فى مزج الأطفال والصبية من سن ١٣:١٩ ومحاولة دمجهم من الناحية الثقافية والعسكرية.. وقد كانت فى وقت من الأوقات العمود الفقرى للجيل الجديد من المهاجرين.. وعملت على ضم مختلف طبقات المجتمع الإسرائيلى المتنافرة.

كانت تلك مجرد إشاره للصعوبات التى واجهت قيام الدولةاليهودية.. وتغلب عليها يهود الغرب وتعاملوا معها حتى أصبحت إسرائيل أقوى دولة إقليمية فى المشرق العربى..

كل تلك الصعوبات كانت على الجانب العربى عوامل وحده.. من لغة وثقافة ودين وتاريخ .. الخ تغلب اليهود على كل الصعوبات عندما التفوا حول العامل

الوحيد الذى يجمعهم..

وتفرق العرب حتى الآن.. وتنافروا حوله.. فماذا كانت نتيجه الصراع؟!

★★★

فى تيار موازٍ تماما لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة كان من أهداف الحركة الصهيونية– ومنذ البداية – هدف أساسى لايقل أهمية عن الهدف الأول .. ألا وهو إجلاء فلسطين من أهلها وشعبها العربى المسلم.

بل لقد قامت الدعوة الصهيونية على هذين العاملين أو الاتجاهين كطرفين متلازمين يكمل احدهما الآخر.. ومن ثم فقد رفع اليهود دعاويهم أن فلسطين فى نظرهم وطن بلا شعب.. أو هكذا يجب أن يكون.. ومن ثم فهى المأوى الطبيعى المناسب لليهود لكونهم شعب بلا وطن.

يذكر «ابن آفى» الكاتب اليهودى فى مقالات نشرتها صحيفه «دوارها الوم» العبرية عام ١٩٢١ فيقول:

«إن على اليهود أن يطهروا وطنهم فلسطين من المغتصبين.. وإن على سكان فلسطين المسلمين أن يرحلوا إلى الحجاز والصحراء.. وإن على سكانها المسيحيين أن يجلوا عنها إلى لبنان».

أما وايزمان.. فيعترف فى مذكراته بأنه قد:

«اتفق مع الحكومة البريطانية التى تبنت الحركة الصهيونيةعلى تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب وكان مقدرا لذلك الاتفاق أن يتحقق فى عام ١٩٣٤م لولا أن الثورات التى قام بها عرب فلسطين عاقت ذلك.»

رغم كل تلك الاحلام والآمال والأهداف الصهيونية فقد كان من الصعوبه

بمكان تنفيذها على أرض الواقع من منطلق الهيمنة السكانية المسلمة العربية على ارض فلسطين.. الأمر الذى حدا بالسياسة البريطانية إلى خلق أمر غير منطقى.. وجبان.. ويتمثل ذلك فى خلق أجيال من العصابات اليهودية المسلحه.. امام شعب عربى أعزل.. ثم وفجأة تسرع بريطانيا بإنهاء انندابها الرسمى على دولة فلسطين.. وسرعان ما أعلن اليهود من جانبهم قيام دولة إسرائيل.

وهكذا وبنهاية الانتداب أصبح الصراع واقعا لايمكن تفادية.. بين جانبين غير متوازيين وهكذا.. سرعان ما توالت الجرائم والمذابح اليهودية للشعب العربى الأعزل .. حتى تجاوزت الفظائع كل الاحتمالات من مجازر وقعت فى طبرية.. وناصر الدين.. ودير ياسين.. وحيفا ويافا.. وفى غيرها.

كان من نتيجة الأحداث هجرة بعض الفلسطينيين من جرائم الحرب الصهيونية بعد أن تقطعت بهم الأسباب .. وكان القرار يخص صاحبه ومن عاناه ولاشك فى ضروريته فى معظم الحالات..

تؤيد الإحصائيات لتلك الفترة الحقيقة ٠ حيث لم تتجاوز الهجرة خلال فترة النزاع اليهودى الفلسطينى نسبة ١٠٪ من عدد اللاجئين الكلى.. فقد أشارت تلك البيانات إلى أن ٨٥٪ من المهاجرين كانوا من جماعات غير قادرة على الدفاع عن نفسها.

كان ٣٠٪ من تلك النسبة من أطفال دون الخامسة، ٣٦٪ من غلمان تتراوح اعمارهم بين السادسة والثامنة عشر، ١١٪ من النساء حوامل وأمهات مرضعات، ٨٪ من شيوخ ومرضى وعجزة.

.. كان الأمر يشير إلى مجزرة إنسانية.. الأمر الذى دفع وسيط الأمم

المتحدة «البريطانى!!» إلى إقرار الحقيقة فى تقريره عن الحالة فى فلسطين واضطراب الأمن بها.. وما يقوم به اليهود من قتل وسلب وحرق وارهاب ٠ فقد ذكر فى تقريره.

«الفزع والدمار هما اللذان انتزعا اللاجئين من ديارهم»

ليس هذا فحسب- بل لقد ابتكر اليهود طريقه للتخلص من العرب أصحاب البلاد وقد عرفت هذه الطريقة باسم «حدودة الحصان».. وقد تمكن اليهود بمقتضى هذه الخطه أن يحصلوا على المدن بأدنى قدر من التدمير بعد السماح للعرب بالتخلص من الحصار عن طريق الهجرة المفتوحة فى اتجاه واحد.. بلغت أرباح تلك المكاسب العسكرية- حسب تقدير هيئة الامم المتحدة حوالى ٢٠٠٠ مليون جنيه... آنذاك.!!

وقامت الحرب العربية - اليهودية - وانتصر اليهود.. وقامت دولة إسرائيل.

شرد بعد قيام اسرائيل ما يربو على المليون فلسطينى..

وعلى الفور برزت مشكلةحادة قامت الأمم المتحدة بتناولها وأصدرت بشأنها قرارات وقرارات كان أولها فى سنة إعلان دولة إسرائيل ونقصد بذلك القرار رقم ١٩٤ (٣) بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٨م. أكد ذلك القرار على :« حق اللاجئين فى العودة إلى فلسطين والعيش فى سلام مع جيرانهم.. وتعويض من لايرغب فى العودة عن ممتلكاته!!»

وتأكد مضمون ذلك القرار بقرار آخر فى ٩ ديسمبر ١٩٤٩م..

وتوالت القرارات..

وظل الأمر الواقع كما هو.. بل ازدادت القضية عنفاً وغطرسةً وإرهابا.

ولاجدال ٠كان الجانب الإنسانى فى مشكلة اللاجئين لايقل بشاعة وقسوة عن الجانب السياسى المأسوى.. فلقد تشتت شعب وطرد من أرضه.. وعاش

أفراده ومايزالون كلاجئين دون هوية ودون ذاتية ودون حقوق فى الدول العربية المجاورة.

ومازال الأمر على ما هو عليه.. كما سنوضح لاحقاً.

أما الجانب الفكاهى والمضحك فى الأمر كله.. فقد اشتمل على ما جاء فى وثيقه «الاستقلال» التى أعلنتها اسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨م.. حيث تضمنت الوثيقة:

«إن دولة اسرائيل ستشجع تقدم الدولة ورقيها بما فيه صالح «كل» السكان وسيكون أساسها الحرية والعدالة والسلام.. كما جاء فى أقوال انبياء إسرائيل.. وستدعم النظام الاجتماعى والسياسى بالمساواة التامة بين «كل» المواطنين بدون تفرقة بسبب الدين أو العنصر أو الجنس.. وستضمن حرية الأديان والعقائد والتعليم والثقافة وستحافظ على الأمن والاستقرار فى الاماكن المقدسة لكل الأديان وستخلص فى تحقيق أهداف ميثاق الأمم المتحدة».

ولا داعى للتعليق على تلك الأهازيج..

بل سنكتفى بشهادة مناحم بيجن رئيس عصابة الأرجون الإرهابية آنذاك.. ورئيس الوزراء الإسرائيلى فيما بعد..فهو..هو القائل بعد مذبحة «ديرياسين»:

«لقد سيطر الرعب على عرب أرض إسرائيل نتيجة لمذبحة ديرياسين فقد كان لها من الأثر ما يساوى قوة ستة كتائب من الجنود.. فقرية «قلونة» التى كانت قد صدت كل هجوم شنته الهاجانه عليها أخليت فى ليلة واحدة وسقطت فى ايدينا دون قتال.. كذلك اخليت قرية «بنت أكسا».. لقد كانت هاتان القريتان تشرفان على الطريق الرئيسى العام وبسقوطهما مع استيلاء الهاجانة على «القسطل» أمكن فتح الطريق إلى القدس.. أما بقيه أنحاء القطر فقد ابتدأ العرب

يفرون هلعاً قبل الأصطدام بالقوات اليهودية».

ليس هذا فحسب..

بل لقد عمدت إسرائيل إلى التعامل مع سكانها من العرب بوسائل تشير كلها إلى حقيقة نواياها وأهدافها المعلنة والمشهورة.. فرمت أساسا إلى القضاء على عروبة مواطنيها.. ومحاولة إذابتهم فى الكيان الإسرائيلى.. فإن لم يتيسر لهم ذلك عمدوا دون خجل إلى نبذهم بطريق الاضطهاد والقتل الجماعى أو التهجير الاضطرارى.. أو الاستيلاء على ممتلكاتهم.

والاستشهاد على ذلك كله تزخر به الحوادث.. وتثبته الوقائع.. ويسجله التاريخ حتى لحظه كتابة هذه الكلمات..

أما من الناحية التاريخية:-

فقد سنت إسرائيل قوانينها ضد الأقليه العربية.. الأقلية صاحبة الأرض.. وذلك من أجل تضييق الخناق عليها.. ودفعها دفعا إلى الهجرة خارج أرض فلسطين المحتلة.

تضم هذه القوانين ١٧٠ مادة .. مقسمة إلى ٥٠ فصلا.. وتتركز جميعها على الكيفية التى يمكن بواسطتها التحكم فى نشاط السكان العرب فى إسرائيل.. وتوجيههم والسيطرة عليهم.

تقضى تلك القوانين بفرض القيود على حرية التنقل داخل البلاد.. وحتى داخل المنطقه الواحدة.. كما تخول تلك القوانين تعيين حكام عسكريين فى المناطق التى يراها النظام اليهودى أهلا لذلك.. ولهؤلاء العسكريين مطلق الصلاحية لتطبيق جميع القيود المفروضة على العرب.. وبالشكل الذى يرونه مناسبا.. وبوسع أى حاكم عسكرى.. وبمجرد إصدار أمر إدارى أن يضع أى فرد تحت مراقبة الشرطة.. وأن يحول بينه وبين مباشرة عمله ومهنته.. وله

حتى أن يقوم بإبعاده عن البلاد.. ومصادرة ممتلكاته.. وحتى نسف منزله.

ونكتفى فى هذا المقام برأى «ياكوف شابيرو» والذى أصبح بعد قوله ورأية هذا وزيراً للعدل الإسرائيلى.. يقول الرجل:

«إن الوضع الذى نشأ فى إسرائيل بعد تشريع مجموعة القوانين الدفاعية ليس له أى مثيل فى أى مجتمع متمدن.. إذ لم توجد هذه القوانين حتى فى ألمانيا النازية!!» فهل تغيرت مثل هذه القوانين بعد أن اصبح الرجل وزيراً للعدل؟!

بعد عامين فقط من قيام إسرائيل.. أو أقل.. اصدرت اسرائيل عدة قوانين لخدمة أهدافها الواضحة وتطهير فلسطين من أى ادعاء عربى بحقوق مغتصبه.

كان أول تلك القوانين «قانون الغائبين» لعام ١٩٥٠م.. وقد سمحت بنود هذا القانون «بوضع أملاك العرب «تحت الحراسة» .. ثم إنه اشار كذلك إلى حق الحارس على أملاك الغائبين فى بيع تلك الأملاك لقاء ثمن تحددة السلطات الإسرائيلية ذاتها!!.

بعد ذلك بعامين آخرين صدر قانون «إستملاك الأراضى» لعام ١٩٥٢م.. والذى أعطت بنوده الاحتلال الصهيونى فرصة الاستيلاء على الأراضى العربية بحجة استخدامها فى أغراض التعمير والتنمية والاقتصاد.. أو حتى لأسباب تتعلق بأمن إسرائيل العام.

أما فى عام ١٩٥٣م.. فقد صدر قانون «التصرف» .. وهذا القانون المدهش اشترط على «صاحب الملك» أن يتصرف بأملاكه تصرفا فعليا.. وبشخصه.. وبطريقة مباشرة!!.. من ناحية أخرى فإن الشق الثانى من هذا القانون خول وزير مالية الحكومة الإسرائيلية الحق فى وضع يده على هذه الأملاك

والتصرف فيها لسد حاجات معينة تتناول الأغراض الدفاعية أو تتعلق بمشروعات توطين المزيد من المهاجرين اليهود الوافدين إلى أرض فلسطين المحتلة.. هكذا.. وبمنهتى الصراحة والوضوح كانت نظرة اليهود تجاة الأرض.

كما كانت تجاه السكان العرب الأصليين.

هكذا.. وبمنتهى الصراحة كانت نظرة ذلك القانون حتى أنه منح وزير المالية الإسرائيلى الصلاحية فى إصدار قرار قاطع بالاستيلاء على «أملاك معينة».. وتسجيلها كملك للدولة وباسم «هيئة التعمير والتنمية».

بعد ذلك بعدة سنوات وفى عام ١٩٥٧م بالتحديد صدر قانون بأسم «تقادم العهد أو مرور الزمن».

نص ذلك القانون على أن المالك لأرضه لايحق له الاحتفاظ بها إلا متى قدم إثباتا يؤكد تصرفه بها طيله ٢٥ عاما.. وإلا.. وإلا فإن جميع الأراضى التى يتعذر على أصحابها إبراز الأدلة الثبوتيه ،، على تصرفهم بها تصرف المالك بملكه تعتبر ملكا لدولة إسرائيل.

بذلك القانون.. سقطت املاك العرب وحقوقهم تحت ستار «مرور الزمن».. أو تقادم العهد،

ليس من عجب- بعد ذلك وغيره- فى تخيل الأملاك والأراضى التى استولت عليها إسرائيل بتلك القوانين الفريدة.. من العرب المقيمين داخل إسرائيل.. وخارجها من المهاجرين كذلك.

بعد كارثة ١٩٦٧م لم تتغير القوانين اليهودية فى مضمونها وروحها.. بل إزدادت تطرفا وجنوحا ، فلم يكن أمام واضعى هذه القوانين سوى سن قوانين الإرهاب بغية الاستيلاء على أراضى الضفة الغربية وتهجير سكانها العرب.. خاصة بعد ازدياد عدد السكان العرب تحت السيطرة الاسرائيلية فى الأراضى

العربية المحتلة.. مع ازدياد الهجرة اليهودية وموجاتها المتلاحقة بعد هذه الحرب.

عبر عن ذلك كله الحاخام الفرنسى المعاصر «إيمانويل ليڤين» فقال.

«إن كيانى يزدهر ويتضح بتعاطفى وتضامنى مع «عرب فلسطين» وبمعارضتى الكاملة والمطلقة لدولة إسرائيل والصهيونية التى تحمل فى مبادئها المظالم والجرائم التى نعيشها كشهود عاجزين ، وماكانت إسرائيل تستطيع أن تقوم دون ارتكاب هذه الجرائم» .

وشهد شاهد منهم.. على فصل من الأحداث.. أو صورة من الوقائع.

إن أدنى تقييم لتلك القوانين وتحليل أهدافها ومغزاها يؤكد أن الهدف الأساسى للحركة اليهودية فى فلسطين المحتلة لم يخرج منذ بداية مشروع إسرائيل كفكرة.. وحتى الآن.. عن هدفين أساسيين واضحين .. وهما: الانسان .. والأرض.

فهل تغيرت تلك الأهداف فى مرحلة بناء الدولة الإسرائيلية.. حتى فى مرحلة التوافق العربى الإسرائيلى التى تعبرها حاليا؟! .

إن الحقيقة المؤلمة- والتى يجب الاعتراف بها بداية- أن مخطط الجميع لخلق الدوله اليهودية فى قلب الأمة العربية قد نجح نجاحا مدهشا.. ويجب أيضا أن نعترف علانية أن هذا المخطط قد قام على أسس عقائدية أيديولوجية فى المرتبة الأولى.

أما أدنى تحليل لموقف دول الصراع العربية تجاه ذلك المخطط فقد تحاشى.. ولاقصى حد.. رفع أى شعار إسلامى أو عقائدى تجاه ذلك المخطط.. منذ بداية الصراع.. وحتى الآن.

لعل ذلك أيضا ما يوضح اختلاف وجهات النظر ومستوى المواجهة والفهم لخطورة القضية بين بلدان المواجهة.. وحتى الآن أيضا.

لكن ما غاب على الجميع وحان وقت مواجهته أن الأمر كان ولابد أن يمس الصميم · ذلك الصميم هو محور القدس.. والذى لاخلاف حوله من وجهه نظر الاسلام وقدسية بيت المقدس أولى القبلتين.. وثالث الحرمين.. ومسرى الرسول الكريم..

إن أهمية القدس.. من أهمية الدين.. رضى بذلك من رضى.. وأحجم عنه من جبن · من غفل عمداً أو غضباً..

ذلك المحور سوف يكون محوراً لصراع حتمى.. لاشك فيه.

★★★

منذ بداية الأحداث ونشاط قوى الإرهاب للعصابات اليهودية تمركزت الحوادث فى منطقة القدس العربية لما تمثله تلك المنطقه عند أطراف النزاع جميعهم.

فى الخامس عشر من أغسطس ١٩٢٩م رفع اليهود والمهاجرون العلم اليهودى ذا النجمة السداسية فى مظاهرة عارمة فوق حائط المبكى وسط المسجد الأقصى.. وعلى الفور قامت معركة عنيفة بين اليهود والمسلمين سقط فيها القتلى والجرحى من الجانبين.

كان هذا اليوم بمثابة البدء الحقيقى للنزاع العربى- اليهودى فى فلسطين.

على الفور قامت لجان التحقيق البريطانيه الشهيرة.. وبقصد تمييع المواقف وإطفاء الحماسة والعمل على إشاعة الفرقة والانقسام بين الجماعات والعشائر الفلسطينية.

انتهت لجنة التحقيق بنشر «كتاب أبيض» تناولت فيه الرؤية البريطانية لمستقبل القدس!!.

واختلف الفرقاء حول مضمون تلك الرؤية منطقا.. وفعلا.. واستمر

الرصاص يدوى بين الجانبين العربى... واليهودى فى القدس.

«كان تسلل اليهود للقدس بدعوى الرغبة فى إقامة شعائرهم الدينية عند حائط البراق الذى يطلقون عليه حائط المبكى.. فتصدى لهم أهل فلسطين.. ووقع صدام عنيف بين اليهود والفلسطينيين.. الأمر الذى رأت حكومة الانتداب مواجهته بشكل سياسى فجاءت لجنة دولية للتحقيق فى الحادثة سميت بلجنة «البراق».. وبموافقة عصبة الأمم المتحدة وهى مؤلفة من فقهاء من ثلاث دول.. سويسرا وهولندا والسويد.. وكانت مهمتها تحديد مالليهود والمسلمين من حقوق فى حائط المبكى والساحة المجاورة لها.

بعد الاستماع والدراسة والتحقيق.. وبعد عقد ثلاث وعشرين جلسة استمعت اللجنة خلالها لاثنين وخمسين شاهداً.. بينهم ٢٢ من اليهود- وثلاثون من الجانب العربى.. وواحد من موظفى حكومة الانتداب.

حضر عن الجانب المسلم العربى بالاضافة إلى المحامين الفلسطينيين أحد عشر محاميا من بينهم مسيحيون جاءوا من أطراف العالم المختلفة.. من مصر وسوريا.. وشرق الأردن والهند والمغرب والجزائر وليبيا والعراق.. وأيضا من إندونيسا ومناطق إسلامية فى إفريقيا لم تكن قد استقلت بعد.. وانتهت اللجنة إلى قرارات عبر الدكتور محمد الفرا فى دراسته الهامة «القدس والعوائق المنسية» والتى قدمها إلى المؤتمر الثامن عشر للمحامين العرب فى الرباط عن تلك القرارات .. فقال:

«وجدت اللجنة أن ملكية حائط المبكى وحق التصرف به وبالأقسام المحيطة به تعود إلى المسلمين.. وأن الحائط نفسه كجزء غير منفصل من الحرم الشريف.. وهو ملك للمسلمين»

«لقد صار اليهود يطمعون ويتطلعون إلى مقدسات المسلمين وأشرفها القدس!!!

بعد أن كانوا محرومين من تدنيس القدس الشريف حسب معاهدة الفاروق

بن الخطاب (رضي).

فى معارك ١٩٤٨م.. كانت القدس تمثل الهدف الأسمى للمعارك لكلا الطرفين.

على أرض الواقع العملى وفى معارك ١٩٤٨م.. تقدمت القوات المصرية بقيادة احمد عبد العزيز قائد الفدائيين فى ١٩ مايو من نفس العام متجهة إلى بئر سبع.. واشتبكت قوات الفدائيين مع كثير من المستعمرات المحيطة ببئر سبع.. غير أن احمد عبد العزيز واصل زحفه حتى بيت لحم حيث التحم هناك بقوة أردنية.. ثم واصل الجميع زحفهم إلى القدس.

بعد قتال استمر ١٣ يوما استولى المصريون والأردنيون على القدس القديمة- وفى ٤ يونيو وصلت قوات مصرية نظامية من بيت جبرين.. وتم حصار القدس الجديدة وبها نحو ١٠٠ الف يهودى.. وكان الجيش الأردنى قد وضع يده على حى الشيخ جراح فى القدس واستولى على حارة اليهود فى القدس القديمة.. واحتفظ بموقع اللطرون.

وفجأة اعلنت الهدنة الأولى!! فى وقت كانت رياح الحرب تميل للناحية العربية المصرية الاردنية.

-كان رئيس الأركان للملك عبد الله هو القائد الإنجليزى «جلوب».

وأرسلت الأمم المتحدة مبعوثها الكونت برنادوت لتقصى حقائق الموقف ووضع تقرير عن الحاله الأمنية- وكان رد فعل عصابات الإرهاب اليهودية «شترن» وعصابة «ارجون زفاى ليوم» وغيرهما عدم اعترافهما بوقف إطلاق النار.

وفى ١٧ سبتمبر عام ١٩٤٨ اغتيل الكونت فولك برنادوت بأيدى العصابات الصهيونية.

استمرت المعارك على أرض فلسطين.. وفى ١٨ يوليو ١٩٤٨ م

اعلنت الهدنة الثانية!!

واستمر القتال شرساً.. وسلمت القوات الأردنيه اللد والرملة إلى الجيوش والعصابات اليهودية.. وبدأت خيوط الهزيمة تتضح بعد أن سارعت الدول الغربية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهما إلى مساعده وتزويد إسرائيل بالأسلحة الحديثة ومستلزمات الحرب مما ساعد العصابات الصهيونية على زيادة أعمال القتل والإرهاب.. وانفجرت على الجانب المصرى فضيحة الأسلحة الفاسدة..

وهكذا .. فى ٧ يناير ١٩٤٩م تم فرض الهدنة الثالثة.

وفى جزيرة رودس اجتمع مندوبون عن مصر وإسرائيل بحضور «رالف بانش» وسيط هيئة الأمم المتحدة.. وتم توقيع اتفاق هدنة دائمة فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩م.

وحتى تكتمل المسرحية التراجيدية.. وتوافق الدول العربية على تلك الهدنة رغم هزيمتها بذلت جهود دولية فى الأمم المتحدة تزعمتها أمريكا وانجلترا على وجه الخصوص صدر فى ظلها قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٨م يقضى بإنشاء لجنة توفيق «تابعة للامم المتحدة لتقرير وتقدير وضع القدس من الأحداث. »

وصدر قرار دولى آخر برقم ٣٠٣ فى ٩ ديسمبر ١٩٤٩م مؤكدا على وضع القدس تحت نظام دولى دائم.

أما على أرض الواقع فإن ذلك كله لم يشكل حجر عثرة أمام اليهود ونظرتهم تجاه قضية القدس خاصة.. من الناحية العملية والفعلية..

كان من نتيجة ذلك كله أن انتهت الحرب باستيلاء اليهود على الاقسام الجديدة من القدس.

كما أنقذت الجيوش العربية القدس القديمة- وأحياء باب الساهرة- والشيخ جراح.. ووادى الجوز وغيرها من المناطق العربية المحيطة بالقدس.

رغم أن أهم المقدسات الإسلامية والمسيحية تقع بالقدس القديمة.. الا أن بعض تلك المقدسات كانت تقع خارج المدينة القديمة.. اى تحت السيطرة اليهودية.. والسيادة الصهيونية.

لم تشتعل الروح الإسلامية لهذا الانتهاك الدنس لمقدساتهم.. فاستمرت الملهاة فى تداعيها.

من الإنصاف ومن منطلق إحقاق الحق فإن الأحياء المقدسة فى القدس العربية كانت فى حاله تخلف من الزاوية العمرانية.. الا أن الجانب العربى المسلم وبعد تداعى الحوادث ركز جهوده فى فترة ما بعد الحرب على العناية بمنطقه القدس فتم إنشاء العمارات الشاهقة الحديثة والأبنية الجميلة وبذلت الأوقاف الإسلامية والأوقاف المسيحية جهدا ملحوظا فى ذلك المجال.. وشاركت الشركات العربية المساهمة والأفراد والشركات الحكومية الأردنية فى ذ لك المجال.. كما أولت لجنة عمارة الحرم الشريف اهتماما خاصا لإعمار مسجد الصخره.. والمسجد الأقصى.. فقد كانا بحاجه ماسة إلى الإصلاح الجذرى وجمعت من أجل ذلك عشرات الملايين من الدنانير من الأقطار الإسلامية للمحافظة على مسجد الصخرة المشرفة وإعادة بنائه.. وبناء قمته الفريدة الرائعه والدالة على مدى تقدم ورقى الحضارة الإسلامية يوم أنشىء ذلك المسجد وشيدت فى عهد عبد الملك بن مروان الأموى.

يوم أن كانت للمسلمين شوكة وصولة.. وكرامة.

وفى عام ١٩٦٤م- إن كنا نتذكر - جرى احتفال إسلامى كبير تحت رعاية

الملك حسين.. حضر ذلك الاحتفال الكثير من زعماء العالم الإسلامى وممثليه فى أسيا وإفريقيا.. الأمر الذى أشار أنذاك– إلى مدى تمسك العالم الإسلامى وتقديره للقدس الغالية.. والمسجد الأقصى المبارك. بعد ذلك نحا المكتب المعمارى المصرى بثقله وخبرته وفنونه نحو المسجد الاقصى وشرع فى إعماره وتجديده والعناية به وبآثاره.

ليس هذا فحسب.. بل لقد تطورت منطقة القدس «العربية» فانتشرت فيها المراكز التجارية والصناعية والفندقية والسياحية.. وزادت من ثم مساحتها .. كان الدافع وراء ذلك كله دافعٌ إيمانى ووطنى مخلص.. خاصة والمسلمون يلمحون مدى ازدهار منطقه القدس الجديدة المحتله وهى تحت حماية ورعاية اليهود الصهانية.

قامت تلك المجهودات على أيدى عرب القدس الذين طردتهم قوات الاحتلال من اراضيهم وممتلكاتهم فى أحياء القدس الجديدة.. الأمر الذى يشير إلى الجانب النفسى فى ذلك الصراع وصورته الحقيقية التى يجب الاعتراف بها. إن الحكومة الأردنية قد بذلت جهدا مشكورا وواجبا ملزماً فى رعاية الأماكن المقدسة والعناية بحقوق الطوائف الدنيه المختلفة.. ولم تسمح بأى عدوان على أى منها.. كما يجب الاعتراف كذلك بأنها لم تسمح لليهود بالوصول إلى حائط المبكى وتدنيس المسجد الأقصى.. ويرجع ذلك أساسا إلى وجود حاله حرب بين العرب والصهانية أنذاك .. خاصة أن المكان يقع فى منطقة أهله ومزدحمه بالسكان.

كانت الحاله بين العرب وإسرائيل يضبطها اتفاق هدنة.. وليس سلام متفق عليه.

فعلى الجانب الإسرائيلى .فمنذ قيام دولة إسرائيل إلى الوجود وحتى كارثة حزيران ١٩٦٧م قامت الدولة الإسرائيلية ببناء نفسها.. وبكل همة ونشاط وساعدتها ولأقصى درجة الصهيونية العالمية والدول الغربية ـ أمريكا وبريطانيا على وجه الخصوص.. كان ذلك كله على مفهوم أن الصراع مستمر.. وأن القضية لم تغلق.. فلم يتم اليهود بعد تحقيق كل أمالهم وأحلامهم.. تجاه القدس خاصة.. والمنطقة عامة.

كانت تلك الفترة حاسمة وإلى حد كبير فى شكل الصراع ونتيجته فيما بعد.. فقد عبرت فيه الدولة الصهيونية الحاجز النووى بمساعدة أمريكا وبريطانيا.. وفى عدة سنوات لا غير.. أما على الجانب العربى.. فقد أستهلكت الخلافات العربية قوى دولها وإمكانياتها.. وظهر التنافر والتعارض بين الأنظمة الحاكمة واتجاهاتها الأيديولوجية.. وأصبح العداء معلنا بين الدول العربية حتى قامت بين دول المواجهة.. مواجهات فعلية..

لم يتجمع العرب حول القدس.. وخطورة مستقبلها الملموس.. وأسقط العرب.. وسط خلافاتهم. أن الطرف الصهيونى واضح الهدف منذ الثلاثينيات.. بل ومؤمن بقضيته بصرف النظر عن صوابها أو خطأها.. وكان اليهود يصلون إلى القدس القديمه.. ويتجهون إليها بقلوبهم.. وأيديهم ممسكه بالسلاح.

وكان لابد من كارثة تمثل وتماثل ذلك الخلل الواضح.. وتخرج العرب من ذلك التيار القاصم والدوامة القاتلة التى تستنزفهم .. وهم لايشعرون.

كان ولابد من كارثة حزيران ١٩٦٧م.

الصهيونية العالمية.. المبدأ والهدف

من دروس التاريخ أن بعثة الأمم ونهضتها لابد وأن تقوم على أساسيات تستطيع أن تجمع قوى الجماعات والشعوب ودفعها دفعة نفسية هائلة تجاه أهدافها وتحقيق آمالها.

يمتعتبر الأيديولوجية والديانة المحور المشترك بين تلك الأساسيات جميعا.

الحقيقة التى يجب تذكرها على الدوام أن التحولات الاجتماعية والسياسية التى خاضها المجتمع الأوروبى منذ عصر النهضة هى المسئولة عن المسألة اليهودية برمتها.. وهى التى شكلت طبيعة التحدى..

قبل ذلك كانت تلك المجتمعات فى العصور القديمة والوسطى تنظر إلى اليهود نظرة كلها شك. ولهذا تميز ذلك العصر باضطهاد اليهود ومعاملتهم باحتقار.

وحينما انتشرت المسيحية فى أوروبا استمر ذلك الاضطهاد على خلفية دينية عقائدية حتى لقد أصدرت الدول الأوروبية قوانين تحرم على اليهود امتلاك الأراضى.

على أن الوضع مالبث أن تغير منذ نهاية العصور الوسطى نتيجه التطور السياسى والاقتصادى الذى حدث آنذاك.. فبعد الثورة الفرنسية وظهور الدول الحديثة، تم فصل الدين عن الدولة، وأصبح من الممكن اعتبار اليهود مواطنين شأنهم شأن المسيحيين- واصبح من الممكن دستوريا واقتصاديا اندماج اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها.. الأمر الذى أدى إلى ازدهار احوال اليهود الاقتصادية فى العديد من دول أوروبا. خاصة الشرقية.. وروسيا.

لم يتضح بعد كيف أثرت اليهودية والعبرية فى عقل أوروبا الحديثة.. ومع أن الحقائق متوفرة للجميع إلا أن أحداً لم يحاول جمعها معا ليوضح كيف تجمعت لتشكل بدايات مؤازرة أوروبا لليهودية الأمر الذى تمخض عن ظاهرة الصهيونية وحركتها وبتعضيد قوى العالم لها.

وفى رأينا أن الأمر لايقتصر على مدى التوافق الدينى أو الأيديولوجى غير أنه اعتمد على عدد من العوامل التى غيرت سياسات ذلك العصر. توافقت كلها مع الفكرة اليهودية الصهيونية وتوازت فى نفس الوقت مع زمن سيادة الرجل المريض العثمانى للمنطقة العربية.

كانت حركة الاستعمار العالمى ترتكز على معطيات سياسه وعسكرية واقتصادية.. وايضا دينية.. فبينما كانت فرنسا حامية للكاثوليكية .. كانت روسيا راعيه للارثوذكسية.. وكان الفكر المسيحى فى كلا المدرستين لا يعطى أدنى احتمال لعودة اليهودية إلى فلسطين.. وظل الأمر على ما هو عليه حتى قامت حركة الإصلاح الدينى فى بريطانيا وأقامت المذهب البروتستانتى والذى تأثر بالفكرة العبرية اليهودية إلى حد بعيد. حتى أن العهد القديم اضحى «أدبهم الوحيد» وغذاءهم الفكرى والروحى الأساسى.

ومع ذلك فإن نظرة مارتين لوثر كنج إلى حركة هجرة اليهود إلى فلسطين

لإقامة دولتهم كانت نظرة لها دلالاتها التى تؤكد تداخل العقيدة مع غيرها من المؤثرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فهو القائل: «ماذا يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم فى يهوذا؟ لا أحد..

إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون لرحلتهم لا لشىء إلا لنتخلص منهم إنهم عبء ثقيل علينا.. وهم بلاء وجودنا.

ذلك الشعور يفسر مواقف الارثوذكس فى شرق أوروبا وروسيا من اليهود آنذاك.. وبصوره لعلها أوضح من موقف المتعاطفين من البروتستانت.

على تلك الخلفية الإيمانية فى كل من الشرق والغرب الأوروبى جرى تفاعل اليهود مع المجتمعات التى تفاعلوا معها وتعايشوا فيها.. ومن ثم كانت الصعوبه لتباين الموقف من اليهود فى شرق أوروبا عن غربها.. مع تباين حرية حركة اليهود الإيمانية فى الشرق عنه فى الغرب كذلك.

لتلك العوامل الاجتماعية العقائدية السياسية يقف المحلل موقف حيرة عندما يتناول أساسيات موقف اليهود فى تلك الحقبة الهامة التى تسيدها الغرب.. والتى نشأت فيها بذور الصهيونية.

وهكذا بينما كانت حرية الحركة متاحة لليهود فى غرب اوروبا.. كان الحال مختلفا فى شرق أوروبا.

لا أدل على ذلك من بطء حركة تحرير اليهود فى أوروبا الشرقية وروسيا عن حركة الاضطهاد الشهيرة من عام ١٨١٥:١٨٣٠م واستمرارها بعد ذلك بصورة أو بأخرى.

وفى روسيا كان ذلك التيار على أشده بعد مقتل القيصر اسكندر الثانى عام ١٨٨١م.. وفى عام ١٩٠٥م ساء الأمر بالنسبة لليهود عندما نشرت بروتوكولات حكماء صهيون فى روسيا، وعندما نشرت روسيا هيمنتها على

شـرق أوروبا كـان يهـود الخـزر لهم مكانتـهم وتاريخـهم الطويل كـدولة لهـا مميزاتها العقـائدية .. فقد كانوا يتكلمون العبرية.. ويتمـتعون بتاريخ له وزنة.. ومن ثم سقطت دولـة الخزر.. وانتشـر اليهود فى دول بولندا وألمانيا وهولندا.. وروسيا خاصـة.. وغيرها. لعل ذلك يوضح حقيقة أن مـشاكل اليهود فى أوروبا ووسـائل حلهـا جاءت من أقطاب الصـهـيونية واليـهودية فى الشـرق والغـرب.. ورمت جـمـيعـهـا إلى تخليص اليهـود فى شـرق أوروبا من الضـغط السـيـاسى الواقع عليهـا بخلق دولة يهودية.. وتقبل يهـود غرب اوروبا تلك الفكرة.. لكنهم وإلى الآن لم يشـاركوا فيـها بنسـبة مـشاركـة يهود الشـرق لاختـلاف الحال فى الغرب الأوروبى.

.. أما الهدف الذى أجـمع عليه الجميع فقد كـان يخدم اليهود لتجمـعهم حول مـحور يمكن قـبـوله من الشـتات المدهش لهم كـأقليات فى جـميع دول العـالم.. خاصـة أن ذلك سـوف يخـدم أيضا أوروبا من الوجـهة السـيـاسـيـة حيث سـيمكن وضـع موضـع قدم لـهـم ثابت فى الشـرق هـو مـفصل ومـحـور تلاقى قارات أوروبا وأسيا وأفريقيا.

الأمـر المدهش أن توافق التـيارات جـمـيـعـهـا كـان يتـأتى على حسـاب العـرب. وفلسطين.. والقدس المقدسة.

★★★

من واقع الأحداث التـاريخية الموثـقة يمكن القول أن «البـعثة الصـهيونيـة» قد سبـقت النهضة العربية بعشـرات السنين- بل لقد امـتازت عنهـا فعلا بحـيوية مدهشـة وتفاعل إيجابى مع قـوى أوروبا فى عصـر النهضـة.. ليس هـذا فـحسب .. بل لقد تميزت عنهـا فعلاً فى مدى إيمان أفرادها بـأيديولوجية تلك البعثه.. ويصرف النظر عن الحق والحقيقة..

فى ذلك الوقت زورت جـمـاعـات الصـهـيـونية التـاريخ ورفـعت الادعـاءات.. واعـتمـدت على الإعلام الذى تمتلك وسـائله- فـأمن بها الأقطاب الاوروبيـون -

كما أنها اعتمدت على عدة عوامل:

- بعث الروابط الروحية والدينية بين اليهود . وأرض فلسطين.. فرفعت الدعوى بالوعد الإلهى لبنى إسرائيل فى أرض كنعان.. وتنادت بأنهم «شعب الله المختار».. وأقامت من هذا الوعد. مفهومها لضرورة قيام الدولة الصهيونية على أرض فلسطين كاستجابة لمشيئه الرب.. وكضرورة لبدء العهد الألفى السعيد..

كان لانتشار تلك الأسس الإيمانيه فى العقيدة البروتستانتية ومصدرها اليهودى أثره فى مؤازرة الدول البروتستانتية الكبرى للدعوى اليهودية مثل انجلتر وأمريكا.

- تنادت قوى الصهيونية بالقومية اليهودية المستقلة.. وضربت على المفهوم السياسى، وطالبت بضرورة تجسيد تلك القومية بما يميزها تاريخيا وجنسيا وثقافيا ولغويا أيضاً.

- كانت الحجج التاريخية اليهودية لكل تلك المطالب تاريخ اليهود فى مملكتى النبى داوود.. والنبى سليمان وكان ولابد من إسقاط ما تلاه من تاريخ لاحق لهما.

- رغم سهولة مناولة تلك الأساسيات فإن أهم عامل ساعد على إنجاح المخطط الصهيونى كانت ملاءمته للفكر الأوروبى الاستعمارى تجاه المنطقه العربية.. وتوافقه مع الفكر البروتستانتى الأنجلو ساكونى والأمريكى أيضا.. وشعور ذلك الفكر الأوروبى الآخر «الكاثوليكى والأرثوذكس» بأن ذلك التيار يخدمهم بطريقة غير مباشرة لتخلصهم من اليهود..

- أهم ما فى الأمر حقا أن يهود العالم فى الشتات لا تتوافر فيهم تلك

التفسيرات التى رفعوها لقيام دولة وشعب على أرض كنعان العربية..

ومن الشجاعة القول أن الرابطة الوحيدة التى جمعتهم هى رابطه الدين لا غير.. وهى رابطه غير قومية لا يتقرر على أثرها المطالبة بتكوين دولة..

فأصل يهود الخزر وهم من قطنوا روسيا وأوروبا الشرقية. أصلهم من آسيا.. ورفضوا الدعوة الإسلامية وبنوا كيانهم الذاتى على معاداة الدعوة الإسلامية فى أوروبا ورفضها.

.. كان لذلك التاريخ بصمته فى حركة المستقبل فيما بعد قيام الدولة الإسرائيلية.. وفى السياسة. الأمر الذى لم تعه حركة القومية العربية.. ولم تتخذ تجاهه ما يستلزمه.

★★★

فى عام ١٩٦٠م. حدد الرئيس الأمريكى تيارات الصراع فى منطقه المشرق العربى فى كتابه المعروف «استراتيجية السلام».. وكان نتيجة بحثه أن طبيعة الشرق الأوسط سيحدده فى الأجيال القادمة عامل لم يكن موجودا من قبل.. ألا وهو «دولة إسرائيل».. وأوضح الرئيس الأمريكى حقيقة الرابطة التى تربط القوى الاستعمارية وإسرائيل.. فقال إن من المرامى الأساسية للدول الكبرى «السيطرة على إسرائيل» بوصفها إحدى دول المنطقه واستخدامها فى نفس الوقت كرادع لأى دولة عربية ترفع رايه العصيان فى وجه السيطرة الأجنبية.

أما إسرائيل فلم تمانع فى التوافق مع تلك الاستراتيجية فى المرحلة التى عبرتها.. لكن هدفها كان على الدوام تحقيق حلم الصهيونية فى إنشاء دولة إسرائيل الكبرى.

وهكذا أوضح الرئيس الامريكى أن أهداف الصهيونية ودولة إسرائيل تتلاقى مع أهداف الدول الكبرى فى مرحلة الستينيات وما بعدها.. لكن ذلك التوافق

وتحكم السياسة فيه له خطه الأحمر..

وهو الأمر الطبيعى الذى يعتمد على فلسفة واستراتيجية وأهداف كل طرف من الأطراف ومدى توافقهما.. فالمنطق يقر بأن نظرة الصهيونية بعد استقرارها كدولة مركزية فى المشرق العربى سوف تقف على قدم المساواة نداً للقوى الكبرى فى تطلعاتها تجاه المنطقة العربية.

ذلك المنطق تضمنتة ايضا كلمات الرئيس جون كيندى لا شعوريا.

وهكذا لم يجد الطرفان بداً من رفع محور مشترك يتوافق فيه الفكر البروتستانى الانجلو ساكسونى الأمريكى فى عصر سيادتهما مع الفكر الصهيونى- ونظرتهما تجاه فكرة إسرائيل الكبرى. كان لجذور كل تلك السياسات والفكر العقائدى أثره فى المواقف أثناء قيام دولة إسرائيل.

★★★

بعد ساعات من إعلان انسحاب الحملة البريطانية من منطقة فلسطين تم إعلان دولة إسرائيل رسميا!!.. وبعد ساعات أخرى تم الاعتراف بها من قبل الدول الكبرى بريطانيا وأمريكيا وحتى روسيا.. وكان هم الدول الكبرى مسانده تلك الدولة الوليدة بكل طاقاتها.

أما على الجانب الاخر.. فقد كان للتحركات السياسية للدول العربية أثرها هو الآخر فى إنجاح المخطط العالمى لزرع تلك الدولة اليهودية فى الأرضى العربية الإسلامية.

فى مصر .. تم رفع حركة القومية العربية كرد فعل لقيام إسرائيل .. وعند ظهور حركة دينية لها ثقلها لمواجهة الفكرة الصهيونية فى اسرائيل فى المنطقه قام الاشتباك والذى انتهى بالقضاء على شوكه «الإخوان المسلمين» وأجهض بذلك عامل هام له أثره وخاصيته التى كانت تستطيع أن تلم شمل المنطقة على

غرار قيام الدولة الصهيونية.. على اقل تقدير.

من زاوية أخرى- ظهر تيار آخر فى بعض البلاد العربية عارض فكرة القومية العربية ودافع عن ضرورة تنوع الأقطار العربية لتعددها واختلاف ظروفها وطبيعة الحكم فيها.. وضرورة تميزها من ثم.. ودخلت القومية العربية، فى صراع معلن مع تلك القوى.. الأمر الذى أدى إلى توتر فى العلاقات العربيه رغم رفع الجميع شعار مواجهة الصهيونية كهدف أساسى وأسمى!!.

كانت القومية العربية كفكرة استراتيجية محور دراسة إسرائيلية لتحديد قيمتها وأثرها على مستقبل دولة إسرائيل .. من تلك الدراسات الهامة كانت دراسة «أبا إيبان» أول سفير لدولة إسرائيل فى واشنطن.. وأول ممثل لها فى هيئة الأمم المتحدة.. وحملت الدراسة عنوان «موجة القومية».. كما عكست تقدير وجهه النظر الإسرائيلية لها..

المدهش أن أبا ايبان دافع فى دراسته عن فكرة القومية بوجه عام.. وحبذ فكرة القومية العربية غير أنه عارض فلسفة تلك الفكرة تجاه الوحدة والمركزية فى اتخاذ القرار السياسى .. فأوضح الرجل أن تلك البلاد العربية «تعودت أن تعيش دولا متفرقة» .. وكان توحيدها بالغزو العسكرى وليس بالرضى والاختيار.. ويدعى أبا إيبان من ثم أن اليهودية قومية هى الأخرى!! وهو ادعاء مضلل .. فما كان الدين يوما قومية.. كما أن الأديان تتجه إلى جميع القوميات.. وكل قومية بدورها تحوى العديد من الأديان.

هذا .. كما أن إسرائيل والتى لديها قانون يبيح لها أن تحاكم من أساء إلى يهودى فى أيه بقعة من هذا العالم قد أقامت نفسها وكيلة لكل من يعتنق اليهوديه دينا.. بصرف النظر عن قوميته أو وطنيته.. الأمر الذى يشير إلى طبيعه الدولة الدينية.

.. وهكذا يخلص أبا إبيان فى نهاية دراسته إلى أنه لا اعتراض لديه على القومية العربية من ناحية المبدأ مادامت لا تغير من الوضع القديم.. وهو تعدد الحكومات العربية وتنوعها.. ومن ثم تعارضها.

أما مجرد التوجه لأى اتجاه دينى يستطيع أن يقرب بين العوارض العربية الحكومية والسياسية فلم يكن له مجال للطرح إسرائيليا.. أو حتى عربيا للأسف.

كان ذلك المحور الاستراتيجى اكبر أخطاء التاريخ العربية.

بل كان – ومازال – سبب تداعيات المنطقة وماتلاها من أحداث.. حتى الآن.

ثم نأتى لأهم نقطه تمس أى صراع.. ونعنى بها ذلك التفاعل الحتمى بين الفكر الإنسانى الإيمانى.. والسياسى.. ومدى التوفيق بينهما.. والأثر النفسى الحتمى لذلك التفاعل وأثره على خصائص الأمة.

على الجانب العربى.. وفى فترة قيادة عبد الناصر وفلسفته الاستراتيجية للقومية العربية ورغم أمانته فى مفهومه.. لكن ذلك الخط حتم عليه مواجهة الاتجاه الإسلامى السليم بدوره.. وكانت النتيجة الحتمية لذلك ضعف القوة الفعلية المصرية والعربية عامة.. ولم يمكن بحال التوفيق بين الخطين.. بل لقد تم تشجيع عبد الناصر على تصفية ذلك التيار المتمثل فى حركة الاخوان المسلمين من قبل قوى العالم.

.. ولاشك كان التفاعل سلبيا من كافة النواحى.

حتم ذلك التوجه كذلك أن يتوجه عبد الناصر وبصورة كاملة تجاه البلاد العربية المخالفة للقومية العربية.. وكان ذلك على حساب القضية الفلسطينية رغم حساسيتها وأهميتها.. ورغم نجاح الرئيس المصرى فى ذلك التوجه فقد استنزفت قواه رغم نجاحه فى معارك هامه واضحة ضد قوى الغرب

الاستعمارية.. ومع بعض الأخطاء الاستراتيجية - كحرب اليمن- كانت الفرصة متاحة للغرب وإسرائيل لتوجيه ضربه عنيفة لحركة القومية الناصرية.. خاصة أن بعض الحكومات العربية المعارضة كانت تتمنى تلك النهاية الدراماتيكية للقيادة الناصرية.. الأمر الذى ترك آثاره على مستقبل القضية الفلسطينية ذاتها..

وهكذا.. فبينما كان عبد الناصريراهن على القومية كاستراتيجية ومنهاج ويرمى إلى الجانب العربى قبل أن يتحول إلى قضية فلسطين- الأمر الذى استغرق زمنا وجهداً- كانت قوى المعارضة العربية بالمرصاد.. وكانت قوى العالم الغربى المهيمنة تخطط لإجهاض ذلك التيار واستغلال عامل الزمن ولأقصى حد فى بناء القوة الإسرائيلية.

على الجانب الإسرائيلى.. كان التفاعل الأيديولوجى السياسى إيجابيا.. رغم العوائق والمصاعب الهائلة لبناء أمة واحدة من أجناس عدة متباينة متعارضه ومتفاوتة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.. لاتجمع بينهم سوى العقيدة اليهودية.. والاستراتيجية الصهيونية حتى على اختلاف الفرق الدينية.. وتنوع الفلسفات الحزبية قام الأساس بغيه بناء الأمة اليهودية على الأساس النفسى العقائدى لتجميع طوائف اليهود المتنافرة وعليه فقد رفع منذ البداية فكرة شعب الله المختار.. وانطبع ذلك على النشاط الفكرى والتعليمى والثقافى الاجتماعى بين اليهود عديدى الجنسيات واللغات.. وتم رفع اللغة العبرية كمحور يجمع تلك الفئات ويجتمعون حوله.. وتم التركيز كذلك على بعث التاريخ اليهودى الدينى فى المدارس ومرحلة التعليم الإجبارى.. وتم بناء المجتمع وبعثه على ما قد تم ذكره فى التوراة - العهد القديم حقا أو ادعاء من أرض فلسطين، وذلك كله من أجل زيادة ارتباط اليهود بالأرض.. رغم تنافرهم.. بل تم التركيز على أن تعاليم التوراة منصبه.. أيضا على حقهم المدعى فى أراضى ما بين

الفرات إلى النيل.

.. وهكذا.. فى خطبة لبن جورين إلى تلاميذ مدرسة إسرائيلية.. قال لهم:

«إن خريطه إسرائيل ليست بخريطة بلادنا.. لدينا خريطة أخرى.. وعليكم أنتم طلبة وشبيبة المدارس اليهودية أن يجسدوها فى الحياة.. وعلى الأمة اليهودية أن توسع رقعتها من النيل إلى الفرات».

لم ينتظر اليهود من يبنى بلدهم.. بل لقد عملوا واستعدوا فى آن واحد لتنفيذ أطماعهم.. وتحقيق أحلامهم التوراتية. كان الهدف محددا.. ولم يضع اليهود فرصة إلا واستغلوها.. فلم يكن من الممكن تنفيذ تلك الأحلام إلا بدفعة العقيدة.. وقوة العمل.. ومن ثم كان لفلسفتهم العقائدية شقها العسكرى المميز- والذى كان ملموسا وواضحا لدى الجميع.

أهم عامل ساعد على إنجاح جهود اليهود كان موقف الجانب العربى.. وعدم تقديره للموقف حق تقديره- وخطورته العملية من خلق إسرائيل.

★★★

كما قامت اسرائيل على محورها التوراتى .. وقدر ما التزمت به .. فقد انطبع ذلك استراتيجياً على سياستها تجاه الأرض.. والإنسان.. ففى كل مكان فى إسرائيل كان يبرز الاقتباس التوراتى:

«ها هى أرضكم يا أبناء إسرائيل!» !.

كان ولابد أن ينعكس ذلك التيار العقائدى على المسار العسكرى للدولة الصهيونية.. وتجاه جيرانها منذ قيامها..

أنشىء جيش الدفاع الإسرائيلى بصفة رسمية سنة ١٩٤٨م.. لكن التكوين

الحقيقى لهيكل الجيش بدأ على أرض الواقع مع قيام منظمة الهاجانة اليهودية الإرهابية فى ظل الانتداب البريطانى.. بل لقد تركت الهاجانة بصمتها على الحركة السياسية الصهيونية منذ البداية حتى أن عملية تخطيط وتطوير المستعمرات الإسرائيلية الأولى فى فلسطين كانت محكومة جزئيا بالاحتياجات الاستراتيجية.. كان اختيار مواقع المستعمرات وطبيعة بنائها يتم على أساس عسكرى أولاً- ثم اقتصادى- وتأثر ذلك أساسا باحتياجات الدفاع المحلية.

أشار إلى تلك الحقيقة فلاديمير جابوتنيسكى فقال:

«يجب أن تكون فلسطين ملكا لليهود.. إن استعمال أساليب ووسائل مناسبة بغية خلق الدولة اليهودية القومية سيكون دائما ضروريا.. وعنصرا راهناً لسياستنا.. والعرب الآن يعرفون ماذا نريد أن نفعل بهم.. وأى شىء نطلب منهم.. من الضرورى خلق وضع الأمر الواقع..»

وهكذا.. تم التركيز على وضع بناء القوات المسلحة الإسرائيلية.

فى عام ١٩٥٣م. أصدر بن جوريون قانونه الخاص بخلق قوة ضاربة حديثه.. واسندت رئاسة الأركان لموشى ديان.. وأريل شارون مساعداً له..

تأمينا لذلك الجهاز الأساسى تم تطوير جهاز المخابرات الإسرائيلية.. وتم ربطه بالعناصر المختلفة لقوات الجيش الإسرائيلى .. ثم كان ولابد من إقامة شبكة متقدمة فنية للإنذار المبكر.

تم البناء العسكرى على أساس فنى متكامل.. وعلى مبدئية أساسية وهى أن المباداه يجب أن تكون إسرائيلية على الدوام وذلك تفاديا للكثير من الأسس التى تميز الجيوش العربية المحيطة بإسرائيل.. ومن ثم وضعت نظريات المواجهة العسكرية الإسرائيلية على أساس «هجوم مضاد سابق لهجوم العدو».. أو «هجوم مضاد توقعى».

أما بالنسبة للعمليات العسكرية العادية فقد تم اعتماد استراتيجية انتقامية ديناميكية مؤثره. على ذلك الأساس الاستراتيجى تم الأساس البنائى للتنظيم العسكرى الإسرائيلى منذ البداية.. وكما أثر ذلك على طبيعة وخاصية بناء القوات المحاربة الإسرائيلية. فقد لزم دعم ذلك الجهاز بالتصنيع الحربى اللازم لتلك القوات.

ليس هذا فحسب .. بل إن الميزانية الحربية شكلت.. ومازالت. أكبر نسبة من الدخل القومى الإسرائيلى. الأمر الذى ميز دولة إسرائيل كدولة عسكرية فى المقام الأول والأخير.

كان لهذا التكوين الإسرائيلى الفريد أثره فى تميز المؤسسة العسكرية حتى أنها أضحت تتولى الإشراف على كل من ينتمى إليها من عسكريين.. وحتى سياسيين– وهكذا أصبح للزعامات العسكرية السياسية دورها الواضح فى القرار السياسى للدولة.. حتى وإن كان ضمن إطار محدد من «استراتيجية الصهيونية المدعومة من الصهيونية العالمية والمؤثرة فى التفاعلات السياسية العالمية– والتى كانت ترى آنذاك فى ديمومة الصراع العربى – الإسرائيلى وسيلة لاستنزاف قوى القومية العربية التى رفع شعارها الزعيم عبد الناصر.

كان ذلك البناء الاساسى الإسرائيلى والعسكرى الهوية دورة فى توجيه الأحداث. الأمرالذى عكس فى الواقع مدى الإيمان بالقضية الأم لدى أطراف النزاع المتنافرة.. فقد كانت طبيعه الصراع الدينية واضحة منذ البداية..

على الطرف العربى.. كانت السياسة العربية مناهضة للدولة الصهيونية لكن من الزاوية السياسية والمنهاج الدولى.. ومن ثم لم تعترف الدول العربية بإسرائيل رغم عضويتها فى هيئة الأمم المتحدة.. كما تم انتهاج سياسة معادية ومعارضة لإسرائيل فى المنتديات العالمية.. ومنع الرئيس عبد الناصر اسرائيل من مرور سفنها فى قناة السويس..

كانت مواجهة إسرائيل للتيار السياسي العربي على المحافل الدولية.. يشير أيضا إلى منهاجها العملى.. وقد استغلت الصهيونية قدرتها الدعائية والإعلامية العالمية والمسيطرة فرفعت عقيرتها وملأت العالم كله بشكواها من أن امنها ووجودها ذاته معرضان للخطر العربى الداهم.. وسارعت الدول الكبرى المعضدة للقضية اليهودية بمسئوليتها عن ضمان التفوق العسكرى الاسرائيلى على مجموع القوى العربية كلها!!.. أعلنت عن ضمانها الأمنى لقضية الوجود الإسرائيلى.. كما تم تعبئة العطف والتأييد لإسرائيل على ساحة الأمم المتحدة والمنتديات العالمية..

وضمن ذلك التيار الإعلامى لم تنقطع طلبات إسرائيل العسكرية والغير عسكرية.. كما تصارخت باستعدادها لتقبل هجرة اليهود من جميع أنحاء العالم ودون شروط .. ولم يغفل الصهيانية عن استغلال ذلك الوضع اللامنطقى فى علاج الكثير من المشاكل السياسية والاجتماعية بين شتات اليهود. وهكذا – وعلى طول الخط .. بينما كان منهاج العرب سياسيا غير عملى فى مواجهة السرطان الإسرائيلى فإن المنهاج كان فى المقابل عمليا وقائما على إقرار الأمر الواقع.. ذلك التعارض تشير إليه جرائم عديدة متتالية إسرائيلية ضد السكان العرب فى فلسطين المحتلة.. وماجاورها.. وحتى الآن وتلك اللحظة..

ففى ٥ يونيو ١٩٤٨م. طرد الإسرائيليون بالقوة سكان قريه «إيركيت» فى الجليل الغربى وفى ١٥ نوفمبر ١٩٤٨م تم طرد سكان قرية «كفر فبرام» عنوة.. دون جريمة.

وفى ٤ فبراير ١٩٤٩م تعرضت غالبية سكان «كفر عنان» للطرد القسرى وإلى ما وراء الاسلاك الشائكة.. وقام الجيش الإسرائيلى بهدم قرى ذلك الكفر!!.

وفى ٢٨ فبراير ١٩٤٩م. تم اعتقال ٧٠٠ عربى من اللاجئين فى قرية «كفر

ياسين» وتم ترحيلهم عنوة إلى ماوراء الحدود.. وبعد مذبحة رهيبة هزت العالم الحر..

وفى ٢٤ يناير ١٩٥٠م. قامت وحدات من الجيش الاسرائيلى باللجوء إلى العنف لطرد سكان قرية «القادسية العربية».. وحملتهم – كما هى العادة– إلى ماوراء الحدود وأسلاكها الشائكة.

وفى ٧ يوليو ١٩٥٠م. رحل الجيش الإسرائيلى ما يقرب من ألفى عربى يقطنون مدينة مجدل عسقلان من البلاد.. وفى ١-١٠ فبراير تم استعمال العنف الإسرائيلى فى طرد سكان ١٣ قرية عربية صغيرة تقع فى وادى عربة إلى ماوراء الحدود.

وفى ١٧ نوفمبر ١٩٥١. دمرت قرية «البوفيشات» وحدات من الجيش الإسرائيلى– وتم تهجير قاطنيها إلى ماوراء الحدود.

وفى سبتمبر ١٩٥٣م.. تم طرد سكان قرية «أم الفرج» إلى ماوراء الحدود.. اما القرية وابنيتها فقد تم تفجيرها.

وفى ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦م.. تمت مذبحة «كفر قاسم» حيث قام أبطال الجيش الإسرائيلى!! بالإبادة الجسدية لرجال ونساء وأطفال القرية فى مذبحة وحشية مازالت اصداؤها تعبث بذكريات الساسة العرب.

واستمرت الانتهاكات.. ولم تنقطع..

ولم تتوقف الاعتداءات الإسرائيلية على دول المواجهة.. مصر.. الأردن. سوريا ولبنان.

كان التباين بين الوقائع والحوادث على أرض الواقع.. والصرخات السياسية المعلنة.. ومواقف الأضداد .. وسياسات الدول المهيمنة يعكس الكثير من المعانى والحقائق فى موازين القوى فى المنطقة..

أما على الجانب العربى- وهذا أسوأ ما فى الأمر- فقد كان الوضع يعكس نظرة العرب وتقييمهم الإيمانى.. وحتى البعد الإستراتيجى للمسألة الصهيونيه فى فلسطين.

نظراً لذلك الخلل فى الميزان الاستراتيجى كان ولابد من تدهور الأمر أكثر.. وأكثر.

★★★

كان ولابد للخلل المستمر بين موازين القوى العربية والإسرائيلية.. ومدى التباين بين أولويات أهداف أطراف التنازع .. كان ولابد أن ينعكس ذلك كله فى مواقف ومواقع تثبت مدى فعالية الاستراتيجيات.. ومدى أهميتها.

وهكذا.. فبينما أولت حركة القومية العربية فى الستينيات بقيادة عبد الناصر جل اهتمامها لتثبيت النظام الاشتراكى.. والقضاء على الأحزاب والإصلاح الزراعى ومعركة تمويل السد العالى ومحاولة تحديث الجيش المصرى.. كان الحدث الأكبر معركة تأميم قناة السويس.

وكان رد الفعل الغربى أحمق وتمثل فى حرب ١٩٥٦م.

فى تلك الحرب تمثلت الاستراتيجية الإسرائيلية فى اشتراكها فى تلك الحرب.. وكان الهدف من وجهة النظر الإسرائيلية محاولة إجهاض تحديث الجيش المصرى خاصة بعد تنامى العلاقات المصرية - الروسية آنذاك.. ثم إن بن جوريون أعلنها بصراحة.

«لابد أن يسقط النظام فى مصر قبل أن تصل الأسلحة الروسية إليه».

رغم أن العملية الإسرائيلية كانت ضربة عسكرية لمصر.. إلا أن مصر كسبت المعركة سياسيا، ذلك نتيجة لأخطاء سياسية عديدة مست السيادة الأمريكية المهيمنة آنذاك وهددت زعامتها.

على أيه حال كانت النتيجة النهائية انسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء.. والقوات الأنجلوفرنسية من مدن القناة.. غير أن تلك المعركة كانت لها أبعادها بالنسبة للقوات الإسرائيلية التى لمست حقيقة ومقدار القوة الحقيقة للقوات المصرية وأدائها الفعلى الحربى.. ومن ثم وضعت الدراسات الإسرائيلية الاحتمالات المستقبلية للنزاع مع العرب عسكريا على أساس مالمسته فى حرب ١٩٥٦م.

كان من أهم نتائج تلك الدراسات تحديث نظام التعبئة اليهودية.. وممارسة التفوق والردع كأساس ثابت للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية.. مع انتهاج سبل الحرب الخاطفة كأساس لمواجهه التميز العربى من ناحية التفوق الكمى ومن ثم تم التركيز على القوات الجوية كأساس للحرب الخاطفة.. كما تبنت المؤسسة العسكرية فكرة نقل الحرب إلى أرض العدو حتى قبل نشوبها. الأمر الذى يستلزم البدء بالضربة الأولى على أية حال.. وضرورة مناولة كل تلك الأساسيات سياسيا وإعلاميا.

أما على الجانب المصرى والعربى فإن نتيجة الحرب النهائية كان لها بعدها النفسى الذى رمى الطرف العربى إلى الركون والاطمئنان لما أطلق عليه الشرعية الدولية !!.. ومن ثم كان جل الجهد منصبا إلى الجانب العربى ذاته وتناقضاته.. مع الاطمئنان إلى الجانب الصهيونى استناداً إلى تلك الشرعية الدولية!! .. الأمر الذى مهد مصر لمستنقع اليمن.. مع احتدام الخلاف بين مصر والدول البترولية خاصة وبشكل تصاعدى.

وهكذا فى السنوات السابقة على أزمة ١٩٦٧م.. كان هناك تنامى ذاتى وتطور واضح لقوة الجيش الإسرائيلى مع تطور نظرياته العسكرية.. وكانت هناك ايضا محاولات لتجنب أى أخطاء سياسية تتعارض مع مصلحة ونظرة أمريكا تجاه المنطقة.

وهكذا.. مع أخطاء سياسية عربية لاقيمة لها على أرض الواقع فى أزمة ١٩٦٧م.. ووسط نظام سياسى واجتماعى عربى مهلهل.. وتنامى الخلافات السياسية العربية.. وقعت كارثة ١٩٦٧م.

فالحرب كأساس وهدف لإسرائيل لتحقيق آمالها كان أمراً أساسيا وعقائديا لابد منه.. واستراتيجية متفق عليها من قبل لتحقيق آمالها وما تؤمن به.

عبر أبا إيبان عن ذلك كله فقال:

«يجب أن نجعل الحدود الاسرائيلية غير قابله للاختراق.. والتصرف على أساس الثأر مع ضبط النفس إلى أقصى الحدود.. وعلى الردع الفعال فى حالة فشل كل الوسائل الأخرى».

على تلك الأرضية.. كانت هزيمه ١٩٦٧م.

كانت من الشدة حتى أنها كشفت مستوى العرب امام أنفسهم وقبل العالم كله.. فباتوا دون غطاء وكان لطبيعة الزعامة أثرها فى مستقبل الأمة العربية كلها آنذاك.. الأمر الذى حتم على الأمة العربية كلها أمراً واحداً.. وهو المقاومة.

لم يكن شباب الأمة كلها يفكر بعد كارثة ١٩٦٧م إلا فى المقاومة- هذا مع إحساس خطير بالتفوق العسكرى الإسرائيلى الملحوظ والملموس على خطوط وقف إطلاق النار.. وتناسى الجميع خلافات تلك الفترة التى باتت تهدد الجميع.. وتلت فترة الهزيمة فترة رائعة من الصمود البطولى هى فترة بناء الذات العربى وحرب الاستنزاف مع مجهود سياسى لا بأس به.

كان شعار عبد الناصر آنذاك «إن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة».. هذا عقب الهزيمة مباشرة.. وفى حالة مزرية من الضعف والتخبط السياسى منطقية.

فى مستهل عام ١٩٦٩م كان سلاح المدرعات المصرى قد استعاد بفضل الإمدادات الروسية ما كان عليه من قوة عشية حرب الأيام الستة.. واستعاد سلاح الجو المصرى ٥٠ ٪ من قوته.. وكان الأمر على الجبهة السورية يسير متوازيا مع ذلك التقدم الملحوظ.

وقامت حرب الاستنزاف.. وظهرت البطولات العربية حتى مع قسوة ضربات الجيش الإسرائيلى المتفوق على مختلف الجبهات.. وبات للجميع أن لا مفر من الحرب. خاصة مع تعنت السياسة الإسرائيلية التى ظنت أنها قادرة على استيعاب كل تلك التطورات. خاصة مع مؤازرة الغرب لها سياسيا.. ولابعد مدى.

أشد ما يؤسف له، والأمر الجدير بالملاحظة أنه حتى مع تلك التطورات لم تجد القيادة السياسية فى نفسها القدرة والشجاعة على الضرب إعلاميا على النغمة الدينية وجروحها والتى كانت رموزها أهم ضحايا وخسائر كارثة ١٩٦٧م.. فقد سقطت القدس الشرقية تحت المعول اليهودى، وإذا كان المحللون قد تنادوا بأن ذلك الاتجاه خطر ويحمل فى طياته خطورة تجميع جهود دول الغرب ضد العرب.. فإن ذلك الأمر له إيجابياته على الساحة العربية وهى لازمة دون شك لبث الروح القتالية.. فأى الأمرين كان أشد وأحوج إليه؟!

والمدهش أن الموقف الإسرائيلى الإعلامى تجاه القدس على وجه الخصوص كان جديرا بالتحليل ورفعه كمحور إعلامى لتجميع طاقات الأمة الإسلامية كلها، وليست العربية فقط.. خاصة مع خصوصيته. كان ذلك أيضا لمسا لمدى بأهمية المحور العقائدى فى الحرب العربية- الإسرائيلية.. وإشارة لمدى التباين لإيمانى والأسلوب بين الفريقين..

★★★

كانت القدس الشرقية هدفا أساسياً لم يغب عن بال الإسرائيليين منذ حرب ١٩٤٨م..

وكانت حرب الايام الستة فرصة العمر لتحقيق هذا الحلم الإسرائيلى خاصة أن الأحداث والتقديرات الإسرائيلية تضمنت اشتراك الأردن بشكل مباشر ضد

إسرائيل.. هذا كما أن أهمية الضفة الغربية وما تشكله من أهمية استراتيجية لإسرائيل جعلت الاستيلاء على القدس أمراً حتميا وأساسيا من الناحية الإسرائيلية.

وعليه.. فمنذ الطلقة الأولى تحركت المدرعات الإسرائيلية لاحتلال القدس الشريف.(١)

أشارت الأحداث إلى الدافع الأيديولوجى والنفسى لمرمى اليهود من احتلالهم للقدس خاصة.. فقد صحبت القوات الإسرائيلية الغازية للمدينة عددا كبيراً من الصحفيين والمصورين يمثلون جرائد وإذاعات العالم. والملاحظ أن محطة الإذاعة البريطانية اذاعت صباح الثلاثاء ٦ يونيو أن المدينة المقدسة قد سقطت فى يد اليهود.. هذا فى حين أن القتال كان دائراً آنذاك حول أبوابها. وهكذا تشير ملابسات عديدة إلى أن عناصر عديدة من الجانب الغربى كانت على علم مسبق بأهداف ونيات اسرائيل تجاه القدس وتتمنى وتستبق حدوثها.

كان «راندولف تشرشل» قد سافر من إسرائيل يوم الأحد ٤ يونيو معلنا قبل الحرب أنها لن تقع.. وذلك نقلا عن لسان موشى ويان.

كانت معركة القدس دموية ورهيبة إلى أقصى حد وأبعد مدى.. وبدأت ظهر الاثنين ٥/٦/٦٧ وشاركت فيها قوات إسرائيلية ميكانيكية.. وكتيبة مظلات..

(١) عمل الإسرائيليون بعد حرب ١٩٤٨م على نقل أجهزة الدولة الرئيسية من تل أبيب إلى القدس الجديدة رغم أنها تمثل من وجهة النظر الاستراتيجية مدينة على الحدود.. تنقصها القاعدة الاقتصادية الواسعة.. كما أنها محدودة إلى حد بعيد- غير أنه قد جاء في صحيفة لاحاف الصادرة فى ١٩/٦/١٩٦٦م أنه بعد أن يحقق اليهود أحلامهم القديمة من الفرات إلى النيل سوف تصبح القدس فى مركز الدائرة.. وقد جاء فى بعض الرسومات الإسرائيلية القديمة (١٥٨٥م.) تخطيطا للعالم صور فيه صاحبه اليهودى اورشليم فى وسط ومركز العالم وتتوسط قارات العالم «أوروبا- أفريقيا- آسيا».
كما أنه ثابت فى قاموس وستمنستر أن اليهود «يعتبرون القدس» عاصمه اليهود المقدسة وملتقى اليهود فى جميع أنحاء العالم.».

وقوات طيران كثيفة.. وقد دافعت القوات الأردنية بقيادة المرحوم الفريق / عبد المنعم رياض دفاعاً مستميتا عن المدينة المقدسة.. واستمر الصراع الرهيب الدامى بكل أشكاله يومى ٥و٦ يونيو حتى سقطت القدس ظهر الأربعاء ١٩٦٧/٦/٧م.. فى يوم أسود رهيب.

كانت الحرب شرسة ودموية داخل المدينة.. وفى النهاية وجه قائد الحملة الإسرائيلية مدافعه الثقيله إلى أبواب المسجد الأقصى ودمرها- عند ذاك توقف قائد القطاع العربى عن الاشتباك.

عندما هدأت الأمور إلى حد ما تدفقت الدبابات اليهودية على المدينة وإلى ساحة المسجد الأقصى من كل اتجاه.. وهنا أقبل موشى ديان وقال لمراسل «الصنداى تايمز» :«إننا نستحق هذه المدينة!!!». بعد قليل - أقبل زعماء اليهود.. والشمس الحارقه تلهب رؤوسهم وجعلوا ينتظرون دورهم كى يقبلوا الحائط المبكى.. ويغرقوه بدموعهم.

وفى مساء تلك الليلة السوداء أقبل ليفى أشكول مختالا كالطاووس.. وكانت القذائف المتناثرة ماتزال تسمع من هنا وهناك.

بعد خمسة أسابيع فقط من سقوط القدس هدم اليهود السور الذى يفصل بين المدينة القديمة والجديدة.

-كما تم بناء مستعمرة يهودية على تل الذخيرة شمال القدس مباشرة.

وفى أول جلسة للوزارة الإسرائيلية عقب الحرب صرح ليفى أشكول رئيس الوزراء آنذاك فقال:

«لن ننسحب من الأراضى المفتوحة أبداً.. ولو صوت مائة واثنان وعشرون عضواً فى الأمم المتحدة ضدنا.. ولم يبق فى تأييدنا إلا صوت إسرائيل نفسها».

فى تلك الجلسة أعلنت إسرائيل أن أورشليم «القدس» المتحدة هى عاصمة أبدية للدولة الإسرائيلية كما طلب رئيس الحكومة من وزير المالية تخصيص مبلغ ١٥ مليون ليرة إسرائيلية على الفور لهذا الغرض!!.

بعد يومين فقط من وقف اطلاق النار صدر الأمر العسكرى الإسرائيلى بحل مجلس أمانه القدس الشرقية وطرد رئيسة السيد روحى الخطيب وأعضائه.. كما تم نقل محكمة الاستئناف من القدس إلى رام الله.

-كما قامت إسرائيل بدمج محاكم البلدية والصلح العربية فى القدس مع المحاكم العسكرية الإسرائيلية.

بعد الحرب بايام فقط.. نشرت جريدة الصنداى تايمز البريطانية كتابا أسمته «حرب ٥ حزيران المقدسة».. ومن أبوابه باب بعنوان : «العودة بعد ٨٩٦ عاما» !!.. فقد كانت القدس قبل ذلك التاريخ بالتحديد تحت الأيدى الصليبية.. فكانت نظرة حفدة ريتشارد قلب الأسد واضحة.. وكأنهم فى العصور.. الوسطى.. واعتبروا الأحداث وكأنها حلقة من حلقات سلسلة تاريخ الحروب الصليبية.. والتى كان محورها بيت المقدس.. والقدس الشريف.

بعد أربعة ايام فقط من وقف القتال هدمت القوات الإسرائيلية الحى العربى للقدس القديمة بالكامل وشردت ١٣٥ عائلة عربية.. كما نسفت ٢٤ داراً أخرى مجاورة.. وصادرت حوالى ١٤٢ دونم مما تبقى من الأراضى العربية فى منطقه القدس القديمة وما حولها من القرى المحيطة بها.. كما قامت أيضا بمصادرة عقارات أربعة أحياء عربية داخل سور القدس تضم ٥٩٥ شقة سكن ..و٤٣٧ مخزناً ومحلاً تجاريا ومدرسة بنات!!..

ليس هذا فحسب .. بل سرعان ما بدأت حفريات حول الحائطين الغربى والجنوبى للحرم والمسجد الأقصى، كما تم هدم ١٤ عقاراً تاريخيا حول المنطقة.

إن أدنى تحليل لتواريخ وطبيعة الحوادث تشير وبكل قوة أن المخطط الإسرائيلى تجاه القدس كان معداً وسابقا على الحرب ذاتها.. الأمر الذى يمكن تفهم دوافعه دون شك.

يمكن وبسهولة تقييم آثار نكسة ١٩٦٧م. على الفريقين المتعارضين.

بعد وقف اطلاق النار وجد العرب أنفسهم فى دائرة ضياع لا حدود لها.. ولا آفاق.. كما أن الكارثة هزت المنطقة العربية وكشفت ثقلهم العسكرى وحتى السياسى.. ولم يعد أمامهم إلا سبيلين لا ثالث لهما.. أما المقاومة ومحاولة الاستمرار التاريخية.. واما الخضوع والضياع الأبدى ولم تكن المقاومه تبشر بخير على أية حال آنذاك. .

لكن البديل لها كان ذلا أبديا وضياعا لا رجعة منه..

وكان القرار متأثراً بطبيعة الزعامة دون شك.. وخاصه بالرئيس ناصر.. والملك فيصل رحمهما الله - فبعد شقاق سرعان ما وضعا يدهما معاً..

كانت القدس ولاشك مرجع الوفاق خاصة من منظور الملك فيصل .. العربى الأبى.

والسؤال الذى يطرح نفسه وبكل قوة هو ..هل كان موقف الملك فيصل وراء عمليه اغتياله؟

ذلك لأن الخطأ الأكبر وراء استراتيجية الصمود العربية قام على محور الدفاع عن النفس ونفض غبار الهزيمة ومحاوله استرجاع الأرض ولم يرفع شعار الدين والقدس. خاصة الأمر الذى كان ملء خاطر الملك فيصل حتى فى أظلم وأحلك الساعات.

أما من الزاوية الإسرائيلية فقد أذهب انتصارها العسكرى أى منطق لها.. وظنت أن الطرف الآخر سوف يأتيها راكعا فآثرت الانتظار... ووجهت كل همها

لمشاريعها تجاه القدس.. والأرض العربية عامة.

لم تضع إسرائيل الوقت. فسرعان ماطبقت منظومتها الاسراتيجية والمعلنة تجاه القدس.. مستهدفه المحورين الأساسيين.. الأرض.. والإنسان العربى.

وبدأ المخطط القديم الشهير لتهويد القدس عقب وقف إطلاق النار ومباشرة..

شمل المخطط بداية الإنسان العربى.. فكانت خطة التهجير التعسفية للعناصر العربيه المسلمة والمسيحية فى القدس العربية.. ولما كان من الصعب تهجير كل السكان العرب. خاصة بعد أن قاوم معظمهم وظل متمسكا بأرضه المقدسة. شرعت الحكومة الإسرائيلية فى سرعة متوازية فى محاولة تغيير جغرافية منطقة القدس. فأسرعت فى بناء مستوطنات أسمنتية سابقة التجهيز لتوطين اليهود فى القدس العربية.. قبلة المسلمين الأولى- وثالث الحرمين.

كانت المستعمرات الاسمنتية جاهزة حتى أنه سرعان ما ضربت إسرائيل بطوق من الأحياء الأسمنتيه وأحاطت القدس من الناحية الشمالية والجنوبية.. ،ثم أقامت أحياء سكنية ضخمة داخل القدس ذاتها..

ثم إن إسرائيل أعلنت على الملأ هدفها من تلك الإجراءات كلها.. فأذاعت أنها تستهدف توسيع رقعة المدينة المقدسة لتشمل ما يقرب من ٣٠٪ من مساحة الضفة الغربية كلها إلى منطقه القدس «الموحدة» .. وإسكانها باليهود «فقط» واقتضى ذلك نزع ملكية أراضٍ عربية تراوحت بين ٤٠٠ ـ ٥٠٠ كم مربع.. ويقع فى نطاق ذلك المشروع مدن وقرى عربية بأكملها.. بجانب استغلال تلك المساحة من الأراضى فى تلك المنطقه ولأقصى حد.. من تلك المدن مدينه الديرة.. ورام الله شمالا.. ومدن بيت لحم أو بيت جالا.. وبيت ساحور.. وحتى

أطراف مدينة الخليل جنوباً.

تضمن مشروع «القدس الكبرى» خططا إسرائيلية تهدف إلى رفع عدد سكان المنطقه عام ٢٠٠٠م. إلى قرابة المليون.. شرط ألا تتجاوز نسبة السكان العرب ٢٠٪ .. الأمر الى يعنى أن نفس الخطة استهدفت تهجير أكثر من ١/٤ مليون عربى.. حيث إن تعداد السكان العرب فى القدس بحلول عام ١٩٨١م كان مقدراً له ٣٥٠,٠٠٠ نسمة بدراسة نسبه التكاثر المتوقعة فى ذلك الفترة وما تتميز به.

كان ذلك كله جاهزا ومعدا له من قبل الأمر الذى تشير له طبيعة الإجراءات والتشريعات الإسرائيلية فيما يخص منطقه القدس.. وأزمنتها.. والتى صدرت بعد زمن يسير من حرب حزيران ١٩٦٧م.

بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٢.. نشر فى كتاب القوانين رقم ٤٩٩ .. قانون السلطة والقضاء المعدل ما يقضى بتخويل إسرائيل وحكومتها صلاحية إصدار الأوامر بتطبيق قوانين وأنظمة إسرائيل على أية منطقه ضمن فلسطين المحتلة والضفة تقرر إسرائيل تطبيق القوانين الإسرائيلية عليها.

- استنادا للقانون المشار إليه.. أصدرت إسرائيل الأمر المنشور فى مجموعة الأنظمة.. العدد ٢٠٦٤ القاضى «بتطبيق القوانين الإسرائيلية والسلطة الإدارية الإسرائيلية على منطقه القدس، ويدخل فى نطاق هذه المنطقة القدس العربية وما حولها.. وما بها من مقدسات.

- أصدر وزير الداخلية الإسرائيلى منشوراً فى مجموعة الأنظمة .. العدد ٢٠٦٤ .. ويقضى المنشور بتوسيع مدى منطقة بلدة القدس «القطاع الإسرائيلى» لتشمل القدس العربية كلها.

- أصدرت الحكومة الإسرائيلية القانون رقم ٦٧/١٠ .. وكان بعنوان «قانون المحافظة على الأماكن المقدسة» .. والذى يقضى بأن من حق أى شخص من أبناء

الطوائف المختلفة أن يصل إلى الأماكن المقدسة الخاصة.. دون المساس بأحاسيسه ومشاعره تجاه تلك الأماكن.

والكلام لاغبار عليه.. أما الأهداف المستترة خلف الألفاظ فأشارت إلى مواقف اليهود من ادعاءاتهم بالنسبة لحقوقهم فى البيت المقدس وحائط المبكى وغيرهما.

– أتاحت تلك القوانين المجال لبعض اليهود برفع الدعوى رقم ٦٧/٢٢٣ لدى محكمة العدل العليا الإسرائيلية طالبوا فيها بإصدار قرار بشأن الإشراف اليهودى على «جبل البيت»– أى على جميع الأراضى التى يقوم عليها الحرم القدسى الشريف.. حيث إن جبل البيت يجب أن يكون فى أيدى أناس يهتمون بحراسته كمكان مقدس للطائفة اليهودية.. وقد قامت الدعوى على أساس أن جبل البيت «مكان مقدس يهودى».. وليس اسلامياً!!

– لم يكن يعنى ذلك على أرضيه الواقع المظلم سوى مصادرة بيت المقدس وإزالته وإزالة الأبنية المقدسة الإسلامية والمسجد الأقضى المبارك.. ومسجد الصخرة.. وجميع الأبنيه التابعة الأخرى. انتهت الدعوى بأن «الوقت» .. لم يحن بعد للسماح لليهود بالصلاة فى الحرم!!.

على الفور تقدم عضو الكنيست «شموئيل تامر» والمحامى يعقوب حيروتى.. وموشيه إلياس بطلب بتاريخ ١٩٦٩/٤/١٢ إلى محكمة العدل الدولية الإسرائيلية بالقدس.. وضد وزير الشرطة مطالبين بتوضيح الأسباب التى تحول دون إعطاء اليهود حرية الصلاة فى الحرم المقدس.

ذكرت ذلك جريده يديعوت بتاريخ ١٩٦٩/٤/١٣.

– وفى تاريخ ١٩٦٧/٨/٣م. حدث اشتباك دموى عنيف بين الشباب العربى الفلسطينى وبين القوات الإسرائيلية بسبب دخول الفتيات الإسرائيليات إلى الحرم والإتيان بأفعال خليعة مستفزة.

- وفى ١٩٦٧/٨/٨م. نشرت جريدة جيروز اليم بوست الإسرائيلية .. تحت عنوان «الحاجة إلى تخلية ٨٢ متراً من ساحة حائط البراق».. تضمن المقال أن وزارة الأديان رسمت خطة لتنظيف تلك المساحة.. وأن لجنة التربية والتعليم التابعة للكنيست تجولت فى الأماكن المقدسة فأخبرها الحاخام «طورين» الموظف فى وزارة الأديان أن الأمتار المنوه بها يخفيها عدد من الأبنية العربية الملاصقة لحائط البراق.. وإن الجزء الجنوبى من الحائط كان موجوداً لكنه قد غطى بأبنية قامت عبر أجيال.. الخ.

- وفى ١٩٦٧/٨/١٢م.. عقد اجتماع فى قاعة هيكل سليمان بالقدس بدعوه من حزب مزراحى العالمى- تمثلت فيه الجاليات اليهودية المختلفة فى أمريكا وبريطانيا وفرنسا وكندا.. وغيرها.

تحدث فى الاجتماع «شوموئيل برسكى» الحاخام اليهودى لنيويورك وزعيم الطائفة اليهودية بها- كما تكلم د/ زبرج وزير الأديان.. ود/ عما نوئيل يعقوبوفيتش حاخام بريطانيا الأكبر.. جاء فى كلمة وزير الأديان: «أن تحرير القدس وضع جميع المقدسات المسيحية وقسماً مهماً من المقدسات الإسلامية تحت سلطنة إسرائيل.. وأعاد إلى اليهود جميع مقدساتهم .. لكن لإسرائيل مقدسات أخرى فى شرق الأردن والحرم القدسى الشريف هو قدس الأقداس بالنسبة لليهود.. ولايزال مقدساً لديهم.. لكنه لايزال مقدسا لدى ديانة أخرى «يعنى الاسلام..»

ثم قال : «نحن لانفكر فى بناء الهيكل.. ومن الجميل دفن هذه الفكرة فى الأيام الحاضرة.. لكن هذا لايعنى أن نمتنع عن القيام بعمل ما نستطيع .. الخ».

- فى ١٩٦٧/٨/١٥م. دخل البريجادير / شلوموغورين .. حاخام جيش الدفاع الإسرائيلى.. ومعه نحو ٢٠ شخصا من جماعته ساحة المسجد الأقصى المبارك والمدنس حالياً.. وأحضروا معهم طاولة وخزينة فيها بعض الكتب

المقدسة اليهودية.. وأقاموا طقوسهم وصلواتهم فى هذه البقعة التى تعتبر جزءا مقدسا من المسجد الأقصى المبارك.. ثم إن الرجل أعلن أنه سوف يقوم بصلاة أخرى.. فى مكان آخر من المسجد».. وسيبنى كنيسا آخر هناك.. ذكرت ذلك مجله هاآرتس.. بتاريخ ١٦/٨/١٩٦٧م.

- بعد ذلك بأسبوعين.. وتحديداً فى ٣١/٨/١٩٦٧.. استولت سلطات الاحتلال الإسرائيلى وبالقوة على مفتاح باب الغاربة «أحد أبواب المسجد الأقصى» من موظفى الأوقاف المسلمين.. ومنذ ذلك التاريخ والمفتاح بيدهم.. ويفتح اليهود الباب لكل من أرادوا .. فى أى وقت شاءوا.. دون أذن أو موافقة دائرة الأوقاف الإسلامية.

- منذ بدء وقف إطلاق النار بدأت الحفريات الإسرائيلية حول الحرم الشريف.. وحول الزاوية الفخرية ومسجدها وهى من الأوقاف الإسلامية الملاصقة للمسجد الأقصى.

- فى ٢٩/١١/١٩٦٧م.. طلب الحاخام من مسئولى وقف الزاوية الفخرية إخلاءها وإخلاء مسجدها وذلك من أجل هدمهما وهدم ما بينهما من أبنية ومرافق.. هكذا!!

- فى ٦/١٢/١٩٦٧م.. نشرت جريدة معاريف نبأ زيارة لجنة وزارية خاصة بالأماكن المقدسة.. وقد قررت اللجنة شق ممر من ساحة المبكى .. إلى الأحياء القريبة من البلدة القديمة.. وتوسيع الحائط فوراً.. وهدم المنازل العربية الواقعة فى ذلك المكان.. كى يكتسب حائط المبكى مظهراً فخماً.. وكان ذلك كله على حساب أملاك الوقف الإسلامى.. والسكان العرب وأرضهم وممتلكاتهم .. كما سبق أن هدموا حارة المغاربة.. والمسجدين الموجودين بهما.

ويكفى ذلك.. وما هو إلا إشارة..

كان ذلك كله فى أقل من ستة أشهر.. فقط لاغير!!.. ستة أشهر بعد وقف إطلاق النار.

- بعد ذلك تم تحويل مسجد قبة راحيل إلى كنيس يهودى!!.. والأمر نفسه بالنسبة إلى مسجد النبى صموئيل.. وتم منع المسلمين من الصلاة فيهما بصورة نهائية.

كما تم تشويه مسجد حسن بك- وإخراجه عن كونه مسجداً.. وتم تحويل مسجد عين كارم ومساجد أخرى فى تلك المناطق إلى أماكن عبادة يهودية.

ثم..

ثم اكتمل هذا كله بحرق المسجد الأقصى.. إن كنا لانزال نتذكر!!

★★★

فى ١٩٦٩/٨/١٨م.. نشرت جريدة جيروزاليم بوست وأيضا جريدة يديعوت خبراً مفاده استعراض استفزازى قام به ٢٥ من الشبان المنتمين لحزب «البتيار» الإسرائيلى أمام مسجد الصخره.. وقد خاطبهم رئيسهم بقوله:

«أنكم جئتم إلى القدس لتقوموا بهذا الاستعراض فى جبل الهيكل الذى استولى عليه الغرباء وقد حثهم على إعادة بناء الهيكل..»

وبعد ذلك بيومين .. وفى ١٩٦٩/٨/٢٠م.. قال حاخام إسرائيل«يهوذا الزما» فى جمع من الصحفيين وسط ساحة المسجد الأقصى:

«أنى أتكلم اليكم من هيكل سليمان.. وإن القدس لن تكون عاصمة إسرائيل على الرغم من توحيدها إلا بعد إعادة بناء الهيكل.. وإنى سأشاهد فى حياتى

بناء المعبد فى مكانة الأصلى حيث أقف هنا.»(١)

وسط ذلك الجو المشحون.. وبعد خطاب الحاخام بيوم واحد.. وفى ٢١ أب ١٩٦٩م. قامت إسرائيل باحراق المسجد الأقصى المبارك فى حادثة إن دلت على استهانتهم بمشاعر الفلسطينين فى أقدس مقدساتهم فى فلسطين.. فإنما تشير من زاوية أخرى إلى منظارهم الأيديولوجى الصهيونى البغيض.

تبين من تقرير المهندسين أن الذى وقع حريقان.. لا حريق واحد.. أحدهما فى منطقه المحراب ومنبر صلاح الدين.. والآخر فى سقف الجناح الجنوبى الشرقى ومحراب زكريا .. والذى يعلم الموقع وبعد المكان فى السقف عن مكان الحريق الآخر يجزم بأن من قام بالحريق مجموعتان.

وفى أزمة الحريق.. تلكأت سلطات الاحتلال فى عمليات الإطفاء.. وقطع المياة عن منطقة الحرم فى ساعات الحريق خاصة.

عقب الحريق مباشرة أعلنت إسرائيل أن سبب الحريق يرجع إلى ماس كهربائى..!!.

ثم عندما تم تفنيد ذلك الادعاء اختلق اليهود أكذوبه أخرى وهى أن العرب هم من أضرموا النار فى المسجد!!!.

ثم وأخيراً.. قبض اليهود على شاب استرالى معتوه!! وجهوا إليه تهمه الحريق فى محاولة لإجهاض ردود الفعل العربية الإسلامية – وأثارها النفسية والدينية وهكذا سرعان ما أجهضت إعلاميا تلك الجريمة الشنعاء.

حتى تتضح الجريمة.. وتتضح المهزلة.. تفيض علينا زوجة اليهودى

(١) نقلا عن الجمهورية المصرية بتاريخ ١٩٦٩/٩/٥

«جيمس روتشيلد» الذى حصل على وعد بلفور المشئوم.. فتقول فى احتفال بالجامعة العبرية:

«عشت لأرى الحلم يتحقق فى خمسين سنة بتوحيد القدس. إن توحيدها يعنى شيئا آخر.. ربما إحراق المسجد الأقصى لبناء الهيكل مكانه..

ثم قالت:.. من كلام وايزمان: ليس من الضرورى أن يكون اليهودى مجنونا لكى يكون صهيونيا.. غير أن الجنون يساعد القضية»(١).

كان ذلك بعد حادثة إحراق المسجد الأقصى بأربعة أيام فقط.. لاغير!!

بعد الحادثة المشئومة بأربعة أسابيع.. وتحديداً فى ١٩٦٩/٩/١٧م.. نشرت فى جريدة المعاريف أنهم قد اكتشفوا عشية رأس السنة العبرية الجديدة!!.. وتحت التلة الرملية المؤدية إلى باب المغاربة.. البوابة الغربية والتى كانت المدخل الرئيسى للحرم المقدس عندما كان الهيكل قائما.. وعند إزالة تلك التلة سوف يعود اليهود لاستخدام البوابة الكبيرة كباب للدخول إلى هيكل سليمان!!.

وبعد جريمة إحراق المسجد بأيام معدودة ذكرت صحيفة «شيكاغو تريبون» الأمريكية أن سفينة «شارتر» قد أبحرت إلى إسرائيل محملة بالأحجار اللازمة لبناء الهيكل فى القدس..

وقالت الصحيفة: إنه ثبت للسلطات الإسرائيلية أن الهيكل كان فى مكان المسجد الأقصى.. وأثبتت الحفريات التى أجريت هناك بشكل قاطع أن أساس

---

(١) جريدة الدفاع بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢٦م.. العدد ١٠٢٧٤

الهيكل لازال موجوداً تحت المسجد .. وإن الحجارة قطعت بموجب مواصفات معينة حسب المخططات التى جهزت لبناء الهيكل والحجارة المذكورة من أجود الأصناف فى أمريكا..

وقد تبرعت حكومة الولايات المتحدة بعمودين من البرونز لنفس الغرض.

إذن لم يكن حريق المسجد الأقصى فى آب ١٩٦٩م مفاجئا لأحد.. بل لقد خطط له اليهود.. وأعوانهم.... اليهود!! أصدقاء اليوم!!..

وأعوانهم.. حلفاء الغد!!..

ومع ذلك كله.. لم تكن جريمة احراق المسجد الأقصى تمثل الاعتداء الصهيونى الأول على ذلك المكان المقدس.. مسرى الأنبياء.. ومركز عروج النبى محمد (ص).

★★★

منذ الأيام الأولى لاحتلال القدس الشريف- بدأت معاول الهدم والحفر على نطاق و اسع حول المسجد الأقصى مباشرة.. والواقع أن حجة اليهود لذلك العمل مست شعور اليهود جميعا.. وأيضا مست شعور المسيحيين كافة.. فقد تنادوا بأنهم يبحثون عن الآثار اليهودية معتمدين على أن تلك المنطقة شهدت قيام أول رسالة سماوية على يد بنى إسرائيل.. كما شهدت بعث المسيحية.

كما أن تلك الأعمال- من زاوية أخرى- تعد مدخلا لزعمهم بأن الله وعدهم تلك الارض وما جاورها وإسرائيل إنما تحاول أن تعوض ما تفتقر إليه فى إثبات حقها بأعمال الأحافير للكشف عن الآثار الدينية اليهودية التى تدعم تاريخها الدينى.

جاء فى حديث لرئيس مجلس الآثار الصهيونى البروفيسور «بنيامين مازار» نقلا عن وكالة رويتر فى ٥ نيسان ١٩٦٨م مايلى:

«إن خريطة مملكة إسرائيل الوارد ذكرها فى التوراة يجرى إعادة رسمها على أساس نتائج عملية مسح الآثار فى مناطق جبال اليهودية وسامرا ومرتفعات الجولان المحتلة التى استغرقت ٤ أشهر وانتهت حديثا..

واستطرد قائلا: إن فرقامن علماء الآثار قد فحصت.. وسجلت وأكدت!! مواقع ٢٥٠٠ موقع تعود إلى فترة ما قبل التاريخ والفترات اللاحقة.. وتضم أكثر من ١٠٠٠ موقع لم تكن مسجلة أو معروفة من ذى قبل..»

كل ذلك تم إنجازه عقب الاحتلال الإسرائيلى فى ١٩٦٧م.. وفى مدى أربعة شهور فقط.. فحص .. وتأكيد.. وتسجيل!!

ولاتعليق .. بل سنكتفى بما تضمنه التقرير المبدئى عن الحفائر فى منطقة القدس القديمة لبنيامين مازار The excavations in the old city of jerusalem. Preliminary Report of the First Season. 1968. by B. Maser. Ard el-Khatuniyye تركزت الحفريات فى المنطقه المعروفة بأرض الخاتونيه.

والتى يحدها من الشمال الجزء الغربى من السور الجنوبى لجبل الهيكل.. ومن الشرق والجنوب الأسوار التركية.. ومن الغرب البناء الذى يضم محكمة الاستئناف الحاخامية.

وقد تم تنظيف منطقة محدودة فى الطرف الجنوبى من الحائط الغربى من الحافة الشرقية لقوس روبنسون Robinson's Arch إلى الحائط الشمالى للمحكمة الحاخامية Rabinson's Courts. .. وفى الفصل الثانى وسعت منطقته الحفائر شمالاً.

وكان الهدف من وراء ذلك هو الرغبة فى حل مشاكل الطبوغرافية الأساسية فى القدس القديمة.. وتتبع النمو التاريخى للاستقرار فى هذا الجزء الهام من المدينة.

وتقع منطقة الحفائر فى الجزء الشمالى الغربى من سلسلة الجبال الممتدة من جبل موريا نحو الجنوب.

ثم يحدثنا «مازار» عن الإضافات التى قام بها «هيرود الأكبر» فى منطقة المعبد اليهودى الثانى ومن بينها الحائط الجنوبى فى طول ٢٨٠ متراً.

وقد أمكن بفضل الحفائر الممتدة كما يذكر الكاتب تحديد أربعه عصور: الفترة العربية.. والفترة البيزنطية.. والفترة الرومانية- والفترة من هيرود إلى أن تم تدمير المعبد الثانى.

وتعزى نسبة الطبقة الأولى إلى العصر الأموى نتيجة لما عثر عليه.. أما الطبقة الثانية فقد تبين وجود حجر ناقص من عصر هيرود وغالبا أنه دمر نتيجة الحرب التى اندلعت بين الفرس وحلفائهم اليهود فى عام ٦١٤م.. أما إعاده إصلاح الحائط ورصف الشارع وغيره.. فيرجع نسبته إلى الخليفة عبد الملك.. أو أحد خلفائه...»

ويمضى مازار فى نسبة كل طبقة من الأحجار إلى عصر من العصور.. كما ينسب بعض العملات الذهبية التى تم العثور عليها.. وتتسلسل النسبة بين الأمويين إلى الفاطميين.. إلى السلاجقة.. الخ.

ثم يمضى فى وصف تفصيلى لكل صف من أحجار الحائط.. ونسبة هذه الصفوف إلى عصور معينة مستعينا فى ذلك بما يجده فى الحفائر من أوانٍ وعملات وغيره.

ركز مازار اهتمامه على قاعدة إناء عثر عليه فى هذه الحفائر وقد كتب عليه بالعبرية كلمه «قربان» وزود بصورتين لطائرين.. واستند فى تفسيره لهذا المنظر وتلك الكلمة إلى ما جاء فى المشنا!!..

ويشير الكاتب أيضا إلى بناء عثر عليه مؤرخ من العصر الأموى.. ويحار فى تحديد اسم الخليفة الذى أقامه.. أهو عبد الملك.. أو الوليد..؟!.. وهل هو دار الإمارة .. أو غيره؟!.

ثم يؤكد أن البناء دمر فى زلزال عام ١٣٠هـ (٧٤٧ ـ ٧٤٨م).

أما مساعد مازار.. البروفسور افى يونا M.Avi-Younah .. والءستاذ فى الجامعة العبرية أيضا. فقد أصدر كتابا بعنوان «الكتابات اللاتينية من حفائر أورشليم»

the latin-inscription From the excavartions in Jerusalem. تحدث فيه عن اللوح الذى عثر عليه أثناء الحفريات وعليه كتابات أثرية باللاتينية.. ويؤكد الرجل أن هذا اللوح يمثل جزءاً من الدكة التى بناها هيرود- ولكنه كان يشكل - عند الكشف عنه- جزءا من البناء الأموى الذى ذكر من قبل؟!

ينتهى الكاتب من دراسته لهذا اللوح إلى ماكتب عليه من اسم جديد للقدس يظهر لأول مرة وهو اسم «كوموديانا" Commo "diana .. وقد عرف هذا الاسم من عملة المدينة.. وغالبا أنه نسب إلى كومودس Commodus «١٨٠ـ ١٩٢» م ابن ماركوس أوز يلموس.

إلى جانب اعمال الحفر العديدة الأخرى. وحتى يمكن صبغ الحركة اليهودية بالطلاء العقائدى قامت إسرائيل بإلحاق متحف الآثار الفلسطينية إلى مصلحة الآثار الإسرائيلية.. كما وزعت مقتنيات المتحف المسجلة إلى المتاحف اليهودية الأخرى.. كما قامت بسرقة مخطوطات البحر الميت من فلسطين..

على تلك الخلفية الآثارية المعلنة.. أعلنت وزارة المالية الإسرائيلية فى صحيفة «المتحدة»Union الصادرة فى ١٨/٤/١٩٦٨م. القانون الخاص بالاستيلاء على ١١٦ دونما الواقعة داخل أسوار مدينة القدس القديمة.. وبموجب ذلك القانون انتقلت ملكيتها إلى الحكومة الإسرائيلية..

كانت هذه المساحة تضم: مسجد المحراب.. ومسجد عثمان بن عفان.. ومسجد عمرى، ومسجد الفخرية.. شيخ عمرى المفرد، أبو مدين الجواد

الزاوية، ومدرسة التشتماريل Tashtemar.. دار الهدية التى أهداها الأمير شرف الدين إلى الوقف، الهدية التى أهداها الأمير شرف الدين إلى الوقف عام ١٢٦٧م.. دار القراءة. وغير ذلك من المدارس الإسلامية التى أقيمت فى عهد المماليك مثل مدرسة باب السلسلة والتى عرفت تحت اسم قصر الإمام التى بناها الظاهر بيبرس.

من كل تلك الوقائع والبيانات والإشارات يتضح بمالا يدع مجالا للشك أو الريبة الدافع والجهة وراء جريمة إحراق المسجد الأقصى.. غير أن أهم ما فى الأمر نفسه طبيعة ذلك الدافع.. ونوعة الأمر الذى شكل طبيعة الصراع وحدد أهدافه منذ البداية.

يؤكد على ذلك وبصورة قاطعة موقف الدولة اليهودية من باقى المقدسات الإسلامية فى فلسطين.. من الحرم الإبراهيمى فى الخليل مثلا.

★★★

يعتبر الحرم الابراهيمى الشريف فى الخليل من أهم الأماكن المقدسة الإسلامية بعد المسجد الأقصى. ولمسجد الخليل ما لكل المساجد من حق صلاة الجماعة فيه وجواز الاعتكاف.

تقع قبور الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه تحت بناء المسجد.. فيوجد قبر النبى اسحق عليه السلام وأيضا قبر زوجته رفقة أو ربقة رضى الله عنها.. أما قبر الخليل إبراهيم فيوجد تحت الحضرة الخليلية الجليلة.. وتجاهه شرقا يوجد قبر زوجته السيدة سارة رضى الله عنها.

وفى آخر الساحة شمالا يوجد ضريح يعقوب عليه السلام وأمامه شرقا يوجد قبر زوجته لائقة رضى الله عنها..

وداخل السور يوجد أيضا مقام يوسف الصديق عليه السلام. ولاشك فى

قيمه الحرم الإبراهيمى وقدسيتة الامر الذى يشير إليه اهتمام الأمراء العرب به على مر التاريخ والسنين.

عند احتلال الحرم الإبراهيمى رفع الصهانية العلم الإسرائيلى بنجمته السداسية فوق مئذنته.. بل لقد منع المسلمون من تأدية فرائضهم فى ذلك الحرم ما عدا صلاة الجمعة.

كان ذلك المنع والتصريح بأمر «شلومو جورين» الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلى.

ثم اصطنع وزير الدفاع الإسرائيلى مرسوما يقضى بزيارة اليهود للحرم الابراهيمى.. وزيارة أضرحة الانبياء الكرام وعلى رأسهم ابراهيم الخليل عليه السلام.. ما عدا يوم الجمعة.

بعد مدة قصيرة.. قامت القوات الاسرائيلية بوضع جواجز فاصلة بين مكان صلاة المسلمين وأضرحة الانبياء!!.. ثم بعد ذلك قامت بتخصيص مكان صلاة المسلمين فى جزء ضيق محصور من ساحة الحرم الشريف الداخلى.

ثم دأبت سلطات الاحتلال على تدنيس المكان المقدس.. وانتهكوا حرمة مصلى المسلمين مرات عديدة وقاموا بتصرفات افتزازية منحلة ومنافية لأدنى الآداب وأصول الاحتشام.

ثم ـ وكما هى العادة ـ قامت قوات الاحتلال بعد فترة باحتلال كثيرا من الأبنية المحيطة بالحرم بحجة الوصول إلى الغار الذى يضم أضرحة الأنبياء الكرام عليهم السلام.. خاصة بعد أن صرح وزير الأديان د. زيرح فى الاجتماع الذى تم عقده فى القدس بعد شهرين من كارثة ١٩٦٧م وبالتحديد فى ١٩٦٧/٨/١٣م بأن : الغار فى الحرم الإبراهيمى مكان مقدس لليهود.. وأنه حقهم بالشراء أو الفتح.

هذا.. وفى ١٢/١٠/١٩٦٨م.. هدم الصهانية المدخل الشرقى للحرم فى محاولة لإقامة كنيس لهم.. وتم رفض هذا الطلب تكتيكياً.

وعلى نفس السياسة تجاه القدس الشريف جرى الأمر بالنسبة للحرم الإبراهيمى فى الخليل.. ففى ١٧/٩/١٩٦٩م. نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية خبرا طويلا.. كان من جملة ما جاء فيه.

«أنه يجرب الآن خطة لتنظيف مغارة «المكفلا» الواقعة تحت الحرم الإبراهيمى تمهيدا للاستيلاء عليها.. بغية فتح باب جديد يؤدى إلى أضرحة الأنبياء!!» .. الأمر الذى حمل الهيئة الإسلامية بالقدس على الاستنكار والاحتجاج الشديد.

وكان لابد من انفجار يوضح نيات الأطراف!!

إن أدنى دراسة تحليلية لمنهج الصهانية توضح حقيقة نياتهم تجاه الاستيلاء على الأماكن المقدسة الإسلامية.. والتدرج فى الاستيلاء عليها والتخلص منها ضاربة عرض الحائط بمشاعر المسلمين وحقوقهم الدينية والتاريخية.. وتقاليدهم الموروثة.

لكن الجانب الأكبر من تلك الكارثة فيتحمل وزره المسلمون أنفسهم دون شك..

★★★

كان فى القدس ثقل آخر لا يستطيع اليهود ولا أى طرف تجاهله.. ونقصد به الثقل المسيحى والمتمثل فى العديد من الأديرة والمعابد والكنائس التاريخية التليده.. ونظراً لمؤازرة القوى الأمريكية والأنجلو ساكونية البرونستانتيه للمخطط الإسرائيلى فقد كان ولابد من سياسة شيطانية ترمى إلى فرقعه بين الطوائف المسيحية والمذاهب المختلفة ولها جمعيا فى فلسطين أماكن عبادتها الخاصة بها.

كان الهدف هذه المرة أغلى وأقدم الكنائس. كنيسة القيامة التى تسلمها عمر بن الخطاب (رضى) من البطريرك «صفرونيوس» فى بداية مرحلة الفتح العمرى.. وهذه الكنيسة لها من المكانة والتقديس ما اجتمعت عليه مختلف الطوائف والمذاهب المسيحية.

كان مفتاح تلك الكنيسة بيد المسلمين.. كما أن القائم على مكان الصعود المقدس فى جبل الطور بالقدس هم المسلمون.. الأمر الذى يعكس مدى الانسجام القائم والذى كان ولايزال بين العرب المواطنين من مسلمين.. ومسيحيين.. رمى اليهود إلى ضرب ذلك التوافق حتى يمكنهم أن يتموا جرائمهم تجاه المقدسات. إسلامية أو مسيحية.. وعلى تواليها دون مقاومة.

كان الوضع القائم منذ عهد إبراهيم باشا يقضى بمنح مفاتيح الكنيسة إلى آل جوده.. بينما ظل آل نسبية يقومون بالفتح الفعلى لباب الكنيسة.. وبناء على طلب بطاركة القدس للطوائف الأرثوذكسية واللاتينية والأرمنية.

حاول اليهود تغيير ذلك الوضع المتفق عليه.. فلم يوافقهم المسيحيون درأ للفتنة وحسما للخلاف المنتظر وقوعه بين الأطراف المسيحية على مفتاح الكنيسة.. والإشراف عليها.

سرعان ماتوالت أحداث النهب والاعتداءات على الكنائس الأخرى مثل كنيسة «مار إلياس» على طريق بيت لحم.. وكنيسة القدس «يوحنا المعمدانية القديمة» فى عين كارم التى حطموا أبوابها وهشموا نوافذها وسرقوا جميع محتوياتها.. ثم..

ثم كتبوا على حائط الكنيسه لقطة «مرحاض».!!

وفى تاريخ ١٩٦٧/٨/١٢م.. أى بعد أقل من شهرين من كارثة حزيران أقدم ثلاثة من اليهود على سرقة تاج السيدة العذراء.. وعندما بدأت مظاهر رد الفعل العالمية فى التصاعد والغضب أعاد اليهود التاج.. ولكن بعد أن انتزعوا منه عدة لالىء ثمينه!!.

وحتى تكتمل المأساة.. وتتضح الصورة غير الإسرائيليون أيقونة السيدة العذراء التى تحمل فيها السيد المسيح وهو طفل بمنظر حقير ومخجل.. تم عرض هذه الأيقونة فى معرض تل أبيب فى آيار سنه ١٩٦٨م.

كان عنوان الأيقونة: السلام على أم المسيح.

والصورة لاتحتاج لتعليق.. قدر ما تثير التساؤلات حول منطقية تعضيد البروتسنانت لتلك الفئة الضالة من الصهيونية.

وفى ١٩٦٧/٨/١٢م- أصدر بطريرك اللاتين أمراً بإغلاق ثلاثة كنائس تابعة له فى القدس فترة من الوقت بسبب انتهاكها.. ووقوع السرقات بها.. ونتيجة لاقتحامها من قبل الإسرائيليات.. ودخولهن الكنائس بصورة منافيه لأدنى احترام للأماكن المقدسة.

وتتعدد وتتماثل صور ذلك الاعتداء بشكل مشهور ومعروف تمت مناقشته والتحقيق بشأنه عدة مرات تحت قبه هيئة الأمم المتحدة.

الأمر إذا معروف ومعلن.. والسياسة ونظرتها محسوسة وملموسة منذ البداية.. والدافع لكل ذلك وتفسيره أمر سهل وهين.. والحقيقة يجب إعلانها والاعتراف بها. فتلك التصرفات على وقاحتها وبذاءتها تقبلها وحاول الهيمنه عليها القوى البروتستانتية من أجل إخراج هدف إيمانى يؤمنون به ويعتقدون فيه.. ويلعب على وتره الصهانيه بكل حرية ويد مطلقة..

كان زمن ووقت حدوث تلك المآسى يمثل مرحلة اهتزاز نفسى لامثيل لها فى الوطن العربى والإسلامى الكبير.. إلا أن اكبر خطأ وقع فيه ذلك الجانب أن مبدأ الصمود والمقاومة والذى تبع كارثة ١٩٦٧م. لم يتم بناؤه على اساس دينى عقائدى قدر ما شكله رد فعل نفسى سليم تجاه هزيمة قاسية.. وميزة ذلك الاتجاه كانت فى التأنى والدراسة وبناء القوة الذاتية على أساس واقعى سليم.. غير أن ذلك أثر بدوره على تحديد الهدف من تلك المقاومة.. الأمرالذى جعل الهيمنة على تلك القوة أمراً سياسيا ممكنا.

ورغم عدم بناء إسرائيل لهيكل سليمان – حتى الآن– فإن الأمر قائم على أساس دينى يهودى.. إذ تدعى طائفة يهودية، وهم اليهود المحافظون الرجعيون أن المسيح هو الذى سوف يقوم ببناء الهيكل «بعد رجوعه»!!.. أما الطائفة المثقفة العلمانية التى تحكم إسرائيل فتفسر المرحلة التاريخية التى تعبرها إسرائيل بتملك واحتلال القدس الشريف وحائط المبكى بالدخول فعلا فى زمن ومرحلة ما أطلقوا عليه «عصر المسيح».

عبر عن ذلك المفهوم الحاخام الاكبر للجيش الإسرائيلى «غورين».. حين وقف أمام حائط المبكى.. وأعلنها على الملأ: «دخلنا اليوم عصر المسيح للملة اليهودية».

ورغم أن مفهوم المسيح وتخيله عند اليهود قد لايتوازى ولايتناسب مع المنظور البروتستانتى فإن أهم ما فى الأمر أن كل تلك المواقف تجاه القدس ومقدساتها تحكمها نظرة عقائدية لكل ما تمثله من خصائص يعلمها رجالات السياسة.

لعل ذلك يفسر جهد اليهود لتغيير ملامح القدس الشرقيه خاصة.

ذكر الرئيس مبارك أن إسرائيل حتى كامب ديفيد لم تكن قد بنت غير ٤٨ مستعمرة إسرائيلية فقط لأغير– وهذا العدد يشمل المستعمرات التى بنيت على عجل بعد احتلال المنطقة مباشرة.

ولايمكن تفسير ذلك إلا لعاملين:

١– أهمية القدس القديمة لبنى صهيون من الناحية العقائدية.

٢– ثم الصمود العربى اللامتوقع لمصر ودول المواجهة.

القدس.. وحرب أكتوبر ١٩٧٣م.

من الزاوية العسكرية.. أدت حرب ١٩٦٧م إلى وصول القوات الإسرائيلية إلى الضفة الشرقية لقناة السويس- وإلى الضفة الغربية لنهر الأردن شرقا .. وإلى نهايات مرتفعات الجولان شمالا.

وامتدت المسافة من قلب إسرائيل إلى مناطق الحدود فبلغت ٢٥٠كم بعد أن كانت عشرات الكيو مترات فقط لاغير..

هذا التوسع الهائل كانت له مميزاته.. كما كانت له آثاره الجانبية ولاشك.. فقد خلق هذا التوسع عمقا استراتيجيا هائلا لإسرائيل.. غير أنه من زاوية أخرى أدى إلى زعزعة الأمن الإسرائيلى وعدم الهيمنة على تلك المساحة بشكل مؤثر ومضمون. الأمر الذى أدى إلى زيادة حركة المقاومة الفلسطينية فى الأراضى المحتلة.. وزيادة الجهد العسكرى على خطوط المواجهة مع طول خطوط الإمداد والتموين .. الخ.

كانت حالة الصمود العربية مفاجئة وغير متوقعة. الأمر الذى دفع القوات الإسرائيلية إلى انتهاج أسس استراتيجية حتى تتلاءم مع هذا الوضع الذى لم تعتده ولم تتوقعه مثل:

(١) تحديد حدودا آمنه: وهو أمر استراتيجي يمكن على أساسه حساب الواقع والامكانيات. ومن ثم فقد اعلنت اسرائيل عن تمسكها بالأراضى التى احتلتها من منطلق مفهومها الذاتى الواقعى للأمن.. وقد تمشى ذلك وتلاءم لاشعوريا مع عقائدها الأيديولوجية.. غير أنها لم تغامر بالتوسع أكثر خوفاً من زيادة العبء العسكرى بمالا تستطيعه فعلا فى المرحلة التى تعبرها حاليا.. واكتفت باطمئنانها على هيمنتها العسكرية.. وقدرتها على الردع.. وتركيزها على الأهداف الهامة- فالمهمة.

(٢) الدفاع المستمرعن إسرائيل:.. حيث أدت تلك المتغيرات إلى مراجعة إسرائيل لمنظورها الاستراتيجى الجديد والذى اختلف عما قبل الحرب.. فقد اضطرت إسرائيل إلى تقبل العقيدة الدفاعية والتى تتعارض مع تكوين جيش الدفاع الإسرائيلى عما قبل الحرب.. فقد اضطرت إسرائيل إلى بناء عملياتها الاستراتيجية على المواقع الدفاعية الأساسية فى هضبة الجولان.. وخط بارليف.. على قناة السويس وكان ذلك على حساب الهيمنة الداخلية.

(٣) التخلى عن فكرة الحرب الوقائية: حيث أدت تلك التغيرات إلى ترجيح إسرائيل لفكرة قبول الضربة الأولى المحتملة من قبل العرب.. خاصة بعد أن أصبح لإسرائيل عمق استراتيجى يسمح لها باستيعاب تلك الضربة.. خاصة مع التكوين الحربى الاحتياطى الإساسى لإسرائيل.. وقوة الطيران الإسرائيلى المعروفة.

(٤) محاولة الاكتفاء الذاتى حربياً:.. الأمرالذى أضحى فكرا استراتيجيا وعقيدة راسخة أساسية مع تزايد المطامع اليهودية.. أدى ذلك إلى ضرورة التفكير فى الاعتماد اليهودى الذاتى على القاعدة الصناعية الإسرائيلية فى محاولة للوصول إلى حد الاكتفاء الذاتى مراعاة للاحتياجات الحربية الحديثة – وتوقعا للخلافات السياسية المحتملة مع احلاف إسرائيل

ومؤيديها.

باختصار شديد .. فإن حرب ١٩٦٧م خلقت لإسرائيل أوضاعا أمنية جديدة.. واستراتيجية غالية- كما أن العائد الاقتصادى للوضع الجديد كان هائلا..

كان لذلك كله منظوره النفسى تجاه الجيش الإسرائيلى.. فقد أصبح معروفا بالجيش الذى لايقهر!!.. فقد أدى ذلك إلى تهيئتهم لمنطق أن العرب قد صاروا أبعد وأبعد عن القيام بأى عملية عسكرية مؤثرة ضد إسرائيل..

على تلك الخلفية كان تمسك إسرائيل بالحرب واستمرار هيمنتها على الأرض المحتلة أمراً معلنا.. ومشهوراً.. رغم تبعات ذلك الموقف الأمر الذى أمكن الهيمنة عليه برفع ميزان الأحداث دينيا وأيديولوجيا.

من زاوية العرب.. فلم يعد حتى للقادة وشعاراتهم مكان.. بعد أن أضحوا بلا غطاء ولاكرامة.. ولم تعد الدنيا تعنى شيئا .. ولم يعد الشباب يحلمون بحقهم فى الحياة قدر ما وجدوا أنفسهم فى محاولة الصمود والتصدى .. دفاعا عن الشرف قبل الحق.. هذا كما تم تركيز كل الموارد تجاه إعادة القوات المسلحة ومحاولة بنائها بل ووفق تقنية عسكرية حديثة..

وكان ولابد لذلك الاتجاه من التعامل الفعلى والتفاعل الإيجابى مع القوات الصهيونية- وهكذا اندلعت حرب الاستنزاف والتى استمرت طويلا.. وكبدت العرب كثيراً .. غير أن تلك الحرب كانت الحرب الوحيدة التى مثلت تفاعلا إيجابيا حيث لمس الجانبان تدريجيا قدرة الطرف الآخر وإمكانياتة الأمر الذى قوى من عزيمة العرب.. وحدد الهدف .. ولمسه فى عدة مواقع- فعرفه اخيراً.

كان منظار الحرب للعرب شعاره فنلكن.. او لن نكون.

قبل حرب ١٩٧٣م. اطمأنت إسرائيل كثيراً لعدم قدرة العرب على المبادأة الجدية.. وذلك لعدة تيارات قلبت موازين القوى العالمية والمحلية.. فقد بدأت

العلاقة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة تنهج منهاجا معاكسا تماما لما كانت عليه.. وبدا تقارب واضح وتغيرات سياسية حتمية.. كذا فقد بدا على السطح تباعد سورى- روسى واضح.. ثم كانت عمليه تخلص القيادة المصرية من الخبراء السوفيت لغزاً محيرا لمؤشراته ودلالاته العديدة، والتى ولابد أن تؤثر على قدرة مصر على الصمود والحرب.. وكان هناك تيار من الخلافات الواضحة بين البلاد العربية.. وحتى بين دول المواجهة ذاتها. وغير ذلك من المواقف السياسية والشواهد الاقتصادية والتى عززت الاعتقاد بأن احتمالات الحرب قد بعدت لذلك كله.. ولغيره - فقد فوجىء العالم كله والجيش الإسرائيلى أساساً بحرب ١٩٧٣م.. ومداها. فمع نجاح القوات المصرية والسورية فى بداية الحرب بصورة أدهشت العالم وأوضحت لاسرائيل أن هناك صوتا عربياً. فإن طبيعة الحرب تأثرت دون شك بأهدافها المرصوده والمحدودة.. ولم تطرح القدس حتى كشعار فى تلك الحرب. الأمر الذى كان يمكن أن يغير من مسارها.. ولو نظريا.

حملت نتائج الحرب متغيرات أساسية بالنسبة لأطراف النزاع أثرت بشكل مباشر فى التعامل الدولى معها .. وفى نتائجها النهائية.

كسرت تلك الحرب المفهوم الإسرائيلى لنظرية الأمن الإسرائيلى بعد كارثة ١٩٦٧م.. فلم تتمكن إسرائيل من استيعاب الضربة العربية الأولى.. ولم تتمكن من ترجمة مبدأ المباغتة إلى واقع ملموس.. ولم يتمكن سلاح الجو الاسرائيلى من فرض هيمنته وتحديد شكل الحرب وذلك لنمو وكفاءة الدفاعات الجوية العربية والمصرية على وجه الخصوص وحسن استخدام العرب للصواريخ الحديثة عاليه التقنية.

وهكذا تقوضت ركائز نظرية الأمن الإسرائيلى فى التفوق العسكرى المطلق وقدرة قواته على إخراج المعركة بالشكل الذى يريده.

على الجانب العربى كانت النتائج أخطر بكثير.. فرغم نجاح مصر المدهش حتى على الساحة العاليه التقنية فى السلاح فإن الخلاف وعدم وضوح الهدف الثابت الواجب الاتفاق عليه ظهر فى الخلاف العالى الصوت بين القيادة فى أشد لحظات المعركة حرجا وأوضح نقائص الموقف المصرى.

كانت مواجهة ومناولة الأمر سياسيا منصباً على الخلاف ومعناه.. الأمر الذى أدى إلى نجاح إسرائيل فى الحصول على نتائج لم تكن تتخيلها أو حتى تتوقعها..

كان ذلك عن طريق السياسة .. لا الحرب.. عند لمس رجالاتها الهدف من تصرفات القيادة المصرية ومدى تطلعاتها..



من الإنصاف القول بأن دور مصر القيادى عربياً كان أو إسلاميا والذى برز منذ بداية الخمسينيات قد أصابته انتكاسة حادة منذ صلح كامب ديفيد.. وحتى الآن.. ومن الظلم تقييم ذلك دون اظهار وتوضيح اسباب الانتكاسة وتعقيداتها.

كانت مصر منذ ثورة ١٩٥٢م قد تصدت ورأست قضية الدفاع عن العروبة والإسلام.. وهى أيضا من رفعت راية التصدى للمخططات الإسرائيلية.. وبذلت مصر من خلال منهجها الثورى الغالى والنفيس.. وكانت مصر هى ايضا من تنصلت من ذلك كله، ووافقت على صلح كامب ديفيد.. الأمر الذى أثر على قوة العرب دون شك- ولايمكن تفهم ذلك التحول الجذرى دون دراسة ظروف مصر الاقتصادية والاجتماعيه والسياسية بعد حرب ١٩٧٣م.

الحقيقة التى يجب رفعها بداية أن الفكر السياسى العربى فى نطاق الجامعة العربية لم يتمكن طوال خمسين عاماً كذلك من وضع استراتيجية عربية عامة وشاملة وملزمة بالضرورة لأفراد الأمة العربية فى التصدى للمخطط اليهودى الصهيونى العالمى فى المنطقة.. والاتفاق على مدى خطورة ذلك الحاجز المصطنع بين المشرق والمغرب العربيين رغم أن قوة الدولة الصهيونية وهيمنتها لمسها الجميع منذ بداية الصراع.. وعرفها الجميع بعد حرب ١٩٦٧م.. بل وراحت فى سباق مع الزمن تستنزف القوى العربية وترهن الوجود والذات العربية ذاتها.

كان وراء ذلك الخلل واللاتوازن أمر مدهش بكل المقاييس ويشير بكل سهوله إلى الفلسفة الاستراتيجية البروتستانتية والأمريكية تجاه المنطقه وتصورها المستقبلى لها.

لم تتمكن الجامعة العربية من توضيح ذلك كله لأعضائها.. وإلزامهم بهذا الوضع الملموس.. الأمر الذى أشار إلى نفسه فى غياب أى استراتيجية عربية توزع اعباؤها على أطراف الصراع وغيرهم بالعدل والإنصاف وعلى قدر الاستطاعة وعلى العرب عامة وخاصة.

وهكذا.. عانت دول المواجهة أضعاف أضعاف الدول العربية الأخرى.. وتحمل أعظم العبء الشعب الفلسطينى البطل.. كما تحملت مصر وسوريا خاصة أكبر العبء وأعظمة.. خاصة مع عنف واستمرار الصراع وعدم توقفه..

خاضت مصر غمار خمسة حروب منذ قيام دولة إسرائيل فى ١٩٤٨م.. هذا إذا تذكرنا حرب الإستنزاف.. وكانت مصر وحيدة فى الساحة مثلما كان الحال فى حرب ١٩٥٦م وحرب الإستنزاف وكان معها جزء يسيراً من قوة العرب فى بعض الحروب الأخرى.

ليس هذا فحسب.. بل أن ذلك المسلسل لم يمنع مصر فى مسئوليتها عن تزعم قضايا العالم العربى واستاعت أن تؤازره سياسيا وعسكريا احيانا فى نقض غبار الاستعمار عن أرضه وشعبه. واستطاعت من ثم أن تهىء الظروف التى استطاعت أن تحرر موارد وثروات الأمة العربية كلها وترجعها إلى أهلها.

ثم كانت كارثة ١٩٦٧م من الشدة العسكرية.. والاقتصادية تبعاً لها.. وعندما انتهجت مصر سبيل المقاومة وسارت فى حرب الاستنزاف وإعادة بناء جيشها وتحديثه، وحتى حرب ١٩٧٣م كان لذلك المنهاج منظوره الاقتصادى.. فرغم مساعدة دول الجوار لمصر فإنه وبنهاية الحرب ووقف إطلاق النار التقط المسئولون. القاده المصريون أنفاسهم ونظروا فى أمرهم وإمكانياتهم فراعتهم الديون.. ولمسوا ثمن كل تلك الحروب.

توازى ذلك مع ارتفاع مذهل ومدهش فى أسعار البترول نتيجة لموقف الراحل العظيم الملك فيصل رحمه الله.. وأدى ذلك إلى طفرة هائلة فى دخل دول البترول الخليجية.

كان من الطبيعى أن يتجه الطرف المقاتل والمثقل بالديون إلى الطرف الغنى جداً والذى تميزت ميزانياته بكل بحبوحة وميسرة لم يتعودها ولم يتوقعها أى من المحللين وأشدهم تفاؤلا.

وكان العطاء.. بقدر سماحة وكرم شيوخ البترول.

قبل أن تتفاعل الأحداث بمؤثراتها النفسية والإنسانية تم اغتيال الملك فيصل فى حادثة مازالت غامضة.. لكن دراستها وتحليلها يشير إلى القوى التى يهمها رحيل مثل ذلك الرجل.. فى ذلك الوقت على وجه الخصوص.

سافر السادات بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣م. إلي الكويت فطالعته الجرائد بمانشتاتها وخطوطها العريضه الواضحة.. «وجاء الشحاذ..» ومثل ذلك

وغيره.

وفجأه.. كان قرار السادات المسرحى باستعداده للذهاب إلى القدس.. والصلح مع اسرائيل.. وفتح صفحة جديده مع جيرانه اليهود.. الأصدقاء..!!..

نعم .. إلى القدس.. أولى القبلتين- وثالث الحرمين الشريفين.. ومركز الأسراء والمعراج.. القدس .. عاصمة اليهود ودولة صهيون. .

القدس .. التى لم يضع لها المسلمون فى أهدافهم مع صراعهم.. أى مكان أو قيمة. أغرب ما فى الأمر أن مبادرة السادات وجدت صدى وقبولا لم يتخيله أى محلل أو عاقل علم بعضا من روح الشعب المصرى وعروبته وإسلامه.. وتفهمه الكامل لعدالة القضية الفلسطينية وتقديره للقدس ومكانتها الإسلامية.

الأمر الأغرب أن ذلك الموقف لم يتم تحليله علميا وتفنيد أسبابه وأبعادة.. رغم أنه محصلة للعديد من العوامل والمؤثرات التى استهدفت سلامة حركة الأمة العربية.. ورمى إلى تفكيكها وتمزيقها..

ثم تشكيلها بعد ذلك حسب ما ترتضيه القوى العالمية.. بعد نهب ثرواتها..

وقد حدث كل ذلك فعلا بعد كامب ديفيد..

إن المرض ولاشك تشير إليه عوارضه.. فلن ننسى أبداً دور الإعلام أنذاك.. فقد انتشرت منذ اللحظات الأولى شعارات السلام الجميلة.. والانتهاء من المعاناة.. ولسوف ترتفع الأجور.. وتنخفض الأسعار.. وسوف تحل أزمة الإسكان.. وتختفى مشكلة المواصلات.. ونعبر عنق الزجاجة .. الخ.

كان ذلك فى بداية سيناريو صلح كامب ديفيد.

ووسط ذلك الزيف السياسى.. ضاعت الحقائق العلمية والعملية الأساسية.. وضاعت الحقيقة الملموسة.. فالصراع العربى الإسرائيلى صراع عقائدى فى المقام الأول والأخير.. ولهذا النوع أبعاده الإيمانية الأيديولوجية التى تحددة.. وكانت القدس محوراً واضحا ومازالت كذلك.

كان دور الجامعة العربية أيضا خاطىء.. فقد تم على الفور طرد مصر من الجامعة العربية.. وكأنها وسيلة أخرى لتثبيت المواقف وزيادة الفرقة..

يمكن تلخيص وتحليل المحور الذى دارت عليه كل تلك الحوادث الفاصلة فى أنه قد لعب على رد الفعل الإنسانى والنفسى والطبيعى لدول المواجهة مقابل تلك الآثار التى جرى إظهارها على دول البترول العربية المرفهة.

كان الأمر واضحاً أشد الوضوح لأى باحث أو سياسى محترف يمكن له أن يدرس ويتوقع طبيعة رد الفعل العربى ومردوده لو تحكم فى إخراج المواقف بطريقة تمس كرامته.. وحقه.. ويصبح الأمر أشد وضوحا عندما يمكن تقييم العلاقة الخاصة جدا بين أمريكا خاصة.. والطرف العربى الخليجى البترولى.. ذلك العامل المؤثر فى توجيه الأحداث دون شك.. فالحرب والاقتصاد لايمكن فصلهما عمليا أو حتى نظريا.. خاصة فى عصر التقنية والعلم والأبحاث.

غير أن أشد ما فى الأمر أن الوضع يشير ضمنيا إلى مدى إيمان أطراف النزاع المتعارضين حول محور الخلاف.

كان ذلك التداعى حتميا ومؤكدا طالما لم يرفع العرب راية الدين فى مواجهة المخطط الصهيونى اليهودى والذى رفع بدوره رؤيته البروتستانتية – اليهودية تجاه القدس.. منذ نهاية القرن التاسع عشر.. وحتى هذه اللحظة.

قبل المصريون الانكفاء إلى الداخل.. ورفع الأمر من منطلق قوميتهم القطرية.. ورفع مصلحتهم القطرية على أى مماعداها.. لكن هل يمكن قبول ذلك المنطق لو كان ضحيته القدس؟!

سؤال لم يرفع..

كان يمكن مواجهة ذلك كله لو تم عرض النزاع على حقيقته كنزاع عقائدى مس المقدسات بسقوط القدس فى ١٩٦٧م- وكان ذلك كفيل أيضا بحل المشاكل بين دول البترول الغنية.. ودول المواجهة المرهقة.

ليس هذا فحسب.. بل إن الانكفاء المصرى القطرى جعل نتيجة اتفاقية كامب ديفيد عند تقديرها نجاحا إسرائيليا بكل المقاييس.. فقد تم بشروط مهينة حدد حرية حركة اية قوات مصرية فى سيناء وجعلها من ثم تحت طائله يد الصهانيه عند نشوب أى صراع فى المستقبل.

وهل هناك من يقسم بعدم احتمالية ذلك؟!

★★★

من زاوية اليهود كان صلح كامب ديفيد والذى تم توقيع معاهدته فى مارس ١٩٧٩م. منطلقا ودفعة نفسية جديدة لليهود طالما كانت الأهداف أمامهم واضحة، وعلى محور أيديولوجى ودينى.. هذا رغم جهاد وحرب اليهود المتتالية.. فمع إقرار الصلح وتقييمه من الناحية الأيديولوجية اليهودية نشطت حركة اليهود على الالتزام الدينى بتحقيق وتثبيت أركان الدوله الإسرائيلية الكبرى وعلى محوريه.. الأرض .. والإنسان.

وهكذا لم تر اسرائيل فى كامب ديفيد سوى ضمان وتقييد الجبهة المصرية الجنوبيه فانطلقت بصورة لم يسبق لها مثيل فى تحقيق أهدافها.

- اتجهت إسرائيل لبناء المستوطنات فى الضفة والقطاع باقصى قوة.

- ثم وفى عام ١٩٨٠م قرر الكنيست ضم القدس الشرقية وجعلها عاصمة إسرائيل.

- وأثناء اجتماع السادات وبيجن فى شرم الشيخ فى ٤ يونيو ١٩٨١م. قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف المفاعل النووى العراقى بعد الاجتماع

بيومين فقط لا غير!!

- ثم أعلنت إسرائيل ضم الجولان وإخضاعها للقانون المدنى الإسرائيلى فى ديسمبر ١٩٨١م.

- ثم وفى يونيو ١٩٨٢م. ،قامت إسرائيل بأكبر غزو للبنان وصل إلى حد احتلال بيروت بعد أن تم توجيه ضربة شديده لقوات المقاومة الفلسطينية.. وتمت مذابح صابرا وشاتيلا أمام أعين العالم كله.. ولم تملك مصر إلا سحب سفيرها للتشاور!! بعد احتلال جنوب لبنان.

- ثم قامت إسرائيل بتدمير مواقع الصواريخ الدفاعية السورية.. كما دمرت ٨٦ طائره سورية دون أن تفقد طائرة واحدة..

- ليس هذا فحسب- بل لقد قامت القوات الجوية الإسرائيليه بتدمير مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية وأجزاء من قرية مجاورة لها فى تونس.

كان ذلك كله من ثمن كامب ديفيد..

عبر إيجال ألون عن نظرته تجاه الواقع بعد كامب ديفيد فقال:

«إن الحدود الآمنة بسلام أفضل من حدود غير آمنه.. وخاصة فى الوضع الجغرافى والسياسى والاستراتيجى السائد فى الشرق الأوسط.»(١)

وكانت المواقف دليلا على حقيقة النظرة السياسية لإسرائيل.

أما من ناحية العامل البشرى وتطوراته وأهميته بالنسبة لإسرائيل.. فقد كان صلح كامب ديفيد محوراً للتركيز عليه وبشدة.

عبر عن ذلك العميد تال .. فقال:

---

(١) نقلا عن زيف شيف.. كتاب نظرية الأمن الإسرائيلى والحرب القادمة.. «عمان ١٩٧٨، ص٢٦

«فى الظروف الحالية لجبهتنا يستطيع من يتمتع بتفوق عددى السماح لنفسه بشن حرب دفاعية.. أمام الجانب الذى لايتمتع بتفوق عددى فلا يستطيع السماح لنفسه بشن تلك الحرب. أى أن القوات الأقل عدداً تعمل حسب مبدأ توجيه الضربة الأولى وشن حرب هجوميه.. لا دفاعية».

وهكذا أكد العميد الاسرائيلى تال النقطة المحورية التى أكدها وأسسها بن جوريون عند صياغته لنظرية الأمن الإسرائيلى.. وأكد أيضا طبيعة البناء الإسرائيلى الحربى القتالى حتى تحقيق الأهداف العقائدية كلها والتى يمكن تلخيصها فى بناء إسرائيل الكبرى.

كانت الأحداث التى جرت بعد كامب ديفيد .. وحتى الآن تأكيدا لذلك مثل عمليه نقل يهود الفلاشا إلى إسرائيل عام ١٩٨٥م حيث استطاعت إسرائيل نقل ما يقرب من اثنى عشر ألفا من اليهود فى ساعات محدده من أجل الاستفادة منهم اقتصاديا وعسكريا.. ثم توجيه موجات هجرة يهود السوفيت.. ويهود أوروبا الشرقية ويهود اليمن بعد حربها الأخيره.. ثم يهود الاكراد فى شمال العراق وغيرها.. كل هؤلاء تم توجيههم إلى إسرائيل بعد كامب ديفيد.

كان ذلك ايضا من ثمار كامب ديفيد.

من ناحية أخرى فبعد خروج مصر من دائرة الصراع الإسرائيلى – العربى نتيجة صلح كامب ديفيد فإن جماعة دول الصمود التى عارضت مساندة دولة رئيسيه كمصر أعطت قوى الجوار فرصة فى إظهار أطماعها فى المنطقة.. فإسرائيل وجدتها فرصة العمر فى تحقيق أهدافها وعلى صورة هى بكل تأكيد أسهل واضمن من الحروب..

اما إيران فوجدتها فرصة العمر هى الأخرى. الأمر الذى تمثل فى حرب

الخليج الأولى.. قامت تلك الحرب أيضاً على محور عقائدى.

على ضوء تلك المتغيرات أعاد الصهانية استراتيجيتهم العسكرية.. وهكذا:

- جرى من جديد تأكيد اعتماد استراتيجية الهجوم المسبق والضربة الوقائيه.. من جديد.

- جرى اعتماد نظام الانفراد بكل جبهة على حدة.. ثم الانتقال إلى الأخرى.. أى التخلى عن استراتيجية ما قبل ١٩٧٣م.. بمعنى آخر تأقلم القوات الإسرائيلية بما يتناسب مع نسبة القوات العربية على الجبهات الأخرى. خاصة بعد تحييد جبهه الجنوب المصرية.

- التأكيد والتركيز على الرادع النووى كسلاح ردعى حاسم لضمان الأمن الدائم، وقوة إسرائيل.. كانت أحداث ما بعد كامب ديفيد تشير وبكل وضوح إلى حاله من الخلل الواضح فى توازن القوى بين أطراف النزاع ظهر على أشده بعد كامب ديفيد.

لكن تلك الأحداث نفسها تشير إلى نشاط واضح مستمر ومتصاعد وقوى لليهود فلم يشتك اليهود رغم حروبهم المتتالية والعديدة..

فما هو السر فى تلك الحالة النشطة المتصاعدة إن لم تكن مرتكزة على عقيدة ودين بصرف النظر عن سلامتها وأحقيتها؟!

وهل يمكن مقارنة صعاب مصر ومتاعبها بمصاعب اليهود؟!

ولايعنى ذلك إطلاقا إسقاط الدور الخليجى الثرى الغنى من تلك التداعيات كلها.

لكن ذلك ليس عذرا كافيا من ناحية العقيدة لتبرير التصرف لمصر..

فوسط تلك الأحداث لم يعد المسلمون ينظرون إلى قضية القدس إلا خجلا.. ولم تعد الإشاره إليها إلا همساً.



بينما التفاعلات السياسية تجرى مجراها.. كانت هناك على الطرف الآخر نظرة عقائدية تتبلور نتيجة لتلك الأحداث.. وترى فى النتائج تأكيدا على الطريق السليم.. خاصه بعد التغيرات الاستراتيجية التى ظهرت بصمتها بعد كامب ديفيد.

بل وقبل ذلك وتحديداً فى نوفمبر ١٩٧٥م أدانت هيئة الأمم المتحدة الصهيونية ومنهاجها الفلسفى والعملى بالعنصرية واعتبرتها «شكلا من أشكال العنصرية».

كانت تلك الإدانة من الضربات القاسمة للصهيونية وصورة من صور بعث الضمير العالمى رغم ندرته بعد أن خدرته الصهيونية لأكثر من قرن من الزمان.

ولم تكن تلك الحقيقة نوعاً من الضغط السياسى.. بل لقد اعترفت به وأقرته دائرة العلوم الاجتماعية «إن الحياة القومية والحياة الدينية قد كونتا فى اليهودية وحدة لاتنفصم.. وكلتاهما تتسامى إلى أمل واحد.. وهو العودة إلى صهيون»!!

ثم القول أيضا:« إن الشوق إلى مجد إسرائيل الغابر صار ذا أهمية بالغة لدى العقلية الدينية عند اليهود.. ولقد كانت القلعة على جبل صهيون رمزا مقدسا . وكانت الصلوات تؤدى من أجل استعادة مملكة بيت داوود».

كان لذلك البناء الأيديولوجى النفسى أثره وبصمته فى المباحثات عند كامب ديفيد.. وفى حوادث ما بعدها- خاصة تجاه القدس.

وقد جرى الأمر على المحورين الأساسيين المتفق عليهما: الأرض.. والإنسان.

فى فترة ما بعد كامب ديفيد نجح إسحق شامير فى تشكيل أشد الحكومات الإسرائيلية تطرفاً فى تاريخ إسرائيل.. وقد تقدمت تلك الحكومة بمبادرة السلام الإسرائيلية التى تم طرحها فى ١٤ مايو ١٩٨٩م.. فى تلك المبادرة أعلنها شامير واضحة وبكل صراحة:

«إن استيعاب الهجرة اليهودية ستكون المهمة الأولى لحكومتة» !!

ثم إن شامير أعلنها واضحة فقد استبعدت حكومته القدس الشرقية من إطار الحكم الذاتى والذى كان قد طرح كحل للمشكلة الفلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة..

- وعلى ذلك الأساس ذكر متحدث باسم الحكومة الإسرائيلية أن سكان القدس الشرقية لن يشتركوا فى الانتخابات لاختيار ممثلين لهم سواء كناخبين أو مرشحين.

ثم .. ثم أضاف المتحدث أن القدس لم تكن جزءا من مبادرة السلام الإسرائيلية!!.

وصار الأمر اعلانا ومشهوراً.

فقد كشفت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية فى ١٩٩٠/٦/٢٠م عن تفاصيل مشروع استيطانى شامل وكامل أعدته الحكومة بغرض توطين ٤٠٠ ألف مهاجر يهودى فى خمس مناطق بالقدس.. والجليل وصحراء النقب.

ولما كانت لموجات الهجرة مشاكلها الإسكانية والإنسانية سرعان ما نشطت الحكومة فأعلنت عن خطة استغرقت دراستها سبعه أشهر بعنوان «خطة متكاملة للاستيعاب والتطوير» تقوم على أساس مستثمرين من الخارج كان نصيبهم من الخطة ٦,٥ مليار دولار.. بينما قامت الحكومة الإسرائيلية بإعداد الأرض بما يقدر بـ ١٢ مليار دولار.

غير أن موجات الهجرة اليهودية إلى القدس أدت إلى أزمة سكانية تمثلت أعراضها فى ارتفاع كبير فى معدلات الإيجار.. وبنسب هائلة.. حتى لقد سكن المهاجرون الشوارع.. وتجاه البرلمان فى القدس.. وتصاعد الأمر حتى لقد حذر المسئولون آنذاك من حدوث انفجار اجتماعى ضد المهاجرين إذا لم تتمكن الحكومة من حل أزمة الاسكان.. وبسرعة.

لمس خطورة تلك المتغيرات السريعة وأثرها على المدى البعيد العدو.. قبل الصديق. ذكرت صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية فى عددها ٢٠/٦/١٩٩٠م. فقالت: «إن الهجرة الجديدة لليهود السوفييت إلى إسرائيل توشك أن تؤدى إلى تغيير وضع إسرائيل ومستقبلها - وتنعكس على منطقه الشرق الأوسط بأكملها» !!.

وذكرت الصحيفة: «أنه أصبح هناك اعتقاد شائع فى إسرائيل بأن تدفق الهجرة السوفيتية على هذا النحو يضع إسرائيل على مشارف عهد جديد تتضاعف فيه قوه دولتهم إلى حد مذهل»..

غير أن الجريدة أشارت إلى أن ذلك قد :

«يعنى من ناحية أخرى مواجهة صراعات طويلة عبر الحدود.. كما قد يتطلب ضرورة تحديد الهوية القومية ومكان الدولة اليهودية على خريطة الشرق الأوسط.»

من ناحية أخرى فقد أكدت الدرسات السياسية الاجتماعية.

أن المعدل المتوقع للهجرة اليهودية سوف يؤدى إلى أن يرتفع سكان إسرائيل والبالغ ثلاثة ملايين وسبعمائه الف نسمة وبنسبة تبلغ ١ ٪ كل شهرين.. بل ويمكن الاحتفاظبهذه النسبه لسنوات عديدة قادمة» !!.

كما أشارت تلك الدراسات إلى أن:

«عدد المهاجرين فى السنوات المعدودة القادمة يمكن أن يصل إلى مليون ومائه الف نسمة.. يكثر فيهم أصحاب المواهب والكفاءات على نحو لم تشهده إسرائيل من قبل. كما أنها تضم عدداً كبيراً من العلماء المهندسين والموسيقيين وغيرهم من أصحاب الكفاءات الإدارية والمهنية..».

أما الوجه المقابل والموازى لذلك كله فتمثل فى موقف رئيسى من الإنسان الفلسطينى.. صاحب الأرض الأصلى.. وقاطن القدس.. حيث ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية فى نفس الشهر.. وتحديداً فى ٢٠/٦/١٩٩٠م.

«إن السلطات الإسرائيلية تستعد حاليا لطرد ٨٥ الف عامل فلسطينى يعملون داخل إسرائيل.. مع فرض غرامات مالية كبيرة على أصحاب الأعمال الذين يتجاهلون هذه الإجراءات»..

توازى ذلك كله مع حمله اعتقالات واسعة فى القدس.. وضواحيها.

فى نفس الوقت.. أشارت تقارير صحفية «من عمان [1]» أن سلطات الاحتلال الصهيونى بدأت فى توزيع ملصقات «هيكل سليمان» لتهيئة الرأى العام لهدم المسجد الأقصى.. وبناء الهيكل مكانه.

وذكرت صحيفة الدستور أن المهندس الاسرائيلى مائير بن دوف قد أعد مخططا هندسيا لهيكل سليمان بناء على تكليف من رئيس بلدية القدس لإقامته على أنقاض المسجد الاقصى.

إن الحقيقة التى يجب تأكيدها أن الصهيونية العالمية وبتركيبتها العقائدية الايديولوجية والنفسية.. ومع انتصاراتها المتواليه عسكريا أو سياسيا.. ومع التغيرات الطارئة الجذرية والحاسمة فى طبيعة تركيبتها السكانية من المنطق أن تنظر إلى الأمر بمنظارها.. وترمى بأحلامها فيما يخص القدس.. بل لقد تعدت ذلك فعلا..

---

(١) نقلا عن جريدة الأهرام القاهرية– فى ٢٢/٦/١٩٩٠م.

تلك كانت بعض تداعيات كامب ديفيد..

ولم تكتف الصهيونية.. بل قامت ايضا باستغلال وضرب الأحزاب المسيحية بعضها ببعض.

★★★

توازت مواقف الصهيونية فى حركتها التاريخية وبمواقفها تجاه المسلمين.. وعلى محورى الارض والإنسان.. بموقف أخر قد يبدو عجيبا.. حيث انه يتعرض للمقدسات المسيحية فى القدس.. وغيرها.. فى نفس الشهر الذى ثارت فيه كل تلك الأحداث التى أشرنا إليها سابقا - تناقلت أيضا وكالات الأنباء خلافا مثيرا بين بطريرك الروم الأرثوذكس«ديودو روس الأول» بطريرك القدس.. وبين الرئيس الإسرائيلى حاييم هيرتزوج.

وكان لمحور الخلاف قصة..

فقد استولى المستوطنون اليهود على «مبنى دير القديس جين.. والدير المذكور يقع فى القدس.. وهو تابع للبطريركية منذ مئات السنين - كما أنه امتداد للكنيسة منذ القرن الرابع.. ويخدم أغراضا دينية.. وهو جزء لا يتجزأ من تخطيط الأماكن المقدسة فى القدس الشريف.

ولكن.. وفجأه.. ادعى اليهود.. ربما تحت ضغط وعنف الأزمة السكانية الناشئة عن هجرة اليهود والسوفيت ويهود شرق أوروبا أن مبالغ كبيرة قد دفعت من أجل نقل ترخيص المبنى إلى اليهود.. وصلت إلى خمسة ملايين دولار.. دفعت الحكومة الإسرائيلية جزءا منها.

وهكذا.. وفجأة تم احتلال مبنى البطريركية والتى تمارس خدماتها الروحية فى الأرض المقدسة منذ نحو ألفى عام.. من قبل المستوطنين اليهود.. بل وتم الاعتداء على رجالات الدين المسيحى من قبل الشرطة والمستوطنين .. كما وضعت نجمة داوود فوق مبنى الدير وبشكل استفزازى حيث إنها غطت على

شعار الكنيسة والذى هو جزء من المبنى.

بعد أكثر من شهر.. قام البطريرك ـ الروحى للأرثوذكس ومعه مئات من رجال الدين ـ بمظاهرة سلمية للاحتجاج على ذلك الاحتلال الغير قانونى للمبنى المقدس.. لكن الجنود الإسرائيليين هاجموا المظاهرة السلمية بالقنابل الغازية المسيلة للدموع .. الأمر الذى أدى إلى معاناة البطريرك صاحب القداسة من مشكلات فى التنفس.. وألقى على الأرض حتى انكسر الصليب المقدس حول رقبته.

أهم ما فى الأمر أن البطريركية صاحبة المبنى أعلنت أنه ليس لديها أى علم بعملية نقل الترخيص هذه.. هذا كما أن السرية التى تمت بها عملية الشراء هذه تخلق فى الواقع شكوكا حول صحتها القانونية .. خاصة أن تلك العملية المذكورة قد تمت بمساعدة الحكومة الإسرائيلية ذاتها .. كما أنها تمت دون علم المالك الحقيقى والفعلى للدير.. وهو البطريركية الأرثوذكسية.

كان الدفاع هذه المرة على لسان الرئيس الإسرائيلى ذاته فقد أشار فى تحليله إلى أن المكان مهجور ومهمل كما أنه مستغل استغلالا سيئا!!.

فلم تم دفع مبلغ ٥ ملايين دولار ثمنا له؟!.. ولمن؟!

وكيف يمكن تفسير عدم علم البطريركية المالكة للمبنى بعملية البيع المدعاة وأسرارها؟!

وكيف لم يتم نشر أى خبر عن رغبة شراء هذا العقار إن كانت– فى الصحف أو المجلات أو حتى أخبار الكنيسة؟!

وكيف يمكن تفسير عدم تسلم البطريركية فى أى وقت أيه أموال تخص نقل الرخصة؟!

أما لماذا تم هذا بالنسبة للأملاك الارثوذكسية خاصة؟ فإنه يمكن تقبلها حيث إنها الغالبة فى روسيا.. وأيضا مصر.. الأمر الذى يعنى الكثير نفسيا

للمستوطنين السوفييت.. وللبروتستانت الأمريكيين... ولغيرهم ايضا.

الأمر المحزن حقا أن حادثة أو قضية مبنى دير القدس جين تشير فيما تشير إلى أن المخطط الإسرائيلى بالنسبة للقدس يجرى على دفعات متعاقبة.. ويتم تقنينه على مراحل.. غير أن الهدف واضح .. وتثبته المواقف والأحداث على تواليها.

وهذا هو الأمر الذى يرفع علامات استفهام كبرى.. بل وشكوكا حول أمانه القيادات الإسلامية للدولة العربية ذاتها.. هكذا او بكل صراحه.

قبل تلك الحادثه كان بيجن قد أعلن عن مشروعة للحكم الذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزة، وكان ذلك عقب بناء اكثر من ٧٠ مستوطنة إسرائيلية فى ذلك الوقت «بداية ١٩٧٨م».. بمقتضى ذلك المشروع يتم منح الفلسطينيين قدرا محدودا من الحكم الذاتى .. لكنه أيضا يثبت لإسرائيل الحق فى شراء الأراضى العربية واستيطانها فى منطقة الحكم الذاتى العربية.

لكن ذلك المشروع أبقى لإسرائيل وحدها وبمفردها السيطرة الكاملة فى مجالى الدفاع.. والسياسة الخارجية!!.

وهكذا يكون السادات قد وافق على حق اليهود القانونى فى شراء أراضى الضفة الغربية.. وعلى إلغاء فكرة الاستفتاء.. وعلى بقاء القوات الإسرائيلية فى الضفة والقطاع.. وعلى سلامه المستوطنات!!

ولن نعلق أو نقيم مشروع الحكم الذاتى «الإسرائيلى» الذى يتلهف القادة العرب على تسييره.. بل سوف يأتى التعليق من أفواه المحللين الأمريكيين أنفسهم.. أصحاب اليهود ومناصريهم.

قال بريجنيسكى موجها حديثه لبيجن ودايان: إن مقترحاتكم بخصوص الحكم الذاتى فى الضفة الغربية والقطاع يمكن تفسيرها على أنها تمثل تخليداً للسيطرة الإسرائيلية على المنطقة!!

وقال عنها كارتر: إذا لم تسمحوا لسكان الضفة الغربية أن يقرروا هويتهم في المستقبل فلن يكون هناك أمل في التوصل إلى حل سلمي.. وإذا لم تعطهم إسرائيل صوتا فلن تصل إلى اتفاق .. وهذا أمر حيوى إلى أقصى حد.. حتى ولو كان هدفكم هو إبرام معاهدة مع مصر فقط..».

كان مشروع بيجن هذا تقريبا الذى تم الأخذ به فى اتفاقية كامب ديفيد فى شقها الفلسطينى..

حتى تكتمل الكارثة.. التقى السادات بوايزمان فى يوليو ١٩٧٨م.. وكان مما قاله له:

«أنا اتفق معكم فى أنه لايجب تقسيم القدس مرة أخرى.. ولكن يجب أن تدار بشكل مختلف.. يقصد بصورة مشتركة..»

لكن الكنيست لم يستشر السادات أو غيره عندما قرر وأعلن فعلا فى ١٩٨٠م قرار ضمه القدس الشرقية.. وإعلان القدس عاصمة أبدية لدوله إسرائيل».

فهل كان السادات يطمع فى إدارة عاصمة إسرائيل؟!

ولم يتغير وضع القدس منذ ذلك الحين.. حتى تلك اللحظة.

ولم يتغير أيضا الالتزام الإمريكى تجاه قضيه القدس بكل أبعادها السياسيه والعقائدية.. ذلك كما جاء فى رسالة التطبيقات الأمريكية إلى حكومة إسرائيل بتاريخ ١٨/١٠/١٩٩١م:

«إن التزاماتنا بأمن إسرائيل باقية على ما هى عليه .. وكل من يحاول أن يدس بيننا ساعيا للمس بهذه الالتزامات لن ينجح فى فهم «الروابط العميقة» بين دوليتنا و«طبيعة» التزاماتنا بأمن إسرائيل .. بما فى ذلك الالتزام بتثبيت تفوقها النوعى» .

ويمكن الآن وصف هذه الرساله بالصراحة التامة.. وفهم «طبيعة الالتزام»..

والروابط العميقة.. والتى لاتقوم فى مجال السياسه على مدى طويل.. قدر ما تكون أساسية فى مجال العقيدة ولاشك .. إن الأمر إذا أوضح مايكون.

وحقيقة .. لم يتغير هذا الالتزام.. منذ ذلك الحين.. وقبله.. وفى المستقبل.. بل إنه يزداد قوه ورسوخاً.حيث إن للمكتسبات الإسرائيلية وجهتها الدينية.. وتفسيرها التاريخى العقائدى.. على تلك الأرضية الصلبة من «طبيعة الروابط العميقة الخاصة».. ودقة الالتزام بها كان طبيعيا بزوغ جماعات ضغط بروتستانتية اصولية ذات أهداف ومفاهيم معلنه .. منها.

(١) السفارة المسيحية الدولية.. القدس:

كانت ولادة تلك المنظمة الصهيونية المسيحية تأكيداً لنظرة القوم تجاه القدس.. وتأكيداً لأهمية العمل البروتستانتى الأصولى نيابة عن إسرائيل.

تم تأسيس هذه المنظمةفى ٣٠ سبتمبر ١٩٨٠م.. فى مدينة القدس المحتلة.. وبحضور أكثر من الف رجل دين مسيحى يمثلون ٢٣ دولة.. ثم إنه قد اختير لرئاستها رجل دين أصولى هولندى الجنسية يدعى «جان فان ديرهوفين».. ثم إن هذه المنظمة قامت فافتتحت لها فروعا فى ٣٧ دولة فى اوروبا الغربية.. وأفريقيا.. وكندا.. واستراليا.. وقبل ذلك كله فى أمريكا طبعاً.

جاء تأسيس تلك المنظمة مباشرة وكأنه رد فعل لقيام ١٣ دولة أجنبية بنقل سفاراتها من القدس إلى تل أبيب.

اختصر مؤسس تلك «السفارة» ومديرها الأمر وأفصح عن أهدافها ونظرة مؤسسيها البروتستانت، وأعلنها صريحة واضحة.. ولكن عن وعى فقال:

« إننا صهاينة اكثر من الإسرائيلين أنفسهم، وإن القدس هى المدينة الوحيدة التى تحظى باهتمام الله وأن الله قد أعطى هذه الأرض لإسرائيل إلى الأبد..»

هذه هى نظرة المسيحية البروتستانتية إلى القدس وبكل وضوح..

من أبرز أنشطة «السفارة الدولية» ما يلى:

أ- احتفالات عيد العريش فى القدس:

حيث تحتفل السفارة منذ تأسيسها .. وسنويا بالعيد اليهودى المسمى «عيد العريش» فى مدينة القدس المحتلة.. ونجحت فعلا فى حشد عشرات الآلاف من المسيحيين فى جميع أنحاء العالم للمشاركة فى هذا العيد وتحويله إلى مهرجان عالمى عقائدى وتأييد مسيحى لإسرائيل وسياستها.

وفى تشرين الأول / اكتوبر ١٩٨٤م. أقامت «السفارة» احتفالات وكانت تحت عنوان: «القدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل».

ب- مؤتمر دولى للصهيونيين المسيحيين:

وهو مؤتمر عقدته «السفارة» فى نفس المكان الذى أنعقد فيه اول مؤتمر صهيونى دولى .. فى مدينة بال فى سويسرا - تم عقد هذا المؤتمر فى الفترة من ٢٧-٢٩ أغسطس ١٩٨٥م. ضم المؤتمر عدة قيادات من المنظمات اليهودية الرئيسية وبخاصة من الولايات المتحدة .. كما حضره أكاديميون إسرائيليون. وقد أصدر هذا المؤتمر أربعة عشر قراراً منها:

- دعوة مجلس الكنائس العالمى فى جنيف إلى الاعتراف «بالصلة التوراتية» التى تربط بين الشعب اليهودى وبين أرضه الموعودة.. وكذا بالبعد التوراتى والنبوئى لدولة إسرائيل.

يصلى أعضاء المؤتمر وينظرون بلهفة لليوم الذى تصبح فيه القدس مركزاً للاهتمام الإنسانى حينما تصير «مملكه الرب» حقيقه واقعة «ويقصد بذلك حركه إسرائيل الكبرى السياسية».

يتضح من قرارات ووثائق المؤتمر حرص قيادة «السفارة المسيحية الدولية» والحركة المسيحية الأصولية على إبراز اتجاهاتهم الصهيونية دون موارية.

لعل أوضح تقييم لنشاطات السفارة كان للمطران «إيليا خوري» مساعد مطران الأسقفية البروتستانتية فى القدس.. وعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقا.. والبطل الذى أبعدته سلطات الاحتلال الإسرائيلى عن رام الله عام ١٩٦٩م. حين قال فى مؤتمر صحفى عقده فى مدينة لندن فى أواخر نوفمبر ١٩٨٤م:-

«إن وراء قيام السفارة المسيحية الدولية مجموعة من المتطرفين المسيحيين المهووسين وبتشجيع واعتراف القيادة الصهيونية الإسرائيلية بدعاوى الحفاظ على صالح المسيحيين فى فلسطين .. وإننى أؤكد أن المسيحيين براء من هذه السفارة» .. وعلى رأسهم المسيحيون العرب .. إن دعم إسرائيل لهذه السفارة هو لمآرب سياسية..».

(٢) المائدة المستديرة الدينية:

أسست تلك المنظمة الدينية فى سبتمبر ١٩٧٩م- وقام بتأسيسها عدد من القيادات المسيحية الأصولية والسياسية.. ويتركز نشاط المنظمة فى عقد ندوات لتعليم المتدينيين المسيحيين أصول السياسة وقواعدها وأسرارها.. وقد ...سست تلك المنظمة فروعاً لها فى معظم أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية..
...ام ١٩٨٣م. أقامت مؤتمراً تحت عنوان «مائدة إفطار وصلاة من أجل ...» !!.. فى العاصمة الأمريكية.. وقد تضمن بيان المؤتمر :

«.. دعوة لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس.. إذ رأى البيان أن حدود الأرض المقدسة التى رسمها الكتاب المقدس لايمكن أن تغيرها رمال المقتضيات السياسية والاقتصادية المتحركة..»

ويشكل الحديث والبحث عن دعم إسرائيل وأمنها وعاصمتها الموحدة محور منشورات هذه المنظمة ومركز نشاطها.. وهى بالإضافة إلى ذلك تشارك فى تنظيم الرحلات والزيارات من الولايات المتحدة إلى إسرائيل.. وتقوم بإرسال البرقيات والرسائل إلى مراكز القرار السياسى.. ولمصلحة إسرائيل وتبنى وجهه نظرها.

(٣) مؤسسة جبل المعهد:

أما تلك المؤسسة فقد ر كزت هدفها المعلن.. ولم يكن سوى إنشاء المعبد على أنقاص المسجد الأقصى. يقع مقر هذه ا لمنظمة فى لوس أنجلوس فى ولاية كاليفورنيا.. وقد تفرع عنها عدة لجان ومنظمات ومعاهد لخدمة اهدافها.. منها على سبيل المثال.. المنتدى الأمريكى للتعاون المسيحى واليهودى.. وقد تفرعت عن تلك المؤسسة معهد باسم «معهد البحث عن المعبد فى القدس».. ومؤسسة كريفر ورايزنهوفر.. وقد تم تسجيله فى الولايات المتحدة كمؤسسة دينية معفاة من الضرائب!!.

كان من نشاط المؤسسة الملحوظ دورها فى مطلع ١٩٨٣م. حينما دافعت عن المعتقلين من المتطرفين الإسرائيليين الذين قاموا بأحراق وتخريب أجزاء من المسجد الاقصى فى ١٠ مارس ١٩٨٣م.

عندما أشارت هذه المؤسسة فى تقديرها الذاتى لذلك الحادث المجرم اعتبرت المجرمين السفلة «أنهم ابناء إسرائيل المخلصون» !!.

يشكل بناء المعبد اليهودى عند هذه المنظمة المسيحية واحدة من أخر الإشارات التى تسبق عودة المسيح الثانية لهداية اليهود!!.

وتتحدث الكاتبة الأمريكية غريس هالسيل عن الخطط اليهودية والمسيحية الأصولية لتدمير المسجد الأقصى وبناء المعبد والهيكل اليهودى.. فتقول:

«إن الزائر لمدينة القدس يسمع المتطرفين اليهود وهم يتحدثون بصراحة وعلانية عن خططهم لهدم المسجد- وبناء هيكل سليمان مكانه».

وتقول أيضا - على لسان عالم آثار أمريكى يعيش فى القدس اسمه غور دون فرانز- تقول:-

«يوجد مسيحيون متعصبون يشاركون اليهود القول بهدم المسجد الأقصى.. كما شكل الصهانية من المسيحيين واليهود مؤسسة هدفها بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى».

ليس هذا فحسب.. بل إن خطوات مؤسسة معبد القدس عملية بل وتسبق الواقع الفعلى فهى تقوم بتقديم المساعدات المالية لتدريب عدد من الكهنة اليهود على كيفية خدمة المعبد الذى سوف يتم بناؤه.

وهكذا.. يتضح وبصورة قاطعة أن للقدس العربية ومسألة بناء المعبد اليهودى موقعا خاصا بل وأساسيا ومميزاً فى رؤية هذه الجماعة الضاغطة اليهوديه - المسيحية الجانحة.

ألا يشكل كل ذلك ضمنا وحتما تهديداً لحرية عبادة المسلمين فى أماكنهم المقدسة؟!

ثم وعلام الحيطة والفلسفة.. فهل تنذر الاخبار بتهديد خطير للمسجد الأقصى .. اولى القبلتين .. وثالث الحرمين إن كنا نتذكر؟!

(٤) مؤتمر القيادة المسيحية الوطنية لأجل إسرائيل.

فى مطلع عام ١٩٨٠م التقت عدة جماعات ومنظمات وقيادات صهيونية غير يهوديه.. أى مسيحية .. وشكلت تحالفا من أجل إسرائيل.. ومملكتها الكبرى..

وقد أطلق على ذلك التحالف «القيادة المسيحية الوطنية لاجل إسرائيل».. واتخذت من مدينة نيويورك مقراً لها.

أسس هذا التجمع الصهيونى المسيحى فرانكلين ليتيل .. الأستاذ بجامعة يتمبل فى ولاية نيويورك وكان الهدف الوحيد لهذا التجمع الاهتمام ببناء وبقاء ودعم إسرائيل ورفاهيتها.

وفى يونيو جزيران ١٩٨٢م.. دعا المؤتمر للتظاهر دعما لإسرائيل فى غزوها للبنان!! وفى نوفمبر ١٩٨٢ عقد المؤتمر اجتماعا فى أحد المعابد اليهودية فى واشنطن العاصمة.. تحت شعار: «مواجهات المسيحية الأصولية والقيادة اليهودية» .. وحضرت هذا الاجتماع قيادات بروتسنانتية وايضا كاثوليكية. فى نهاية المؤتمر أصدر المتجمعون بيانا عبر عن آمالهم.

فى هذا البيان أيد المجتمعون إسرائيل .. والجماعة اليهودية الأمريكية .. كما أكدوا على الالتزام بأمن أسرائيل كما تنادوا بأن:

«كل الأراضى المقدسة هى ملك للشعب اليهودى.. وأن القدس هى العاصمة الموحدة الأبدية لإسرائيل التى لايجوز تدويلها أو أن تكون محلا للتفاوض أو الحلول الوسطى.. كما أن الشعب اليهودى فى أى مكان سيظل شعب الله المختار الذى يبارك الله من يباركه.. ويلعن من يلعنه!!...».

ليس هذا فحسب .. بل وبمناسبة مرور أربعين عاماً على نهاية الحرب العالمية الثانية أصدر مؤتمر القيادة المسيحية بيانا نشرته كأعلان فى جريدة نيويورك تايمز.. وقد أوضح البيان مناصرة المؤتمر لإسرائيل كقيمة ومعنى!!.. وطالب البيان كذلك بضروره التبرؤ من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاص بإعلان الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية.. بل لقد اعتبر المؤتمرون أن هذا القرار قد ولد شكوكاً جديه فى مدى التزام الأمم المتحدة

كهيئة عالمية بمبادئها التى أنشئت على أساسها.. وساهم فى فقدان الأمم المتحدة لمصداقيتها.. ومن ثم كان وصفهم وتقديرهم للقرار بأنه:

«فضيحه لابد من إزالتها من سجل الأمم المتحدة..»

وقع على هذا البيان المئات من الكنائس البروتستانتية.. والقيادات الوثيقة.

(٥) مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل:

تأسست هذه المنظمة فى يوليو ١٩٧٥م. وذلك بهدف تعزيز الموقف الصهيونى المسيحى.. تولى تأسيس هذه المنظمة القس الكاثوليكى الأصولى ديفيد لويس.. وكان الهدف الأساسى والمعلن لهذه المنظمة ينحصر فى دعم السياسات والأغراض الصهيونية ودعم إسرائيل.

تصدر هذه المنظمة مجلة ربع سنوية بعنوان «ساعى القدس ومختار النبوءة هذا بالإضافة إلى نشرة إخبارية شهرية.. وقد عكست هاتان النشرتان الفكر اللاهوتى الصهيونى المسيحى ،وتبدو غالبا كأنها نسخة من الإعلام الإسرائيلى وبيانات الحكومة الإسرائيلية.

يرى د. لويس زعيم هذه المنظمة أن الغزو الإسرائيلى للبنان فى عام ١٩٨٢م قد : «حرر شمال إسرائيل من التهديدات المستمرة لإرهاب منظمة التحرير الفلسطينية.. كما أنه قد خدم قضية تحرير الشعب اللبنانى- وحفظ العالم من احتلال سوفيتى للشرق الأوسط .. ومن كساد اقتصادى فى العالم الغربى.. ومن حرب عالميه ثالثة»..

وليس من داع لتناول منطقيه فكر تلك المنظمة .. حيث إن الأمر أوضح من أن يشار إليه.

(٦) المصرف المسيحى الأمريكى.. لأجل إسرائيل.

أسست هذه المنظمة وتديرها أيضا السيدة/ بوبى هروماس.. أما الغرض الأساسى والهدف الاول لتلك المنظمة فينحصر فى تكوين مظلة ووكالة لعدد من الحركات المسيحية الأصولية.. ويعمل كقناه لنقل الأموال الامريكية والمساعدات الوطنية مباشرة إلى إسرائيل.

بمعنى أخر فإن هدف المنظمة الاساسى خدمة سياسات التهويد والتوسع الإسرائيلية.. خاصة عن طريق شراء الأراضى العربية.. والمشاركة فى بناء المستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية.

يقول «تشارلز فشبين.. المدير التنفيذى السابق للصندوق القومى اليهودى فى منطقة وسط الاطلسى والذى أبعد عن الصندوق فى نهاية ١٩٨٢م وذلك فى رسالة وجهها إلى إحدى المنظمات العربية الأمريكية فى ديسمبر ١٩٨٤م.. يقول:

«إن هدف هذه المجموعة فى الوقت الحاضر هو جمع اكثر من مائة مليون دولار لبناء المستوطنات فى منطقة الجليل - وقد تم تزويد إسرائيل بالفعل بعشرات الملايين من الدولارات لتهويد الضفة الغربية تحقيقا للبنوءة التوراتية.»

ولايقتصر عمل هذه المجموعة على توريد الأموال إلى إسرائيل بل يتعداه إلى فرض التدريب العسكرى والتقنى المتقدم للإسرائيليين اليهود فى الولايات المتحدة.. ويتم ذلك بواسطة د. ليس هروماس الذى كان أحد كبار مؤسسى شركة «تى - أر- دبليو لصناعة الكمبيوتر» .

تفرعت من هذه المنظمة مجموعة أخرى اتخذت من ولاية كاليفورنيا مقرا لها تسمى نفسها «مع الحب».. وتتمتع هذه المنظمة بصلات واسعة مع أوساط هوليود وصناعة السينما الأمريكية.

وقد تم توريد ملايين الدولارات إلى إسرائيل.. وعن طريق عدة طرق .. من بينها السفارة الإسرائيلية فى واشنطن عاصمة الولايات المتحدة- وكذلك عن طريق السيدة هروماس نفسها والتى تملك منزلا فى القدس.. وأيضا من خلال «بنك التراث الدولى» وقد أسس ذلك البنك الصهيونى «دونالد وولب».. الرئيس الأسبق للمنظمة الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية.

(٧) منظمات وجماعات ضغط أخرى.

وهى منظمات عديدة متنوعة، قد يصعب حصرها.. وتتواجد على كافة مدن الولايات المتحدة وتختلف تلك المنظمات فى حجمها.. ومن حيث إمكانياتها ونفوذها.. الخ.

تظهر نشاطات هذه المنظمات والجماعات فى المواسم الاجتماعية أو السياسية أؤ الدينية اليهودية..

بينما تكرس جميعات أخرى جل نشاطها فى إلقاء محاضرات وعرض أفلام وشرائح تصديرية عن فلسطين المحتلة.. وتقوم جماعات أخرى بمظاهرات مساندة ومعضدة لإسرائيل مثل منظمة «تاف» «Tav».. والتى أخذت اسمها من الحروف الاخيره من ألف باء العبرية.

ينظر إلى هذه الجماعات على أنها منظمات ذات جذور شعبية.. تختلف فى أعدادها وفى تأثيرها من جماعة لأخرى لكنها جميعا تشترك فى هدف التأثير الشعبى والجماهيرى.. ومن ثم السياسى من أجل خلق وتعميق تعاطف شعبى لدعم إسرائيل وحركتها الصهيونيه.. اعتماداً على الخلفية الدينية.

يقدر عدد هذه المنظمات الصهيونية المسيحية بأكثر من ٢٥٠ منظمة.. وتركز جميعها على دعم إسرائيل.. «تنفيذاً» لرغبة الله!!».. كما تنظم الرحلات الجماعية إلى الأماكن المسيحية المقدسة فى القدس الشريف وغيرها.

من أمثلة هذه الجماعات .. «اللجنة المسيحية الأمريكية من أجل إسرائيل».. و«رابطة الصهيونية المسيحية لدعم إسرائيل».. وجماعات «ليلة لتكريم إسرائيل».. إضافة إلى رابطة الصداقة الإسرائيلية الأمريكية».. وأخرى مثل «وسطاء لأجل إسرائيل» وغيرها.

يشير برنامج المنظمة الأخيرة إلى ضرورة :«عقد ندوات ودورات تعليمية لأعضاء الكنائس وأقامة الصلوات المستمرة لمصلحة إسرائيل فى المدن الرئيسية وتنظيم الرحلات إلى إسرائيل.. ودعم بيت الأطفال التابع لمنظمة نساء بناي بريت.. أى أبناء العهد الصهيونية فى القدس.

من بين تلك المنظمات أيضا منظمة الكونجرس المسيحى الوطنى.. والذى أنشىء فى عام ١٩٨٠م.. وكان هدفها المعلن واضحا ومويدا للصهيونية..

«توحيد المسيحيين من الطوائف والمنظمات كافة من أجل أمن الوطن القومى اليهودى»..

وقد أعلن فى حفل إنشاء تلك المنظمة النائب الجمهورى عن نيويورك «جاك كيمب».. والذى أعلن أن إنشاء إسرائيل ١٩٤٨م هو أيضا تصديق للنبوءة التوراتية.

أهم ما يجب أن نستخلصه من كل تلك الإشارات أن صلح كامب ديفيد كان بحق منعطفا أساسيا فى شكل وطبيعه الصراع العربى- الصهيونى- كما أن هذا الصلح وما نشيأ عنه من اختلاف وعداوة بين الفضائل والبلدان الإسلامية كان مردوده على الجانب الآخر اليهودى هائلا بكل المقاييس.. وكان أيضا

مردوده على الجانب المسيحى الأصولى .. والبروتستانتى على وجه الخصوص حتى أن الدارس يجد أن معظم إن لم يكن جميع تلك المنظمات المسيحية المعضدة لإسرائيل قد قامت بعد صلح كامب ديفيد حيث تم تقنين نتائجها تبعا للادعاءات الصهيونية وقيام مملكه إسرائيل الكبرى- لشعب الله المختار.

كان لصلح كامب ديفيد مردوده أيضا على الجانب العربى حيث خلق قوة معارضة تزعمها العراق.. وسوريا.. ومن ثم جرى تناول العراق العربى من خلال حرب الخليج الأولى مع إيران..

وذلك حتى تخلو الساحة العربية والإسلامية من أيه قوة مؤثرة فى خطط الصهيونية تجاه المنطقة .. وخاصة القدس.

لكن أمام مؤازرة المسيحية للصهيونية .. كانت مواقف العرب مع العرب آية أخرى تحمل من الشواهد الوقائع ماشكك فى سياسات الدول العربية وتفهمها لطبيعة الصراع.. أو قد تشير إلى مدى أولوية وأهمية هؤلاء الحكام لكراسيهم عن القدس الجريح..

حرب الخليج..
والنفس

الأمر الذى لاشك فيه أن مواقف الدول تجاه بعضها البعض تحكمه أصول.. وتحركه سياسات..

وتحدده قوانين.. غير أن توالى المواقف يثبت زاوية الرؤية لكل طرف تجاه الآخر. ويشير إلى حقيقة النوايا.. ومقدار التقييم.. رغم تغير السياسات الدائم..

ومع أن الأمر من أوضح ما يمكن فى قضايا الشرق الأوسط.. فإنه أيضا من أعقده فالموقف الإسرائيلى.. والقوى العالمية المساندة له واضح ومعلن ومشهور.. وثابت أيضا إلى حد كبير. أما على الجانب العربى.. ورغم الدين الإسلامى المشترك.. والمصلحة المشتركة فإن الأمر له قالبه السياسى الذى عدد الفلسفات.. وأوجد الأيديولوجيات.. وخلق وجهات النظر المتعارضة.

تتضح ظواهر كل ذلك على أشد صورة فى المشرق العربى.. ومنطقة الشام والعراق على وجه الخصوص مع احترام ثقل السعودية ودول الخليج البترولية.

وإذا كان زعماء الغرب ومحترفو السياسة العالمية يعون تلك الحقائق.. ويتلاعبون على بلدان المنطقة لتلك المتناقضات المتشابكة فإنما يشير ذلك إلى

درجتهم العالية فى عالم السياسة الشائك لكن الأمر على الجانب العربى شهد نقائص وأخطاء لايمكن تقبلها بأى شكل.

أشار الرئيس الأمريكى الأسبق ريتسارد نيكسون إلى تلك التيارات العربية الشائكة والمتعارضة واللامنطقية فى كتابه «الفرصة السانحة».. فقال:

«إن التعامل مع العالم الإسلامى يشبه وضعه الشخص الذى فى حفرة ضيقة ومعه مجموعة من الثعابين السامة تحمل فى سمها أيديولوجيات متصارعة.. وقوميات متضاربة.

- حتى بين الأصوليين توجد صراعات حادة حول المبادىء.. تؤدى أحيانا إلى العنف».

الزاوية الأخرى والأخطر هى أن تحليل مواقف وأهداف القوى فى صراعاتها يجب أن يحدد وبكل دقة وحذر لتحديد طبيعة الصراع ومن ثم معالجته بالطريقة المناسبة.

وهنا يجب الاعتراف بأن نظرة الغرب المسيحى- والبروتستانتى خاصة تجاه مشكلة فلسطين منذ بدء طرحها كفكرة لايمكن أن تكون بهذا الثبات والوضوح.. والقوة والعنف على تسلسل الأحداث وطول العرض دون أن تكون لها جذورها العقائدية الإيمانية.. والأمر أيضا بالنسبة للعرب وعلى صورة أشد وضوحا وتاريخا وزمانا وواقعا.. لكن العرب لم يجرؤوا على رفع ذلك الأساس فى صراعهم الطويل.

وإذا كان التاريخ يوضح ذلك طوال سنوات الأزمة- فإنه من الملاحظ أيضا أن سياسة دول الغرب الرائدة حتى الآن تقره وتثبته موضحة مدى التزامها وإيمانها بمنهاجها تجاه فلسطين والقدس.

حتى رئيس الولايات المتحدة ريتشارد نيكسون يقر بذلك كله علانية فى كتابه الهام.. فيقول: «إن التزاماتنا نحو إسرائيل عميقة جداً.. فنحن لسنا

مجرد حلفاء ولكننا مرتبطون ببعضنا باكثر مما يعنيه الورق.. نحن مرتبطون معهم ارتباطا أخلاقيا– إن إسرائيل ليست مكسباً استراتيجيا للولايات المتحدة بخلاف الرأى السائد فى هذا الشأن.. ولكن التزاماتنا تجاهها ينبع من ميراث الحرب العالمية الثانية.. والتزامنا الأدبى .. والأيديولوجى»

هكذا.. وبمنتهى الصراحة والوضوح .. والعلانية.

هذا الأساس الأيديولوجى يفسر إلى حد كبير سياسات الدول ونفسياتها تجاه بعضها البعض. خاصة فى الأزمات ووقت الصراع.. وكان هذا الأساس يفرض على المسلمين منهاجا واضحا ملتزما تجاه فلسطين والقدس يشير بذاته وطبيعته إلى مدى إيمانهم واسلامهم واقتناعهم بحقهم على أقل تقدير.. حتى على اختلاف مذاهبهم.. وتنوع مدارسهم السياسية.

كان الخلل أوضح مايكون بعد زيارة السادات للقدس ومبادرته فى سنة ١٩٧٧م.

وكان واضحا من اتجاه الرئيس المصرى آنذاك أنه يرضى وعلى استعداد للحل المنفرد وتنفيض يده من عبء المشكلة.. وهو أقوى دوله عربية آنذاك.

استغل الغرب وإسرائيل الموقف بأقص مايمكن نفسيا وعصبيا .. وعملت على إنجاحه وتحقيقه دون الحد الأدنى من الخسائر والتنازلات .. لكن ذلك رغم أهميته لم يسقط خططها الأساسية تجاه إسرائيل والقدس لثقل ميراتها الأيديولوجى ومدى تمسكها به.. قدر ما عجل بتنفيذها.. وعمل على إخراجها.

.. فبعد التعامل مع الدور المصرى بما يخرجه على أرض الواقع من ذلك النزاع .. تحول الغرب إلى المشرق العربى بكل تناقضاته لكسره وإضعافه..

بعد كامب ديفيد .. كان مجال الحركة وساحة السياسة مركزة على المشرق العربى.

★★★

كان سقوط الشاه تحت وطأة الحركة الخمينية الشيعية الأصولية فى عام ١٩٧٩ يمثل فصلا من مخطط الغرب تجاه المشرق العربى المشهور بتناقضاته.. وكل ذلك داخل محور فلسطين والقدس!!

فالمدهش أن أمريكا والغرب رغم علاقاتهم الوثيقة بالشاة فإن كل مواقفهما كانت تشير إلى تأييد وتعضيد تلك الحركة الأصولية الشيعية.. فقد تم تأمينها على مراحلها فى تركيا ثم فرنسا.. رغم أن للغرب خبرته تجاه أمثال.. تلك الحركات مثل موقفها من حركة مصدق.. لكن حركه الخمينى وتوقيتها وطبيعة ومعتقدات قائدها كانت تشير إلى خدمتها لنظرة الغرب تجاه المشرق العربى بكل تناقضاته – وكل ثرواته البترولية خاصة... نجحت تلك الحركة – بعد عامين فقط من مبادرة السادات– أن تخلق نزاعا وتثير حربا.. وتقضى على البقية الباقية من قوة العرب.. وتعمل على استتباب الأمر بالنسبة للقدس وفلسطين بشكل جذرى وأساسى.

وهذا ما حدث تماما على أرض الواقع.

يؤكد ذلك موقف الغرب من ابنهم المدلل وعميلهم الأول شاه إيران بعد أن فر هارباً من سلطنته كما يشير ذلك الموقف لأخلاقيات ذلك الغرب.

وسرعان ما اشتعلت حرب الخليج الأولى كى تلتهم مابقى – وتفتت ماتبقى .. وكانت إدارة الصراع والتحكم فى موازنيه من قبل الغرب أمراً يشير إلى معرفتهم التامة بالتناقضات الأيديولوجية والدينية بين الأطراف المهيمنة والحاكمة فى المنطقة.

ويفسر ذلك أيضا كون تلك الحرب طويلة وقاسية.. ومهلكة للطرفين العراقى والإيرانى معاً.

أقر ريتشارد نيكسون بكل ذلك فى كتابه بكل صراحه ودون مواربة.. أو حتى سياسة.. لعلنا نتعلم!! فيقول:

«يعترض كثير من المراقبين على سياسة الولايات المتحدة أثناء حرب العراق.. إيران.. ويبدون اندهاشهم على مساعدتنا لكلا الطرفين طبقا لميزان المعركة.. وهم محقون فى هذا إلى حد ما فسياستنا كانت تهدف إلى ألا يحصل أحدهما على نصر نهائى.. وكانت سياسة حكومة الرئيس سليمة فى حفظ التوازن بين الجانبين.. لكن الخطأ الذى وقع هو بيع أسلحة للعراق تفوق احتياجاتها فى حربها مع إيران.. وقد جعل هذا من العراق قوة هجومية بعد انتهاء حربها مع إيران.. وكان الأجدر بنا المحافظة على التوازن .. خصوصاً مع مثل هذه الحكومات!!» رغم صراحة ووضوح الإقرار الأمريكى بدوره فى إشعال تلك الحرب وتخطيطه لها بما يتناسب مع رؤيته الذاتية لأهدافه فإنه من المتفق عليه أن من حق أى دولة أن تكون لها نظرتها وميزانها الذاتى تجاه مشاكلها الإقليمية.. ولاجدال أن للعراق الآن حقه فى أن يبحث عن مصادر قوته فى مواجهة عدو فى الشرق.. وأخر فى الغرب.. كما أن لإسرائيل نفس الحق الذى لاتعترض عليه أمريكا بل تؤديه وبكل قوة وتعلن التزامها به..

فلم التفاوت فى تلك النظرة السياسيه الأساسية إذا؟!.

هذا. ثم إن الأمر من وجهة نظر نيكسون لايمثل سوى رؤية أمريكية استراتيجية تجاه المنطقة.. وهذا من حق أمريكا.. ولاشك فى أن يرى أصحاب القضية ومحور الصراع وأطرافه الأمر من منظارهم وزاويتهم الخاصة والذاتية.

لكن أخطر ما فى الأمر حقا هو مدى وتقدير الغرب لتلك المتناقضات الإسلامية على الساحة الشرقية للوطن العربى.. ومدى قدرتهم على استغلالها.. الأمر الذى لم يكن للجناح الغربى للدول العربية أدنى تقدير له..

وهكذا.. ورغم انتصار العراق فى حرب الخليج الأولى.. وقيامه ببناء قوة عربية لها قدرها ووزنها آنذاك فقد كان تخطيط الغرب معداً وجاهزاً للقضاء على تلك القوة العربية الناشئة .. ولم يضع الغرب الفرصة.. ولم يهملوا عامل

الوقت.. فقد كان أهم عامل مساعد لتنفيذ خططهم الأيديولوجية تجاه المقدس وإسرائيل تعتمد على الضعف والتمزق العربى.

وهكذا.. وعقب حرب الخليج الأولى مباشرة تم محاربة العراق بترولياً.. مع الامتناع عن تأييده ماديا من قبل الكويت بصورة فعالة.. وأحس العراق أنه الهدف المنشود القريب.. ولم يتقبل أن يكون فريسة .. بل وآثر استراتيجية الهجوم على الدفاع السلبى .. وغزا العراق الكويت حتى تكون بيده ورقة ضغط يستطيع أن يضغط بشأنها ويطالب بحقوقه التى دفع ثمنها مئات المليارات.. وعشرات الآلاف من خيرة شبابه فى حماية الجناح الشرقى للأمة العربية كلها من البعثة الخمينية التى هددت بلدان الخليج والكويت والسعودية.. ولم يتعارض ذلك كله مع الأهداف الأمريكية تجاه المنطقة البترولية الثرية.. فإن ذلك كله أدعى لأمريكا أن تتدخل فى المنطقه وتهيمن على منابع النفط.. وتسرق أموال العرب جميعا.. وقبل ذلك كله تحطم قوه العرب البازغة فى العراق...

كل ذلك له زواياه السياسية والاقتصادية.. ويمس أيضا دون شك النظرة الأساسية لأمن إسرائيل والأمل فى إقامة مملكة إسرائيل الكبرى.

نستشهد على ذلك بإقرار وكلمات ريتشارد نيكسون نفسه.. فقد عبر عن آمال الغرب الامريكى فى إقرار الهيمنة على المنطقة– وتحقيق مخططاتها تجاهها.. وكان عنوان الكتاب «الفرصة السانحة» .. فقد قال فى معرض تعرضه للمنطقة العربية بكل صراحة وجهارة:

«إن اكثر ما يهمنا فى الشرق الأوسط هو البترول.. وإسرائيل: ولو إنهما لايسيران دائما فى إتجاه واحد.. فإلتزاماتنا نحو إسرائيل تجعلنا نتحمل مصاريف باهظة فى بترول الخليج»

أما عن نظرة أمريكا لبلدان الخليج والسعودية والكويت فيخطىء من يظن أنها علاقات خاصة قدر كونها علاقات مصلحة وبترول واقتصاد- بل كانت تلك الحرب وسيلة شرعية لاستنزاف تلك البلدان اقتصاديا مع هيمنة على نظام الإنتاج البترولى حسب الحظة التى تخدم الاقتصاد الأمريكى وفقط.. ولاشك وأنها أيضا على حساب بلدان الخليج البترولية.. اولها السعودية والكويت..

وهذه نظرة أمريكا للكويت.. الخاصة جدا!.. وعلى لسان رئيس جمهوريتها السابق.

«.. فرغم أنه لم يكن بيننا وبين الكويت أى التزام أو تعاطف إلا أننا قمنا بأكبر عمليه نقل جوى..»

كان كسر العراق إذاً امراً استراتيجيا ثابتا بالنسبة لأمريكا.. وزاد ذلك الأمر أهمية خروج مصر من ساحة النزاع الإسرائيلى.. ولم تبق سوى العراق- وسوريا.

واندلعت حرب الخليج الثانية بين القوات الغربية العالمية كلها.. والعراق الوحيد.. العربى الأصيل.

فى أثناء الحرب قام العراق بقصف إسرائيل بالصواريخ بعيدة المدى.. وألحق بها خسائر ملموسة.

لكن إسرائيل لم ترد على القصف العراقى!! ولم يكن ذلك عن عدم قدرة قدر كونه أمراً أساسياً لإخراج الأمر حسب ما ترتضيه السياسة الأمريكية خاصه لاشتراك أطراف عربية فى حربها للعراق.

كان جزاء إسرائيل على صبرها تجاه تلك الإهانة صواريخ باتريوت ومليارات عديدة ثمنا لسكوتها وتعويضا عن خسائرها..

فى أثناء الحرب والتى طالت لأكثر من شهر ونصف سقط الحكم الأثيوبى.. ولم يكن الأمر بعيداً عن الرصد الاستراتيجى الغربى.. بل وكانت الخطط جاهزة لنقل يهود أثيوبيا إلى إسرائيل الأمر الذى كان يستلزم بدوره عملا حقيقيا بين اليهود هناك.

وهكذا.. وفى أثناء الحرب كانت إسرائيل- بدورها- مركزة على هدفها الثابت من تجميع يهود الشتات.. والمدهش فى ذلك تعاون قوات طيران أمريكا فى تلك العملية الفريدة التى استدعت حتى تأخير الإعلان عن سقوط الحكم الشيوعى فى أثيوبيا فقط لإنجاح تلك العملية.

أطلق على تلك العملية اسم «عمليه النبى سليمان» .. وتم فيها نقل اكثر من عشرين ألفا من اليهود فى عشرين ساعة فقط حتى أن تلك العملية تعد وبحق من الخوارق.. رغم حالة الأمن الغير مستقرة فى أثيوبيا آنذاك.. ورغم الحرب المشتعله فى العراق.

يشير الاسم الحركى لتلك العملية إلى نفسية ورؤية أبطالها للأمر كله.. وتشير إلى دوافعة..

والأمر أوضح حتى من أن يشار إليه.

بعد تلك العملية وغيرها.. أكد الدكتور محمد الفرا الأمين العام المساعد لشئون فلسطين أن تلك العملية إنما تستهدف تأكيد التوسع الاستيطانى الإسرائيلى.. وسوف تؤدى حتما إلى خلل فى التوازن الديموجرافى حيث ستزيد نسبة السكان اليهود إلى ٧٢٪ عام ١٩٩٢م.. ثم سوف ترتفع عام ٢٠٠٠ م إلى نحو ٨٧,٤ ٪ (١).

---

(١) فى محادثات إسرائيل وسوريا حول الانسحاب من الجولان العربية فى أواخر عام ١٩٩٤م. طالبت إسرائيل بالاستفتاء الشعبى حول الانسحاب.. واعتمدت فى ذلك على ارتفاع نسبة المستوطنين اليهود فى الجولان.. نفس السياسة العملية وبتركيز أشد وأشد حول القدس الشريف.

كان ذلك كله تأكيداً لمنهاج إسرائيل المبدئى حول الأرض.. والانسان.

بل ولم تخرج سياسة إسرائيل عن ذلك المنهاج منذ نشأتها كفكره.. حتى الآن.

بعد عده أشهر فقط من حرب الخليج وما تلاها من سياسات.. وبينما الأراضى المقدسة فى القدس الشريف تستعد للاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام إذ بإسرائيل تقوم بالقبض التعسفى على حوالى اربعمائه فلسطينى من أعيان فلسطين العرب ووجهائها- ثم وبغطرسة واضحة وسفالة فجة تقوم بطردهم إلى العراء فى جنوب لبنان شمال المنطقة المحتلة..فى مشهد أخر فريد عبر رحلة العذاب الفلسطينى..

وأظلمت القدس والناصرة وبيت لحم مهد المسيح.. وقامت وسائل الإعلام العربية وحتى بعض العالمية بحملة شرسة لفضح تلك السياسة الفجة.. ولم تهتز شعرة من شعيرات إسرائيل.

كانت طبيعة الحوادث.. وأهدافها بعد حرب الخليج.. وتيارات الإعلام تشير إلى نوع من الخلل فى موازين القوى بين الأطراف العربية.. والإسرائيلية.

أما الاعلام فقد تغيرت لهجته فى مناولته لإسرائيل- وبدأت الأصوات العربية!! تتنادى بالصلح مع إسرائيل .. كما ترتفع بالعداوه. فى نفس الوقت - للأطراف العربية الأخرى.. مثل العراق.. وليبيا.. والسودان وغيرها.

وسرعان ما أعلنت التيارات السياسية العربية احتمالات الصلح مع إسرائيل.. وهيأت المواطنين لذلك إعلامياً.

★★★

المتتبع لتطورات الأحداث يلمح وبسهولة تعهدات وشعارات دولية قبل وأثناء

وبعد حرب الخليج بقرب حل المشكلة الفلسطينية.. وذلك بعد القضاء على قوة العراق الشقيق..

وبينما ركن الجانب العربى إلى الطمأنينة إلى تلك الوعود.. فإنه لم يبع .. أو لم يرد أن يعى.. ما تأثير الأحداث وضرب قوة العرب الباقية على طبيعة ذلك الحل.. وعلى مايخص القدس خاصة.

ولكن كان عليه ولابد من مواجهه الواقع نتيجة لذلك.

وهكذا.. بعد حرب الخليج الأخيرة رفعت أمريكا مبدأ إقرار السلام كضرورة أساسية فى الشرق الأوسط .. غير أنها لم تناد بفكرة «المؤتمر الدولى» كأساس لهذه التسوية.. ولم تتناد به رغم أنها رفعت ذلك الأساس مراراً قبل تلك الحرب!!.

وفى المقابل.. رفع العرب مبدأ «الأرض مقابل السلام» كأساس لتلك التسوية.

لكن إسرائيل رفعت فكرة :«المؤتمر الإقليمى» كأساس مقبول لتلك التسوية.

على أرض الواقع.. وبعد مداولات واجتماعات ومؤتمرات وأسفار – وافقت الأطراف العربية الرئيسية مصر وسوريا والسعودية على مبدأ المؤتمر الإقليمى!!

وهل تبقى للعرب بعد ضرب العراق.. وضياع ثرواتهم سوى الرضوخ للشروط الإسرائيلية؟!

تقوم فكرة المؤتمر الإقليمى على اساس الاجتماعات المنفردة بين كل من أطراف النزاع العرب مع إسرائيل.. ومناقشة المشاكل القطرية وحلها بوسائل

سياسية بعيدة عن أى تأثير لأية قوى شرعية أو عالمية أخرى لها شأن - بما فى ذلك الأمم المتحدة ذاتها.

من الواضح عقلا ومنطقا أن فكرة المؤتمر الإقليمى لاتستلزم ضرورة موافقة الأمم المتحدة.. ولاتستدعى الالتزام بقراراتها الدولية السابقة.. ولا قوانينها كأساس قانونى وشرعى لتسوية أزمة الشرق الأوسط.. وذلك الوضع يفسح المجال ضرورة للتنصل الإسرائيلى من قرارات الأمم المتحدة السابقة خاصة قراري ٢٤٢ ٣٣٨.

بمعنى أخر .. فإن ذلك كله يتضمن منطقا استبعاد مبدأ مبادلة الأرض بالسلام كأساس للتسوية المأمولة.. ليس ذلك فقط- بل إن الوضع اضحى يفرض قيام الحل على أثر مفاوضات مباشرة تجريها كل دولة عربية من دول الجوار مع إسرائيل على حدة - الأمر الذى ولابد أن يتأثر بموازين القوى والمصالح بين اسرائيل وكل دوله عربيه على حدة..

وقبلت امريكا ذلك المبدأ.. بعد أن تخلت عن مظلة الشرعية الدولية!! مع أنة هى التى رفعت بل وطوعت تلك الشرعية كمظلة لها لضرب العراق وإخراج دراما حرب الخليج الثانية!!

.. ولم يكن أمام العرب إلا الموافقة على المقترحات الإسرائيلية وشكل حل قضية الشرق الأوسط.

أشد ما فى تلك اللامعقولات أنها تشير ضمنا إلى مدى إيمان الأطراف العربيه ونظرتهم وتقييمهم لقضية القدس الشريق المغتصب.. والمسجد الأقصى الجريح.. وغيرها من المقدسات .. والأرض.. والإنسان.

كان لكل تلك الموازيين أثرها عند الطرف الإسرائيلى.. خاصة على المستوى الإنسانى والإيمانى الذاتى بصرف النظر عن صحته..

وهكذا قام الإسرائيليون الذين لمسوا ذلك الانكسار العربى بأبشع جريمة

فى القدس الشريف..حيث قام يهودى بفتح النار على المصلين داخل المسجد.. وهم يصلون فقتل اكثر من ٢١ شخصا مسلما مؤمنا داخل المسجد.. وشاركت القوات الإسرائيلية فى إطلاق النار عقب تلك المجزرة وما تلاها من فوضى فأصابت بدورها أكثر من مائة أخرين دون تمييز فى ساحة الأقصى الشريف ودون أى حساب لأيه ردود أفعال عربية.. أو حتى عالمية..

تمشى ذلك كله مع سياسة إسرائيلية ثابته تقوم على محورين أساسيين.. الأرض.. والإنسان. الأمر الذى بدت ظواهرة فى حركات للهجرة اليهودية وبشكل متصل.. وتوازى ذلك كله مع حركه هائلة وبعثه نشطة للغاية من أجل بناء المستوطنات فى كافة أنحاء الأراضى العربيه المحتلة.. كل ذلك أثناء إجراء المؤتمرات الإسرائيلية مع الأطراف العربية.

وبمرور الوقت .. وثبوت الأحداث .. ورد الفعل العربى الباهت تجاهها سرعان ما بدت المدن العربية مثل القدس.. والخليل ونابلس وبيت لحم وغيرها وكأنها جزر صغيرة وسط تيارات عارمة من المدن والمستوطنات اليهودية الجديدة.

واستمرت المفاوضات العربية..!!

فى يوليو ١٩٩١م.. أصدر وزراء خارجية مجموعة الدول الأوروبية نداء طالبوا فيه إسرائيل بتجميد عملية الاستيطان فى الأراضى المحتلة كبادرة حسن نية لانعقاد مؤتمر السلام للشرق الأوسط.

فى نفس الوقت.. ارتفعت نداءات عربية بإنهاء المقاطعة مع إسرائيل واستعدادها لذلك مقابل وقف موجات الاستيطان اليهودية!!

وكان رد الفعل الاسرائيلى متمثلا فى إعلان وزير الاسكان الإسرائيلى أريل شارون.. والذى أعلن فى صفاقة عجيبة عن بداية الأعمال الإنشائية لأكبر

مستوطنة إسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة أطلق عليها «أفن هافيتس» .. وتقع بالقرب من طولكرم بالضفة الغربية!!

وبعد بضعة أيام كان رد الفعل الأوروبى متمثلاً فى قبول إسرائيل كعضو كامل فى الهيئة الاقتصادية التابعة لأوروبا.. رغم انتمائها جغرافيا لآسيا!!.

أما على الساحة السياسية.. وتحت مؤتمرات إقليمية عديدة بين أطراف النزاع أشارت الأنباء إلى أن ميادين التفاوض تركزت حول اتفاقيات لتنظيم وتحديد السلاح «بالنسبة للطرف العربى» .. كما تناولت سبل تقسيم استخدامات المياه.. والعلاقات الاقتصادية والسياسية بين إسرائيل والدول العربية.. وكل تلك الميادين لن تخسر إسرائيل فيها شيئا.. بل سوف تكسب بالتأكيد .. كما أن المحور السياسى للحل تركز على إقامة مناطق «منزوعة السلاح» بالنسبة للأراضى العربية المتاخمة لإسرائيل ووفقا لنموذج سيناء ورغم استنزاف القوى العربية السياسية فى تلك المتهاهات.. فإن الأمر الواضح- منذ البداية- كان الموقف الإسرائيلى تجاه قضية القدس.. فهى معقدة.. لاينبغى إثارتها.. ويجب تأجيلها.

وقبل العرب كل ذلك.. وكل الشروط الإسرائيلية المتعنته.

فماذا كان بأيديهم بعد أن شاركوا هم انفسهم فى كارثه احرب لعراق وقوتة العربية!!؟.

أغرب وأعجب ما فى الأمر أن فترة ما بعد حرب الخليج وتداعياتها السياسية الخطيرة كشف عنها منذ عشرات السنين الصحفى الهندى د.ك. كرانجيا» .. وذلك عندما نشر وثيقة استراتيجية سرية لليهود نشرها تحت عنوان «الأقليات العربية» .. جاء فيها على لسان الباحثين اليهود:

«يجب من أجل تقويض الوحدة العربية وبذر الشقاق الدينى بين العرب

اتخاذ التدابير منذ بداية الحرب لإقامة «دول جديدة» على أرض البلاد العربية وهى: دوله درزية تشمل المنطقة الصحراوية وتدمر.. ودولة شعية تشمل قسماً من لبنان أى منطقه جبال عامل ونواحيها.. ودولة مارونية تشمل جبل لبنان حتى الحدود الشمالية الحالية للبنان.. ودولة علوية تشمل اللاذقية حتى المنطقة الممتدة إلى الحدود التركية- ودولة كردية فى شمال العراق.. ودوله قبطية بمصر أو مناطق ذات استغلال ذاتى للأقباط فى مصر.. هذا على أن توزع الأراضى العربية بما فيها المنطقة الصحراوية بين الدول الجديدة.. أما المناطق العربية التالية فتبقى على حالها: دمشق.. جنوب العراق- مصر.. المنطقه الوسطى والجنوبية من المملكة العربية السعودية »(١)

يرجع هذا الكشف لعشرين عاما.. أو حتى أكثر.

وأظهرت الأحداث والوقائع صدقها وبطريقة تدعو إلى الدهشة والغضب.

بعد حرب الخليج تم فصل المنطقة الشمالية الكردية.. وتم منحها حكما ذاتيا بالقوة الأمريكية والغربية.

أما جنوب العراق ذى الأغلبية الشيعية فقد تم تحديد حرية حركة القوات المسلحة العراقية والجوية خاصة.

أما منطقة جنوب لبنان المارونى فقد تم احتلاله من قبل إسرائيل وهو حتى تلك اللحظة تحت الحماية الإسرائيلية.

أما محاولات إثارة الفتنة القبطية فى مصر فقد كانت محدودة وتم مواجهتها بكل سياسة وحنكة حتى المملكة العربية السعودية فقد بدأت فيها شواهد قلاقل واضحه وملموسة بعد حرب الخليج... شرقا حيث البذور الشيعية.. وجنوبا حيث التململ الإسلامى الغاضب لكل ما يجرى.

---

(١) خنجر إسرائيل .. ر.ك. كرانجيا ص٧٦:٧٧

ذلك كله كفيل بإجهاد القوى العربية السياسية عند تحديد المواقف من القدس.. وزمانها قد اقترب ولاشك فيها.. الأمر الذى يتيح للقوى اليهودية.. والمسيحية الأصولية الفرصة لتنفيذ خططهم واستراتيجيتهم الواضحة والثابته تجاه القدس الشريف.. والمسجد الأقصى.

كان من أفضل من حلل تلك الحقائق والوقائع الملموسة- والواضحة.. الكاتب المصرى السياسى والعالمى محمد حسنين هيكل عندما ذكر فى كتابه الأخير:

«إن طبيعة التحدى الإسرائيلى الذى يواجهه العرب وهو تحد لايستطيع ببنيانه الداخلى فكراً أو عملا أن يقبل منطق التسوية.. فهو بالدرجة الأولى عقيدة دينية.. والعقيدة لاتستطيع أن تقبل حلا وسطا.. لأن العقيدة تقوم على الايمان وليس هناك نصف إيمان.. ثم إنه فى جوهره مشروع استيطانى.. وأى مشروع استيطانى لايملك إلا إنكار الآخر.. وإلا.. فإنه ينكر نفسه» (١).

وهذا كله حق.

وهو على أشده بالنسبه للقدس.

رغم حالة الأمة العربية التى وصلت إليها عقب الحرب الخليجية الأخيرة من عرى كامل .. وتشتت وعداوة.. وأزمات نفسية وسياسية من الصعب علاجها على المدى القصير.

والمدهش أن المحور الوحيد الذى يمكن أن يدور عليه علاج كل ذلك التدهور هو الأيديولوجية الإسلامية.. فهل يفسر ذلك ضرورة الوضع العدائى تجاه الجماعات الاسلامية العربية السياسية؟!

الحقيقة التى يجب الاعتراف بها أن الطرف الإسرائيلى.. وهو دائما

(١) حرب الخليج.. أوهام القوة والنصر.. محمد حسنين هيكل ص٦٣

ديناميكي ونشط أشار إلى ذلك التوازن.. ووضع له احتمالاته.. وقد أشار إلى ذلك الرئيس الصهيوني حاييم هيرتزوج في خطابه في فبراير ١٩٩٢م. أمام البرلمان الأوروبي في سترا سبورج.. فقال ما معناه:

«.. وتعتقد اسرائيل أن دخول الإسلام- بعد تراجع القومية- إلى ساحة المقاومة ضد اسرائيل أن معركتها أي إسرائيل في العالم العربي تبدأ من جديد.. وأنها ستكون معركة شرسة لأن المنطلق الديني الذي إليه دعواها سوف يصطدم بمنطق إسلامي في مواجهته.. وهو رد من نفس نوع التحدي .. وقد تكون المعركة معه أكثر عنفاً.. وأطول وأعقد.!!»

انتهى الرئيس الصهيوني-

فهل يفسر ذلك مواجهة التيارات الإسلامية في المنطقة العربية؟!.

ومع ذلك كله فإن الموقف من القدس الشريف يفصل في الأمركله.

فمهما بلغت إمكانيات الإعلام الموجه وقدرته وتأثيره والذي يستهدف النفسية والعقلية الإسلامية العربية في المرحلة التي نعبرها فلن يستطيع بأي حال تأويل الواقع الفعلي والسياسي للقدس المحتلة أمام موقعها الديني من نفوس المسلمين.. مهما طالت سنون اللعبة الدبلوماسية .. الأمر الذي يلعب عليه الطرف الإسرائيلي .. والأصولي المسيحي.

في كتاب المدينة الممزقة «لبغنستي» يقول الرجل:

«إن القدس ستبقى كلها في الدولة اليهودية.. وذلك إما باتفاق سلام يعترف فيه العرب بسيادة إسرائيل على القدس كلها.. وإما.. بالاعتماد على مرور الزمن».

فماذا سيقول السياسيون العرب مقابل ذلك؟

وما موقف المسلمون؟

سؤال إجابته في المستقبل القريب.. الملموس.

الحكم الذاتي..
التقييم والهدف

كانت كامب ديفيد .. ثم حرب الخليج الأخيرة كتيارات ريح عاصفة قذفت بورق التوت الهش فظهرت عورات الأمة العربية المسلمة.. ثم كان للموقف أثره الذى كشف بدوره عن نفسيات وشخصيات اخفتها لفترة هالات رقيقة ناعمة.

كانت تداعيات الخليج وحربه ملموسة قريبة وسهل توقعها.. رغم آلامها وآثارها العميقة.

وكان للإعلام الطاغى لتلك الحرب وبعدها أثره فى محاولة فلسفة ما سيتأتى من كل ذلك.. رغم أن التداعيات كانت أقرب إلى الشعور واللمس منها إلى قوى العين والإبصار.

تسارعت آلات الإعلام القوية بالتأكيد على قرب حل مشكلة فلسطين.. وبدء طوفان مواز من حالة الاستسلام المؤمل بالسلام.. والتبشير بحياة سعيدة وسلام وافر.. ونبذ الخلافات .. الخ.

كان كل ذلك من دواعى ولزوم ضرب العراق البطل الشقيق.. وقوة العرب

الوحيدة الباقية-

والذى أثر تحمل التبعة وبناء قوة عسكرية عربية لتوازن قوى الجيران النهمة.. رغم .. رغم أنه كان مؤهلا بثرواته الطبيعية وبتروله وأرضه الجميلة أن يضحى من أغنى دول المنطقة إن لم يكن أغناها على الإطلاق.

الغريب أن العراق البطل.. بطبيعته السكانية الخاصة.. وتعدد عقائده بشكل فريد.. وتركيبته الشاذة اختار ذلك العبء وتحمل مسئوليتة الأمر الذى يشير إلى مثالية قيادته.. ومدى إيمانها ووطبيعتها والجميل أن ينجحوا فى ذلك حتى كانت حرب الخليج الأخيرة الغادرة.. حتى كان الزلزال الذى أسقط وعرى.. وألهب وأفنى كل الجانب العربى.. وكاد يمس مقدساته.

تشير الأحداث فيما تشير إلى خلل سياسى.. وتدنى فى أبسط قوانين السياسية والعلم.. والاقتصاد وحتى الدين.. كما تشير ايضا فيما تشير - إلى جاهلية وقبائلية مازالت لها كلمتها قبل كلمة الدين أو العلم- والأعجب أنها ماتزال السائدة والمهيمنة.

بعد تلك الحرب التى تمناها العرب!!.. توالت الكوارث والمتغيرات والحروب على المنطقه وبشكل مكثف وفريد.. بل لقد لمست خاصة كل مواطن الإسلام فى العالم كله. خاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتى.. وأصبح العالم العربى والإسلامى فى حالة استباحة كاملة فى ظل قانون القوة الواحدة المهيمنه التى أزرها الجميع.. وصفق لها العديد..

حتى القيادات أصبحت ميدانا مكشوفا للإهانه والاستخفاف علنا وبشكل وطريقه يلمسها ويقرأها بسهولة كل من له أدنى دراية بأداب الدبلوماسية الدولية.

بعد فترة أضحى العالم العربى فى حالة مزرية من التشرذم والتقوقع والإقليمية.. ثم أضحت الحساسية بين البلدان الشقيقة عاملا يحسب حسابه

على احتمالات المستقبل .. المجهول.

هل يمكن تحت أى منطق تقبل الحالة التى يجسمها الإعلام ويضخمها بين الشقيقتين مصر والسودان؟ والقارىء أول من يعلم ما بين الشعبين من أواصر وعلاقات محبة وأخوه لاتنقصم؟!.

فى ذلك الجو الملبد والمظلم .. جرى الإجهاز إعلاميا على البقية الباقية من قضية القدس.. رغم أهميتها ومحوريتها.

★★★

فى ظل الخلل العسكرى والاستراتيجى.. ورغم تحذير القيادة السورية من انتهاج دول الجوار العربية لإسرائيل مسالك فردية جرى الاتفاق الفلسطينى الإسرائيلى على منح الحكم الذاتى للفلسطينيين فى غزة .. وأريحا .. مع وعد بدراسة نفس الأمر بالنسبة لما تبقى من الضفة الغربية!!

وبدراسة بسيطة لبنود الاتفاقية المعلنة يتضح أن الأمر فى مجمله لا يعدو فى حقيقته سوى سلطة فلسطينية على الفلسطينين وفيما يختص بعدة نشاطات إنسانية محدودة مثل الأمن الداخلى. والتعليم والصحة وغيرها.. هذا مع بقاء واستمرار المستعمرات اليهودية تحت الحماية اليهودية.. أما الوعد بالاستقلال التام كدولة ذات كيان فلا يعدو سوى أمل عربى لم يتم التعهد ولا حتى الوعد به أصلاً.

وهكذا.. فإن حماية الأرض وأمن المستوطنات.. وحماية الإنسان اليهودى باقيتان وبشكل اساسى تحت الحماية الإسرائيلية فهما يمثلان ـ كما اتفقنا ـ الأهمية الاستراتيجية والهدف من التحرك الإسرائيلى.

من زاوية أخرى فإن اختيار إسرائيل لمنظمة التحرير الفلسطينية بالذات كممثل لشعب فلسطين فى تطبيق اتفاق غزة- اريحا جعل مسيرة النضال الفلسطينى تمر بأخطر منعطفاتها على الإطلاق.. حيث أجبرت إسرائيل

منظمة التحرير على أن تضع على أرض الواقع كل تاريخها ومعاركها ومبادئها وحتى زعاماتها بين شعاب غزة وأريحا.. وبين فكى رحى. إسرائيل من ناحية- ومنظمة حماس الإسلامية من ناحية أخرى. هذا رغم أن إسرائيل هى من خلقت منظمة حماس كمنافس لمنظمه التحرير- وذلك الاختيار اليهودى جدير بثورة حماس ضد إسرائيل ومنظمة التحرير .. وهو ما ترمى إليه إسرائيل.

حدث ذلك تحت مظلة النظام الدولى الجديد الأمريكى الأوحد.. وشعار تحقيق السلام فى الشرق الأوسط.

عندما قبلت منظمة التحرير بذلك الوضع الفريد فإنها فى الواقع تكون قد أفرغت ثورتها من مضامينها وأهدافها.. فقوات تلك الثورة الوطنية أضحت هى المسئولة عن أمن المستوطنات اليهودية والمستوطنين الصهانية.. وإلا..

كما أن تلك المسئوليات الملقاة على عاتق قادة المنظمة من السهولة بمكان بالنسبة لإسرائيل إجهاضها وإقامة العقبات أمامها.. وتوضيح مدى فعاليه تلك القيادة الفلسطينية فى تولى مثل هذه المهام.

وقد تم تناول ذلك كله إعلاميا على المستوى العالمى.. خاصة بعد أن أضحت فعاليات الحياة اليومية فى غزة وأريحا من الصعوبة بالنسبة لما ألفته تلك المناطق أثناء فترة الاحتلال اليهودى.

أدى هذا الوضع إلى نوع من المواجهه الفلسطينية- الفلسطينية وبشكل مباشر وكأنه قدر مقدور.. فهناك شرائح من الفلسطينيين تخشى من أن يصبح اتفاق غزة - أريحا أمراً نهائيا.. لامكاسب بعده.. وليس أولا هناك بعده.. وهناك شرائح أخرى أضحت ترى أن مواجهة المستوطنين واستمرار المقاومة رمزاً لن تسقطه طالما استمرت القدس تحت السيطرة اليهودية.

وهناك شرائح ترى أن مواجهه المستوطنين وضرب المستوطنات أصبح امراً

أسهل من ذى قبل .غير أن المواجهة فى هذه الحالة سوف تكون مع المستوطنين وحرس المستوطنات.. وأيضا مع قوات الأمن الفلسطينية بصورة مباشرة..

والأحداث الجارية أوضحت تلك التيارات مع خصائصها..

كل ذلك وضع القيادة الفلسطينيه فى أكثر مواقفها وأوقاتها ومراحلها حرجاً.. وفى موقف بات يهدد القناعات الثورية الفلسطينية بصوابها فى حركتها التاريخية .. تلك التى رفعها القادة الفلسطنيون أنفسهم!! .

من الطبيعى أن توجه القوى الإسرائيلية الأحداث والسياسات طالما أضحت القوى الفلسطينية على تلك الحالة من التناقض والتشرذم هى الأخرى.

وتبقى القوى الإسرائيلية على ارض الواقع هى الوحيدة القادرة على توجيه وتشكيل وإخراج سياستها تجاه الأرض الفلسطينية المحتلة- والإنسان.

يتم كل ذلك تحت غطاء الشرعية الدولية الجديدة.. ولها قوانينها الخاصة الأيديولوجيه والأصولية المسيحية وبها تحكم بين القوى الفلسطينية.. وقوى الاحتلال الإسرائيلى.

من زاوية أخرى.. فإن ما حدث وأدى إلى ذلك الموقف الصعب هو أن موافقة القيادة الفلسطينية على انتهاج الخط السياسى فيما يختص باتفاق غزة- أريحا قد حدث على اساس ما يمكن أن يقدمه للشعب الفلسطينى المحتل.. والذى أضحى وحيداً.. ولم يجد أحدا بجواره خاصة بعد كارثة الخليج الأخيره.. وموقف المنظمة الفلسطينية المشرف من تلك الحرب.

وهكذا.. وعلى أيه حال.. فقد قبلت منظمة التحرير بالفتات.. بعد أن لفظتها القوى العربية المسلمة. فأشارت إليها إسرائيل.. فأقبلت..!!

ذلك الموقف الفلسطينى له أيضا ما يبرره حيث إنه قد انطلق على أرض الواقع، وكان يمثل للقوى الفلسطينية مخرجاً من مأزق شديد- وكان من الجهالة والسخف أن يرفض ويعارض ما يجرى على أرض الواقع بكل مخازيه.. خاصة أن ذلك الاتفاق يمثل .. ولو ظاهراً .. انحساراً إسرائيليا بشكل ما عن اراضٍ فلسطينية فى الوجود.. والشعب الفلسطينى فى أرضه.

بصيغه أخرى تمثل نوعا من التفاعل الإيجابى مع القوة اليهودية المهيمنة.

وسط تلك الدوامات العاصفة والتى تحتاج فعلا لربان ماهر وقائد متمرس جرى تشكيل المنطقه من جانب القوى المهيمنة - مع الفلسطنيين فقط.

ووقف العرب ينظرون إليهم بقلوب متعاطفة .. وايد خاوية.

لكن.. أين القدس وسط تلك الدوامات؟!

★★★

فى بنود اتفاق غزة - أريحا اتفق الطرفان على تأجيل مناقشة مسأله القدس الشرقية حتى عام ١٩٩٦م بين الفلسطينيين- واليهود فقط.

وعندما أعلن عرفات فى إبريل ١٩٩٤م أنه ولابد من اعادة الدولة الفلسطينية وعاصمتهعا القدس الشرقية.. ثارت إسرائيل وزمجرت وأعلنت أن ذلك النداء وتلك الدعاوى تخالف بنود الاتفاق المعلن.. كان الرد السياسى الإسرائيلى واقعة تمثل وتشير إلى قدرة الطرف اليهودى فى اللعب على المتناقضات العربية.. ففى يوليو من نفس العام التقى رابين بالملك حسين ملك المملكة الاردنية فى واشنطن فقدم له اسكتشات ترميم قبة الصخرة.. ثم دعاه إلى زيارة القدس الشرقية.. فاعلن الملك حسين من جانبه أنه يقبل الدعوة.. لكنه سيزور القدس الشرقية زيارة خاصة وليست رسمية.

فى نفس الوقت وبعد أن تمت فى إسرائيل دراسة التيارات السياسية والإعلامية فى البلدان العربية أعلن الكنيست الإسرائيلى وقرر مشروع قرار يخطر على منظمة التحرير الفلسطينية ممارسة أى نشاط سياسى أو إعلامى فى مدينه القدس.. كما أنه ناقش مشروع قانون بعقوبات تصل إلى السجن لمدة عام مع فرض غرامة تصل إلى مائة ألف شيكل على كل من يخرق هذا القانون.

ليس هذا فحسب.. بل وعلى دعوه الحسين لزيارة القدس.. فقد رفضوا وسوفوا فى طلب زيارة عرفات لها..

كان نتيجة ذلك كله بذر الخلاف بين الأردن.. والفلسطينيين حول الأهلية للإشراف على المسجد الأقصى.

هذا إذا رجع أصلاً..

الغريب أن تمتد تلك الفتنة حتى تطول أفراداً أخرى فى المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية أيضا – خاصة أن العاهل المغربى يترأس «اللجنة الإسلامية لشئون القدس» والتى أنشأتها منظمة المؤتمر الإسلامى لمواجهة المخططات الإسرائيلية لتهويد القدس.. وتدمير المسجد الأقصى.. أما المملكة العربية السعودية فقد نشأ موقفها من منطلق رعايتها للمنظمة الإسلامية.

وهكذا نجحت إسرائيل وبسهوله فى دق إسفين أدى إلى خلافات عربية – عربية بشأن القدس فى وقت يحتاج فيه القدس ذاته إلى موقف عربى وإسلامى موحد بعد أن أضحى مهدداً فى طبيعته بشكل واضح وملموس.

حتى تتضح الخيوط أكثر وأكثر.. ترددت بعض التقارير فى ديسمبر ١٩٩٣م تشير إلى أن الحكومة الإسرائيلية بدأت مفاوضات سرية حول القدس مع ممثلين لمنظمة التحرير الفلسطينية.. وأشارت هذه التقارير إلى أن «برسى

بلينى» الرجل الثانى فى الخارجية الإسرائيلية لديه أكثر من سيناريو فيما يختص بمستقبل مدينه القدس.. من هذه السيناريوهات التفاوض مع الأردن حول القدس فى نفس الوقت كما مع منظمة التحرير الفلسطينية!!

الواضح إذا أن اسرائيل تتبع سياسة فرق تسد.. كما تحاول إظهار وتعرية الخلل والتعارض فى ا لنظرة لما يخص القدس بين الاطراف العربية المعنية – وترمى إلى إشعال نوع من الصراع والخلاف بين العرب– ولو نظريا أو سياسيا– حول القدس.

أما مصر.. فقد أعلنت رأيها على لسان د. أسامة الباز وكيل أول وزارة الخارجية ومدير مكتب الرئيس للشئون السياسية فقد أوضح فى اجتماع مع طلاب وأساتذه جامعه القاهرة أن مصر «لا تنفرد بتصور محدد لمشكلة القدس الشرقية!!».. واستراحت (١)!!.

أما على الجانب الشعبى الإسرائيلى فقد أوضحت حادثه نظرة الصهانية وتقديرهم لكل ما يجرى .. وهكذا.. وفى رمضان والمسلمون فى صيام يتعبدون ويصلون بالحرم الإبراهيمى المقدس.. والمدنس.. وفى ١٩٩٤/٢/٢٥م. قام مستوطن إسرائيلى بمذبحه رهيبة حيث أطلق النار على المصلين.. الركع السجود.. فاردى أكثر من ٣٠ قتيلا.. وأكثر من مائة جريح.. ومن المنطق أن تعلن إسرائيل أن ذلك القاتل قد تصرف بمفرده.. غير أن ذلك الحرم الإبراهيمى المقدس قد تم قفله ومنعت الصلاة فيه منذ تلك الحادثه حتى تم فتحه فى أوئل شهر نوفمبر بعد أن تم تقسيمه بين المسلمين واليهود .. وتم الفصل بينهما.

فما بالنا برد الفعل الصهيونى تجاه ادعاءات الصهانية فيما يخص بيت المقدس.. وحائط المبكى.. وأحلامهم فى بناء الهيكل .. الخ.

---

(١) ويفصل القرآن الكريم فى الأمر كله.. ويلزم.. فى قوله عز وجل:
«إن أولى الناس بإبراهيم للذين أتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولىّ المؤمنين.» . آل عمران ص٦٨ .

حدث ذلك مع أن الصهانية كانوا قد أصدروا قرارهم بضم القدس الشرقية إلى الغربية اليهودية بعد الاحتلال الصهيونى لها عام ١٩٦٧م. مباشرة.

كما أصدر الكنيست قانونه عام ١٩٨٠م.. والخاص بجعل القدس الموحدة عاصمة أبدية لدوله إسرائيل. نعم.. ظهرت نوايا إسرائيل تجاه القدس العربيه منذ لحظات الاحتلال الاولى.. بل ولم تقدم تفسيرا لسياستها تجاه القدس حيث إن الأمر كله يحدده أيديولوجيه خاصة وتطلعات فكرية ذاتية ونظرة أيديولوجية مستقبلية.. ومن ثم فقد دارت عجله تهويد القدس الشرقية على قدم وساق منذ لحظة احتلالها.. واستمرت تلك الجهود رغم انشغال إسرائيل بعد ذلك فى حروب الاستنزاف ثم حرب ١٩٧٣.. وما تبعها من أحداث لم تتوقف حيث توقف الجانب العربى.. المسلم!!.

كانت مساحة القدس الشرقية حسب الدراسات الفلسطينية حوالى ٧٣ ألف دونم.. فصادرت إسرائيل منها حتى الآن أكثر من ٢٩ ألف دونم.. وقامت إسرائيل بانشاء أحياء سكنية إضافة إلى ثمانية مستعمرات على أنقاض ما هدمته من أحياء وقرى مجاورة.

وتذكر الحقائق الطبيعية والجغرافية أن إسرائيل قد طوقت القدس فعلا بقلاع من الأبنية الخرسانية السكنية.. وأيضا الصناعية والعسكرية.. وقد حصرت العرب فعلا فى مناطق ضيقه ومحددة.. هذا مع استمرار سياستهم فى تهديدهم الأمنى والتضييق على العرب المسلمين فى مصادر الزرق وسبل الحياة.

ضمت هذه الأحياء منطقتين صناعيتين- ومنطقة عسكرية.. ورابعة جامعية- هذا بالإضافه إلى أربعة عشر وحدة سكنية من بينها حائط البراق أو حائط المبكى كما يسميه اليهود ويدعون- هذا بالإضافة إلى وحده أخرى داخل سور المدينه فوق أنقاض أربعه أحياء عربية أعدت لتأوى خمسة آلاف مستوطن

يهودى بدلا من ستة آلاف مواطن عربى وهى أحياء: أشكول.. وراسات هارانج يهودى.. وعناتوت.. والنبى يعقوب- وجيار.. وراموت.. ويتم حاليا طبقا لمشروع تهويد القدس خطوة خطوة والذى بدأه عمدة القدس السابق تيدى كوايك قبل عشرين سنه ونيف.. يتم حاليا بناء ٤٠ ألف مسكن جديد لعائلات يهودية من خلال ٢٢ نقطة استيطانية جديدة تنتهى خلال الأعوام الست القادمة.

وقد استطاعت إسرائيل وبالفعل وبفضل سياستها الثابتة أن تغير من الميزان السكانى للقدس الشرقية العربية الإسلامية ولصالح اليهود.. فقد وصل عددهم أكثر من ١٥٢ ألف نسمة.. بينما وصل سكان المنطقة العرب الفلسطينيين إلى ١٥٠ ألف نسمة فقط..

هذا .. بينما كان اليهود يمثلون ٢٥٪ فقط من نسبه السكان عام ١٩٦٧م.

ليس هذا فحسب- بل لقد هدمت إسرائيل مسجدين فى القدس.. وأزالت قرية بأكملها فى منطقة اللطروف .. بل لقد أصبح على معظم المسلمين إذا أرادوا الصلاة فى المسجد الأقصى.. أو قبة الصخرة فلابد وأن يمروا عبر الأحياء اليهوديه المكتظة – ويتعرضوا من ثم لشتى أنواع المضايقات والأذى.. ومن الطبيعى تعرض العرب لشتى أنواع ودرجات الترهيب والترغيب.. والتى وصلت إلى مرحلة التهديد بالقتل وذلك من أجل تملك وشراء أراضى العرب.. هذا كما أن أخبار مصادرة الأراضى والأملاك العربية لاتتوقف.

وهكذا.. أصبح حاليا هناك طوق من المستعمرات والاملاك اليهودية تطوق منطقة الحرم المقدس خاصة- والطوق الثانى يطوق الأحياء العربية فى القدس الشرقية- أما الطوق الثالث فيطوق القوى العربية المحيطة بمدينة القدس ذاتها..

توازى ذلك كله مع جهود يهودية حثيثة لفض وأخلاء منطقة القدس الشرقية من الخدمات الإنسانية والاجتماعية الاساسية للعرب.. فقد تم نقل مقر محكمة الاستئناف العليا من القدس إلى رام الله.. وتم إدماج محاكم البلدية والصلح فى القدس بالمحاكم الإسرائيلية المماثلة بالقدس الغربية المحتلة منذ عام ١٩٤٨م.. كما تم فصل نظام القضاء النظامى لمنطقة القدس عن شئون الضفة الغربية.

حتى من الزاوية التعليمية فقد أخضع التعليم الحكومى التابع للإدارت قبل الاحتلال إلى الحكومة الإسرائيلية. ومن ثم نفهم معنى إلغاء برامج التعليم السابقة العربية بعد إشراف إسرائيل على المدارس الأهلية .

غير أن أخطر ملامح مشروع التهويد تتمثل فى محاولات مستمرة لتدمير الآثار الإسلامية بالقدس (١)..

ومن ثم يمكن تفهم منطلق محاولة إحراق المسجد الأقصى.. كما هدمت القوات الإسرائيلية حى المغاربة.. ومسجد البراق.. واغتصبت أحد أبواب المسجد الأقصى بحجة إقامة مركزا للشرطة.. كما أباحت لليهود الصلاة داخل الحرم المقدس ..

لم يسلم من هذا المخطط حتى الآثار المسيحية.. فقد مارس اليهود نفس الاستراتيجية تجاه مسيحيى القدس.. فأحاطوهم بالضغوط من أجل أن يتنازلوا عن أوقافهم وأراضيهم.. فتعرضت كنيسة القيامة إلى سرقه تاج السيدة العذراء.. كما تم تحطيم قناديل الزيت والشموع ومحاولة سرقة إكليل مرصع بالماس قرب صليب الجلجلة.. كما هدموا كنيسة القديس حنا.. وأقام اليهود مركز الكتاب المقدس على جبل الزيتون.

---

(١) وذلك تنفيذا لتعليمات أبو الصهيونية هرتزل- والتى تنص على أنه:«إذا حصل يوما على القدس فسوف يزيل كل ما هو ليس مقدساً لدى اليهود فيها.. وسوف يحرق الآثار التى مرت عليها قرون»

ليس هذا فحسب.. بل وحتى يجبر الإسرائيليون العرب على التعامل مع اليهود صادر اليهود المستشفى العربى.. كما أغلقوا مكاتب الخدمات الصحية.. وبنك الدم.. وغير ذلك ومثله.

هكذا.. ويتعرض سكان القدس وضواحيها - خاصة - لعقوبات جماعية مقصودة مثل الطرد من المدينة.. وإغلاق محال التجار.. والإرهاب والبطش وغيرها.

أما بالنسبة للمسجد الأقصى كهدف أساسى ومحورى .. فرغم أن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد أصدرت قراراً فى الرابع من يوليو ١٩٦٧م ينص على رفض أى تغيير فى وضع القدس.. إلا أن ما حدث قد حدث ومازال تحت سمع وبصر وحتى موافقة العالم المسيحى كله!!

قام الصهانية بحفرياتهم الأثرية منذ احتلال القدس.. وكانت بداية بمحاذاة الحائطين الجنوبى والغربى من المسجد الاقصى.. وفى الأحياء القديمة.. وصلت تلك الحفريات إلى عمق ٢٢ مترا أسفل المبانى الوقفية.. وإلى عمق أكثر من عشرة أمتار وعرض ستة أمتار وأكثر .. الأمر الذى أدى إلى تصدع الزاوية القريبة من المسجد.. وهو مقر مفتى «الشافعية».

وفى ٢٧ يوليو ١٩٧٠م أعلن وزير الأديان الصهيونى وفى حديث صحفى أن وزارته «.. تسعى بواسطة الحفريات للكشف عن حائط المبكى بهدف إعادة هذه الدرة الثمينة إلى سابق عهدها!!» كما قال:« إن هذه الحفريات عمليات تاريخية ومقدسة للكشف عن الحائط وهدم وإزالة جميع المبانى الملاصقة له».

الأمر إذا معلوم.. والهدف منشور.. والوضع يشير عند أدنى تحليل لتلك التصريحات وغيرها إلى مدى الخلل فى موازين القوى والذى ازداد اتساعا بعد حرب الخليج الأخيرة.

بل لقد أعلنها موشى ديان فى الثانى من أغسطى ١٩٧١ .. وبدوره وبمنتهى الوضوح.. فقال:

«يجب العمل على كشف وإعادة ترميم كل ما يتعلق بأيام الهيكل الثانى..»

كما قال «.. أفضل أن أرى السور كما كان فى عهد الهيكل الثانى.. ويمكن تصوير بقية الآثار الأخرى وتخليدها وإزالتها لانها تخفى وتمنع رؤية الصورة كاملة كما كانت فى حينها» !!

وفى ٩ يونيو ١٩٧٨م.. نشرت صحيفة الجيروز اليم بوست الصهيونية تحقيقاً صحفيا أعلنت فيه أنه : «قد تم رصد مبالغ طائلة لمتابعة الحفر فى القسم الجنوبى من المسجد الأقصى وذلك بقصد العثور على مدينة «بيوس» والتى احتلها الملك «داوود» وبنى فوقها عاصمة ملكه..

وستستمر عملية الحفر هذه خمس سنوات

وفى العام الماضى عام ١٩٩٣ .. وافقت الحكومة الإسرائيلية على ثلاثة مشاريع للاستيطان.. وشرعت فى تنفيذها عام ١٩٩٤ .. وهى:

(١) مشروع حى رأس العمود: وهو مشروع يقوم به د/ أرفنى موسكوفيتش.. وهو يهودى أمريكى من الداعين جهارة إلى تهويد منطقه القدس الشرقية- وتقف خلفه جمعية «عطيرت كوهاتيم» وهى جمعية استيطانية يهودية مشهورة.. ويشمل المشروع هدف توطين ١٢٢ أسرة يهوديه.

(٢) المشروع الثانى: يقع على السفوح الشمالية لجبل المكبر .. ويشرف على حرم القدس .. وسيطلق عليه اسم «القدس الذهبية» ويضم حوالى ٤٠٠ وحدة سكنية.. وقد قدمه المتعهد الإسرائيلى عبود ليفى بالاشتراك مع المليونير اليهودى «جاك تاحد».

(٣) المشروع الثالث: ويقع فى منطقه «مقتل شخطور» بالشطر الجنوبى من قرية «سلوان» بمحاذاة جبل المكبر.. ويستهدف المشروع بناء فندق

ومنشآت سياحية على أرض عربية خالصة ومصادرة من أصحابها العرب!!

وستضمن إسرائيل من خلال تلك المشاريع وغيرها من الإجراءات الوصول بنسبة السكان العرب فى منطقة القدس الشرقية إلى نسبة ٢٢٪ من مجموع السكان.. وخلق أقلية عربية من ثم عن طريق العديد من مشاريع بناء الأحياء الجديدة والمستوطنات اليهوديه المقترحة ومنها على سبيل المثال لا الحصر مستوطنتى «ربخسى شعفاط» و«صار حوماة»..

وتذكر الدراسات الإسرائيلية أن عدد سكان القدس من اليهود سوف يبلغ فى نهاية عام ١٩٩٥م حوالى مليون من السكان.. وسوف يصبح العرب نقطة فى بحر.

عندما تذكر العرب القدس بعد حالة الخلاف بين الفلسطينيين والأردن حول أهلية الولاية على تعيين مفتى للمسجد الأقصى.. وعندما تذكر الكتاب والفلاسفة القدس ومحوريتها فى وسط موجة السلام الزائف مع إسرائيل نسوا للحظة مشكلة العراق.. والسودان.. وليبيا المحاصرة منذ سنوات والجزائر التى تغلى، وظهر بعض الكتاب ورفعوا قضية القدس على استحياء وبصوت لايكاد يبلغ الحناجر.. وأشاروا إلى ما آلت إليه الأحوال.. عندئذ..

عندئذ.. أعلنت المتحدثة اليهودية باسم وزارة الإسكان الإسرائيلية بياناً أوضحت فيه:

«إن تجميد المستوطنات فى الأراضى الفلسطينية وفقا لقرار الحكومة فى عام ١٩٩٢م. قد تم إلغاؤه (١)!!!

ليس هذا فحسب.. بل لقد ذكرت الجريدة القاهرية الرسمية أنه:

---

(١) نقلا عن الأهرام القاهرى فى ١٩٩٤/٩/٢٧م.

«.. وفى نفس الوقت صرح مسئولون إسرائيليون بأن الغاء تجميد المستوطنات يهدف إلى خلق واقع لايمكن تغييره فى العديد من المناطق بالضفة الغربية قبل بدء المفاوضات عام ١٩٩٦م».

وحتى يمكن توضيح مدى الخلل فى المواقف والذى يشير إلى مدى الخلل فى موازين القوى بين طرفى النزاع أعلن فى نفس الخبر عن نبأ إفراج السلطات الاسرائيلية عن «ياروه ساريل» رئيس حركة باخ بعد أن كان قد تم احتجازه إثر حظر الحركة عقب مذبحة الحرم الإبراهيمى أوائل العام الحالى والتى راح ضحيتها عشرات الفلسطنيين.

كيف يمكن تفسير معانى تلك المواقف.. والوصول إلى تفسير وحقيقة الأسباب وجذور حقائق الموقف ومحاولة حل تلك المعضلة سياسيا فى ذلك الوقت والمرحلة التى نعبرها تحديدا.. وما هى النظرة المستقبلية للقدس والمسجد الاقصى تحديداً.. إن كانت؟!.

فهل كانت لمواقف العرب وأغنياء الخليج اثرها فى تلك الكارثة؟

وما هو دور كامب ديفيد فى تلك الكارثه تحديدا؟

وهل يمكن تبرئة حرب الخليج الأولى من كل ذلك؟

وما هو دور حرب الخليج الثانية فى تلك الكارثة المحيطة؟

وهل يمكن تفسير ذلك كله بتداعيات حرب الخليج الأخيره سياسياً.. وإعلاميا خاصة. ثم هل هناك محور يمكن من جمع دراسة تلك السلسلة المتتالية المرتبطة والسريعة توضح للسياسى والدارس.. ماذا يراد بتلك المنطقة؟!

ثم هل ضاع الأمل فى معالجة تداعيات المواقف .. وحالة التقوقع الإقليمية لكل دول المنطقة العربية؟.

وهل يمكن أن يكون هناك بصيص أمل فى السياسات الطاغية ذات التيار الواضح!! فى معالجتها لهذا التدهور القاتل بالارتماء فى الحضن الأمريكى؟

وما مستقبل ذلك واحتمالاته؟!

ثم ما هى الاحتمالات الأخرى التى يجب الارتكان عليها ودراستها وإمكانياتها؟

ثم ما هو التقدير الحق للموقف الرسمى من ذلك كله؟!

عند دراسة ذلك كله.. وتحليله .. واتخاذ اللازم من مواقف نابعة من منطلق ومحور ثابت متفق عليه بين العرب جميعا.. يمكن أن نقول إن هناك أملا.. املا متمثلا فى استمرارية الصراع..

الصراع حول القدس .. اولى القبلتين ... وثالث الحرمين.

ومن يأمل فى غايات عن طريق موقف متهاون وسياسى مع إسرائيل فعليه أن يحلل المواقف والسياسات الخاصة بالقدس مسرى النبى محمد (ص) من وجهة النظر الإسرائيلية.. ومدلولاتها النفسية والإيمانية لكن.

فليعلم الجميع .. شرقا وغربا.. أنه بدون تسوية قضية القدس والمسجد الأقصى فإن الأمل معدوم فى أى سلام مع إسرائيل.

ـ وليعلم قبلهم جميع زعماء العالم الإسلامى أن المسجد الأقصى والقدس

الشرقية سوف تتحول إلى دوامة تهز وتبتلع العروش أن لم تحل بشكل له مرتكزه الإيمانى.

وليعلم هؤلاد الزعماء أن بأيديهم قوة هائلة.. عليهم أن يزيحوا عنها الغبار ويوجهو لها الوجهة السلمية.. وسوف يلمسون كنوزهم وثروتهم بأيديهم.. وعلى حقيقتها.

غير أن تلك القوة يمكن أيضا أن تكون الدوامة التى تبتلع الجميع.

أخطر ما فى الأمر أنه.. وحتى الآن.. ورغم كل تلك الزلازل.. فلا توجد على الساحة السياسية استراتيجية متفق عليها.. أو فلسفة أيديولوجية تعبر عن الذات العربية المسلمة فى مواجهة المستقبل القريب.. بأبعاده الملموسة والرهيبة.

بل كل الأوراق تأمل فى عدل أمريكا.. وشعاراتها العالية!!

فلينظروا .. فسوف يلمسون.

الواجب الملزم

نختتم ذلك المنهج من زاوية لاتقل فى أهميتها عن جوانب الصراع العسكرية والسياسية والاقتصادية تجاه قضية فلسطين بشكل عام.. والقدس بشكل خاص.. ألا وهى الجانب الثقافى والإعلامى لهذه المرحله الخطرة من مراحل التاريخ الإسلامى والعربى.. والتى تمثل وبحق منعطفا من أقصى المنعطفات فى مسيرته وتاريخه.

بعيداً عن كل ما تناولناه.. فإن هناك ملاحظة عامة فرضت وجودها حتى على التيارات المسئولة والمؤثرة على مستقبل قضية فلسطين والقدس.. ونقصد بتلك الملاحظة ظاهرة إضفاء الطبيعة الحضارية على وسائل الإعلام خاصة.. وبإمكانياتها الطاغية فى ذلك الوقت على وجه الخصوص.. فى العالم الغربى.. وأيضا العربى.. وأثر ذلك كله على قضية فلسطين والقدس.

فقد اعتمدت الحركة الصهيونية العالمية بأجهزتها الإعلامية الهائلة على منهجين أساسيين يكمل أحدهما الآخر.. أحدهما تلميع الطابع القومى والعقائدى اليهودى فى حركته.

والآخر: تشويه الجانب القومى العربى.. والاسلامى عامة.. وغزو أبنائه فكريا.

وفى كلا الحالتين فإن التاريخ يتسع ليشمل الارتباط بموضوع الحرب النفسية فى محور الصراع. وهكذا.. أضحى الأدب والإعلام أداة من أدوات

الصـراع العقـائدى.. رفعـه جانب.. وجـبن الجانب الآخـر عن مواجـهتـه.. وهـكذا بدأت محـاولات إعـادة صـيـاغـة التـاريخ مـن قـبل المسـتـشـرقـين والإعـلامـيين وبالشكل الذى يتناسب مع تطورات الصـراع.. وأهدافهم تجاه المنطقة بأثرها.

ليس هـذا فـحـسب.. بل لقـد رأى الـطرف المهـيـمن أن الـوصـول إلى الأهـداف أسهل وأضمن وأقل تكلفة عن طريق السياسات.. ورأى من ثم حتمية نوع من التـقـارب والتداخل الأمـر الذى يفـسـر كـثـيـرا من الظواهـر الـتى تميز «الحـركـة الإعلامـية والثقافـية الحالـيـة.. مثل التيار القـوى الذى يسـتهـدف فى المقام الأول إعلام الثقافة والدعـوة..» الإسـلاميـة .. والذى مازال .. وفى تصـاعـد ملحـوظ .. ومثل التـيار الذى يصـور حركات المعارضة وكأنها أخطر ما يتـعرض له الوطن حـاليـا.. وأن الأمـر على وضـعـه لم يكـن يخطر ببـال.. ويمـثل نجـاحـا مـنقطع النظير.. وخطوات على طريق النهضة.. والدخول إلى العالمية.. الخ.

تلك الظواهر تمثل دون شك صورة من صـور غـسـيل المخ بواسطة وسـائل الإعـلام القـوية والمؤثرة والهـدف من ذلك أسـاسا يهدف إلى الضـغط والضـرب على عـوامل الـنقص فى الشـخـصـيـة العـربية بغـرض خلق حـالة مـن التـحلل والتآكل فى الإرادة الذاتية العربية بحيث يمكن تطويع الإرادة لتصبح أداة فى يد الإرادة الأقوى المهيمنة.

من ذلك المدخل يمكن تحطيم الإرادة القومـية وتطويعـهـا.. ومن ثم التعـامل معهـا وتطويقها .. والقضـاء عليها.. يتأتى ذلك عن طريق غـرس قيم دخيلة فى نظام التعليم وضرب القيم السائدة فى المجتمعات السياسية والثقافية العربية.

والمتتـبع للمجـال الفكرى يلمس وبسـهـولة العديد من الظواهـر التى تتـمشى مع ذلك المنطلق النفسى والسياسى المشار إلية.

هناك مـثـلا.. طرح مـفـاهيم مـتعـددة مـتـضـاربة لطبـيـعة الانتـمـاء المصـرى وتوجـهه .. فـهل مصـر فرعـونيـة.. أو عـربيـة.. أو إسـلامـيـة دينيـة– أم حتى عثمانية التكوين؟!

كان هذا التيار على أشده أثناء فترة حرب الخليج الأخيرة.

وهناك أيضا عدم الوضوح والثبات الأيديولوجى.. ويرجع ذلك أساسا إلى حالة من الإخفاق فى الفكر السياسى فى بناء التصور الأيديولوجى المناسب للوظيفة القومية-

والأمر على أوضح ما يكون فى الفترة التى نعبرها حاليا.

وهناك أيضا عدم القناعة - الإعلامية- بالانتماء العربى.. بل لقد وصل الأمر إلى حد الهجوم الشرس والمفزع على كل من له صلة بالعروبة.. وكتابات الكثير مثل سلامة موسى.. وأحمد لطفى السيد وغيرهم أوضح مثال لذلك الاتجاه.

وهناك أيضا اتجاه واضح بدعوة مصر إلى تغيير اهتماماتها مصر السياسية واتجاهاتها.. ومحاوله ربطها بالغرب. وتقوقعها للداخل .. وتشجيع اتصالاتها وروابطها مع الغرب.. وعلى حساب العالم العربى .. المُتعِب. كان من نتيجة ذلك كله أن العلاقات العربية- العربية تمحورت فى الفترة التى نعبرها على محور المصلحة القومية وعلى حساب النظرة الفوق قطرية..

وهناك أيضا محاولة جمع دول متشابهة فى الرؤى الجغرافيه السياسية.. ومحاولة فصلها بشكل ما عن المجموع العربى.. مثل مجموعه دول المشرق البترولى... ومجموعة المغرب العربى الكبير.

وهناك أيضا مواقف عربية ضد بعض الأقطار العربية فقط لتهدئه الشعور العربى ومحاوله التكيف مع السياسة الغربية،، ومن ثم يمكن تفهم التيارات الإعلامية المصرية تجاه السودان الشقيق رغم ظروفه الصعبة.. ونظرة الأردن تجاه العراق.. والموقف المصرى والتونسى والجزائرى تجاه ليبيا.. وهكذا كان الأمر على أوضحه وأقواه من خلال التيار الإعلامى الجارف الذى رفع وجهه نظر الكويت فى أحداث حرب الخليج الأخيرة مع إسقاط وجهه نظر العراق كلية!!

أما أخطر تلك الظواهر فتتمثل فى طريقة مناولة الإعلام لتصور حل مشكله القدس.. ومحاولة حصرها وتصوير الأمر كله فى قضية المسجد الأقصى.. هذا بعد إسقاط قضية فلسطين العربية المحتلة.

ونستطيع أيضا أن نتفهم التيار الجديد والحديث فى التعليم المصرى الأولى.. وتقييم الجانب الدينى.. فيه.. واللغة العربية ومحوريتها وأهميتها كلغة قومية وعربية لها دورها فى تشكيل الشخصية المصرية.. والعربية بشكل عام.

يمكن تفهم من ثم أبعاد النبأ الذى بشر!! بأن أشبال مصر قد فازوا على جميع أطفال دول العالم كله فى امتحانات اللغة الإنجليزية التأهيلية.

وسط كل تلك التيارات العاتية والتى استطاعت فعلا أن تهز أساسيات المواقف العربية.. تقبل المواطن العادى.. بعد السياسى المحترف.. المواقف التى تتعارض عقائديا وعقلانيا وحتى تاريخيا.

وسط تلك المتغيرات.. توارت قضية القدس.. ومحوريتها!!.

وكان ولابد من اكتمال السيناريو.. وخلق أعداء جدد للعرب.. من العرب أنفسهم!! بل.. وأصبحت القوى المعارضة تجد ذاتها فى الردة إلى الأصولية الإسلامية .. الأمر الذى تم إخراجه وتصويره سياسيا وإعلاميا على أنه رجعة بدائية.!! ونزعه إرهابية من قبل الإعلام الدولى. والإقليمى أيضا.

وهكذا .. وبينما تتصارع تيارات القوى العربية على أرض الواقع .. يضحى المستقبل خطيرا- مظلماً.. وكئيباً.. حتى.. حتى بالنسبة للمقدسات الإسلامية.. فى القدس.. ثم فى غيرها.

لابد وأن يقودنا هذا الواقع إلى طرح تساؤل هام.. وهو عن طبيعة الدور الذى لعبته العناصر العالمية المهيمنة فى ذلك الواقع البغيض الخطير؟

ذلك الدور تشير إليه مواقف القوى والتيارات العالمية من القوى والتيارات الاسلامية فى دولها.. وفى دول الأطراف الإسلامية.. مثل مأساة بل ومهزلة البوسنة والهرسك.. وقضية الإسلاميين فى الجزائر.. والقضية العراقية- والليبية.. والموقف من جنوب السودان وأبعاده- وحتى الموقف من إيران..

ذلك الدور الذى تثبته أيضا التيارات الفكرية المهيمنة من قوى المعارضة فى الدول العربية.

ذلك الدور تلعبه أيضا العديد من الصحف والمجلات الأجنبية والعالمية فى مصر والعالم كله.. وكيف نجحت فى تسميم ثم تشكيل الرؤية المصرية خاصة.. والعربية عامة.. حتى تجاه الأحداث التى تقع على الأراضى العربية ذاتها!!.

وهكذا يمكن للمدقق أن يلحظ أيضا مجموعة من التيارات والتى تشكل تيارات الأدب والثقافة والإعلام والتى تترك بصمتها على البناء السياسى كذلك.

تمتاز تلك التيارات بعده ظواهر منها:

١- عدم الوضوح الأيديولوجى ونظرته تجاه المنطقة العربية والأخطار التى تحيق بها.

٢- اهتزاز القناعة بالانتماء العربى.. والمصير المشترك.

٣- التناقض فى المواقف المرتبطة بمصلحة المنطقة ككل.. والتى تمس مصلحة البلاد القومية

التساؤل الذى لابد وأن نقف إزاءه بشىء من التدبير هو كيف أن الإبداع الأدبى.. وحتى السياسى لم يتصد للدفاع عن قضية الإسلام والعروبة..

والقدس كمنطلق أساسى.. ورفع ذلك كسبيل لجمع الشمل العربى والإسلامى المهلهل.. وتوجيه السياسة العربية تجاه التجمع والمواجهة والتحدى .. خاصة وأن التهديدات باتت تهدد جل المقدسات الإسلامية .. فى القدس.

ففى ظل التضارب الملموس.. والأمواج المتلاطمة بات المسجد الأقصى مهدداً بالضياع!!

إن القلب ليدمع.. قبل العين.

فهذا هو الخلل.. فكيف السبيل إلى إصلاحه..؟

وأين أنت ياصلاح الدين؟!

ألا هل بلغت

ملحق

بيان للإخوة المسئولين المسلمين والعرب
عن زيارتى لفلسطين المحتلة والقدس الشريف (١)

قمت بزيارة لفلسطين المحتلة والقدس الشريف وقد صليت فى المسجد الأقصى عدة مرات كما بكيت عدة مرات لاحظت الآتى ووجدت من واجبى إحاطة سيادتكم علماً بما لاحظته حتى أكون قد بلغت فاللهم فاشهد:

١- يستحوذ الإسرائيليون على المياه الجوفية فى منطقة الشرق الأوسط حيث يحفرون الآبار بلا حدود حتى أوشكت أن تكون كل الأراضى خضراء وحسب معلوماتى البسيطة فإن ظاهرة الانتشار الغشائى كفيل بانتقال المياه من المكان الذى به مياه أكثر إلى المكان الذى به مياه أقل. ومعنى ذلك أن الإسرائيليين يستهلكون المياه الجوفية كما يحلو لهم اعتماداً على غفلة الدول العربية المحيطة حيث تتسرب من أراضيها مياهها الجوفية، وعلى الدول العربية حفر الآبار كلما أمكن وزراعة الأراضى كلما أمكن من أجل رفع مستوى معيشة الشعوب العربية وتحقيق الأمن الغذائى لها.. كما لاحظت أن

(١) بعد الانتهاء من هذا الكتاب سقط ذلك البيان فى يد الكاتب فكان شهادة من صاحب ذلك الملحق علي نظرة الكاتب للمشكلة الفلسطينية وقضية القدس.. وننقل البيان كما هو.

هناك اتباع لأساليب الرى الحديث (بالتنقيط وبالرش) وهناك استخدام للميكنة الحديثة فى كل خطوات الزراعة والحصاد وحفظ المحاصيل الزراعية..

٢- فى منفذ رفح كانت رسوم المغادرة ١٤ جنيها بينما كانت رسوم الدخول ٧ جنيهات، أما على الجانب الآخر فلم يكن هناك رسوم دخول ولكن كانت هناك رسوم مغادرة تعادل ٢٥ دولاراً أمريكيا أى ما يعادل ٨٥ جنيها مصرياً..

٣- يحاول الإسرائيليون حالياً جعل كل من:

أ- الفلسطينيين

ب- العرب الإسرائيليين

المعبر الذى يعبرون عليه بصفة علنية إلى الدول العربية فى البداية..

٤- على خلاف ما صادفته من عرب مازالوا مخلصين للإسلام والعروبة ولفلسطين فقد صادفت عرباً ليسوا بعرب فهم فرحون بالعمل تحت كنف الإسرائيليين ويعلقون على الجدران فى مساكنهم الأعلام الإسرائيلية وصور النساء العارية والصور الجنسية (لرجال ونساء معاً) ويحتفظون بشرائط أفلام الفيديو الجنسية وكذلك التى فيها تهكم على قادة العرب، وهم يكتبون أسماءهم بالكاد رغم إنهائهم لدراستهم، وبعدها يخدمون ضمن القوات الإسرائيلية!!..

٥- وحتى العرب الذين مازالوا متشبثين بعروبتهم وإسلامهم فقد أوشك الإسرائيليون فى النجاح فى مسخهم ومسح

معلوماتهم وثقافاتهم الدينية والعربية فقد صادفت مثلا من يتساءل عن مدى صحة ذبح الأضحية فى عيد الفصح (اليهودى) بدلاً من ذبحها فى عيد الأضحى طبقاً للشريعة الإسلامية..

٦- يطلق الإسرائيليون نساءهم كالكلاب المسعورة لتلتهم الرجال (بنعومة طبعاً).. أى رجال من أى جنس وأى عقيدة فطالما حملت من أى رجل وطالما أن البطن يهودية فإن الإسرائيليين يعتبرونه إبناً يهودياً لهم وبذلك يساهم العرب والمسلمون (وغيرهم أيضاً) فى زيادة عدد اليهود نظير سهرة حمراء ونجنى ثمار تلك الفاحشة فى ازدياد أعداد الكفار وأعداء الله عز وجل مما اقترفت أيدينا..

٧- وجدت أن معظم برامج الإذاعات المرئية فى الدول العربية متشابهة مع برامج الإذاعة المرئية لدى الإسرائيليين فقد وجدت على سبيل المثال تشابه برامج المسابقات وصباح الخير وكلام من دهب وبعض المسلسلات مثل الجميل والجرىء وغير ذلك، وكذلك فى الملابس وفى عبارات التحية فبعض المذيعين والمذيعات لا يحيون المشاهدين بتحية الإسلام بل يقولون «نحييكم» مثل اليهود ولا يقولون السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.. ونجد فى معظم الإذاعات العربية القرآن الكريم لمدة خمس دقائق فقط كما نجد ذلك فى الإذاعة الإسرائيلية عند افتتاح البث الإذاعى وبالطبع هم لا يذيعون آذان الصلاة وكذلك فى الكثير من الإذاعات العربية الإسلامية..

٨- وكأن هناك سيطرة عالمية فى مجال الإعلان فقد وجدت تشابها كبيرا فى إعلانات الإذاعة وخصوصاً المرئية لدرجة أن هذه الإعلانات فى كل من الدول العربية ولدى الإسرائيليين تكاد تكون واحدة فى اللحن والفكرة والأسلوب وموضوع الإعلان (السلعة مثل Always) وفى صوت الشخص الذى يتلو كلمات الإعلان وفى الكلمات والعبارات ذاتها وحتى فى شخصية الفنانات التى تتم الاستعانة بهن فى تنفيذ الإعلانات (كما فى صابون لوكس مثلاً)..

٩- أحسنت دول التعاون الخليجى صنعاً عندما قامت بإلغاء مقاطعة الشركات التى تتعامل مع الإسرائيليين ليس إنحيازاً للإسرائيليين وإنما لان هذه الدول قد أصبحت صادقة مع نفسها فقد وجدت شركات كثيرة تتعامل مع الدول العربية ومع الإسرائيليين فى آن واحد فقد وجدت شركات كثيرة موجودة أو لها فروع وأنشطة كبيرة مع الإسرائيليين ومنها على سبيل المثال: شركة أفلام كوداك للتصوير وشركات المياه الغازية وشركات الطيران والبنوك وشركات السيارات اليابانية وأجهزة الإذاعات المرئية والأجهزة المنزلية وكذلك أجهزة جولد ستار من كوريا الجنوبية وكذلك شركات كينوود وجوديير وجنرال موتورز وشركات السجائر مثل مارلبورو وكذلك شركات الروائح ومستلزمات التجميل، كما وجدت شركات أخرى لا حصر لها وتستخدم الإذاعة المرئية اللبنانية لها فروع فى كل من بيروت ودبى وعواصم أخرى عربية وكذلك تل أبيب..

١٠- وقد شكا بعض العرب مما يواجهونه من صنوف كثيرة من الظلم والقهر والتفرقة العنصرية ومنها:

- تدهور الأوضاع القانونية للمسلمين والعرب وتدهور المحاكم الخاصة بهم (المحاكم الشرعية) ونقص الموظفين بها وإنخفاض أجورهم وإحتياجهم إلى دورات تدريبية ونقص أعداد القضاة القانونيين الشرعيين والحاجة إلى تطوير الإجراءات..

- عدم وجود تنظيم خاص حسب الشريعة الإسلامية للطوائف الإسلامية ولأوقاف المسلمين وعدم حصول المسلمين على ريع الأوقاف الخاصة بهم..

- انتهاك مدافن المسلمين وهدمها..

- عدم الحفاظ على مقدسات المسلمين..

- تدهور التعليم الدينى للمسلمين..

- التفرقة فى المعاملة المائية حيث يتم منح الإسرائيليين تصاريح لحفر آبار المياه بينما لا يتم ذلك للعرب مما يترتب عليه حصول اليهود على المياه بسعر مدعم وأرخص من السعر الذى يتحمله العرب..

- التفرقة فى التعليم فعلى الرغم من أن نسبة عدد السكان العرب يبلغ (للأسف) ١٩٪ من عدد الإسرائيليين إلا أن نسبة الطلاب العرب فى الجامعات الإسرائيلية لا تتعدى ١٪ حيث لا يتم قبول اكثر من تلك النسبة رغم ارتفاع درجات الطلاب العرب، وحتى عندما يقوم الطلاب العرب بالدراسة فى الخارج فإنه لايتم الاعتراف بالشهادات الخارجية إلا فى

أضيق الحدود فمثلا يتم قبول ٣ طلاب من ١٨٠ طالباً قد درسوا بالخارج..

- صعوبة الحصول على عمل وقد رأيت أبناء العروبة يعملون في الأعمال الوضيعة مثل جمع القمامة من الطرقات وأعمال التنظيف للمنازل والفنادق وأعمال الطهى وتنظيف وغسيل أوانى الطعام..
- التفرقة فى منح الهبات المقدمة للسلطات المحلية حيث يخص الفرد اليهودى فى المستوطنات اليهودية ما يعادل ٦ دولارات بينما يخص الفرد العربى دولار واحد..
- التفرقة فى التأمين حيث يتضاعف لمن خدم أبوه أو أمه فى الجيش الإسرائيلى..
- عدم تشغيل العرب فى وزارات الدفاع والخارجية..
- ضآلة التشغيل فى الوزارات الأخرى..
- التمييز فى لون لوحة أرقام السيارات فالعرب لهم لون أزرق مع تحديد البلدة أما اليهود فلم اللون الأصفر مع عدم تحديد البلدة.
- التميز فى النظافة حيث يتم الاهتمام بالنظافة فى أماكن تجمع اليهود وعدم الاهتمام بالنظافة فى المدن العربية، ومع ذلك فاليهودى ذاته ليس نظيفا ولا مهذبا فقد شاهدت يهوديا يتبول دون أن يتدارى (على عكس ما يحدث فى الدول العربية من أن يدارى الشخص نفسه بأى طريقة كما شاهدت أمرأة يهودية تتمخط من أنفها بيدها فى الشارع ثم تلصق

المخاط الذى خرج من أنفها فى جدار محل سياحى فى شارع مشهور فى وسط تل أبيب، كما يمر كثيرون فى الصباح بكلابهم لكى تتبرز وتتبول فى الشوارع حسبما يكون وفى أى مكان..

- التفرقة فى الطرق فالطرق المؤدية إلى مدن قرى عربية تكون طرق وعرة وضيقة وغير ممهدة على عكس الطرق الواسعة والممهدة فى المدن المليئة باليهود..

- طمس معالم الكثير من المدن والقرى العربية ثم زراعة أحراش مكانها حتى تختفى معالمها نهائياً وخصوصاً القرى العربية القريبة من القدس.. فمثلاً مدينة بالواعمواس التى كانت معسكراً لعمرو بن العاص عند افتتاحه للقدس والتى عدد سكانها ٢٥ الف نسمة تم طرد سكانها فى سنة ١٩٦٧ وهى الآن منتزة للإسرائيلين يسمى «بارك كنداً»..

- التفرقة فى الاستيراد والتصدير حيث يتم فتح الباب على مصراعية للإسرائيليين بلا حدود من أى دولة ولأى سلعة بينما هناك منع للتجار العرب للاستيراد من دول معينة ولسلع معينة وتحت شروط معينة..

- معاش رجل الشرطة الإسرائيلى أربعة أضعاف رجل الشرطة العربى..

- إباحة استفزاز المستوطنين اليهود للعرب وحظر ذلك على العرب ضد المستوطنين اليهود وإلا تعرض العرب للمحاكمة بتهمة ارتكاب جناية..

- حرية تنقل الإسرائيلى فى المناطق العربية على مدار الأربع وعشرين ساعة يومياً ومنع ذلك وحظره على العرب فى المناطق المسكونة باليهود الا لعدد محدود وفى ساعات محددة معينة..
- محدودية انتشار الصحف العربية وخضوعها للرقابة الإسرائيلية ومهاجمة كل المسئولين الإسرائيليين أما العربى الذى قد يصدر منه أى تصريح فإنه يكون بذلك قد اخترق القانون الإسرائيلى ويتعرض للمساءلة.
- كل أماكن الترفيه مفتوحة للإسرائيليين وهى مناطق واسعة وكبيرة بينما يتم إعدام مناطق الترفية العربية..
- الاهتمام بتعليم الطلبة الإسرائيليين أكثر من الطلبة العرب لدرجة أن الطالب العربى الذى وصل إلى المرحلة الجامعية قد أصبح يكاد يكتب اسمه بصعوبة بل إن الطالب الإسرائيلى الذى يصل إلى المرحلة العاشرة يكون أكثر علماً من ذلك الطالب العربى الجامعى..
- عدم ضم أى حزب عربى لأى ائتلاف حاكم عند الإسرائيليين.. هذا فى الوقت الذى قام فيه المغرب الشقيق (وهو حر ودون تدخل فى شئونه الداخلية ولكنها الغيرة على المسلمين) بتعيين وزير يهودى للسياحة وكأن الأغلبية المسلمة فى المغرب الشريف وتحت قيادة أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثانى تخلو من الكفاءات المسلمة التى يمكن أن تشغل مختلف المناصب القيادية والفنية، وقد يكون ذلك من أجل بضعة أفواج إضافية من السائحين وربما لإرضاء الغرب،،

ولكن من المعروف أن كل قائد دولة عربية عقب كل مؤتمر قمة عربية مغلق فى جامعة الدول العربية مثلا وبعد عودته إلى بلاده يقوم بإطلاع مجلس وزرائه على نتائج اجتماع القمة الذى حضره فهل إذا تفضل العاهل المغربى بذلك فهل هناك ضمان لانحياز الوزير اليهودى المغربى نحو هويته المغربية وبالتالى نحو هويته العربية بدلاً من انحيازها إلى الهوية اليهودية الصهيونية الإسرائيلية؟!..

- عدم السماح للعرب بالعمل كمرشدين سياحيين وقصر مهنة الارشاد السياحى على اليهود حتى يقوموا بالدعاية لمقدساتهم فقط والدعاية والسياسية والسياحية للإسرائيليين فقط..

١١- وبالنسبة للقدس الشريف والمسجد الأقصى وقبة الصخرة فقد لاحظت ما يلى:

- نجاح الإسرائيليين فى أضعاف المعلومات الدينية لدى المسلمين وأئمتهم فقد سألت العديد منهم عن المسجد الأقصى وعن قبة الصخرة ففوجئت باختلاف الرواية من شخص لآخر لدرجة أن شخصا شاباً ملتحياً لم يرد على تساؤلاتى إلا بقوله أن الإسرائيليين قد مسحوا ومسخوا المعلومات الخاصة بالقدس ومعالمه الدينية وخصوصا الإسلامية منها..

أى أنهم لم يمسحوا المعلومات المسيحية بل تعمدوا مسح المعلومات الإسلامية بالذات وحتى تجار الذهب والمجوهرات

الإسرائيليين قد شاهدت لديهم المشغولات الذهبية على هيئة رموزهم اليهودية وبجوارها الرموز المسيحية ولم أشاهد مشغولا ذهبياً واحداً لرمز إسلامى واحد..

- ويقوم الإسرائيليون بتنظيم رحلات لزوارهم لزيارة المعالم اليهودية والمسيحية ولا يذهبون بهم إلى حيث المعالم الإسلامية حتى يتم نسيانها..
- وضع الإسرائيليون علامات حمراء فى اماكن متفرقة فى القدس تمهيداً للقيام بأعمال حفر..
- انتشار الدجالين داخل المسجد الأقصى وقبة الصخرة حيث أمسك أحدهم بيدى واصطنع الرعشة أو الارتعاش وسألنى عن اسم أمى لكى يخبرنى بالطالع..
- كان بعض الخطباء يلبسون يوم الجمعة البنطلونات الجينز الضيقة والقمصان المشجرة أثناء إلقائهم الخطب فى جموع المصلين بعد انتهاء صلاة الجمعة..
- عدم استعمال الخطباء ، عموماً (وكذلك فى صلاة الجمعة) للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة مع كثرة استعمالهم لأبيات الشعر..
- إفساد مكبرات الأصوات حتى لكأنك تسمع ولا تسمع فى نفس الوقت فيصل إلى الأذن ضجيج وحروف متقطعة دون أن يتمكن المستمع من التقاط جملة كاملة مفيدة..
- عدم أمانة التاجر خارج المسجد الأقصى بالإضافة إلى أن التجار العرب يبيعون السلع الإسرائيلية فهم منفذ لا بأس به للإسرائيليين..

- انتشار الجنود الإسرائيليين كالجراد فى القدس وعلى أسوارها وهم مدججون بالأسلحة ويوقفون من يشاءون للاطلاع على الهوية مع إيقاف من يشاءون لأى مدد يرونها بدون أى مبرر أو سبب . .

- قيام الصبية باللعب والتصايح والجرى أمام المصلين الذين كانوا يصلون فى قبة الصخرة (وعددهم لا يتجاوز أصابع اليدين) ونصف هؤلاء المصلين تقريباً يجلسون على مقاعد أثناء الصلاة لعجزهم وكبر سنهم، كما كانت الفتيات تسير بملابس غير محتشمة وأحيانا شبه عارية داخل الساحات المحيطة بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة.

- بعض الشركات السياحية تذهب بالسائحين الأجانب لدخول قبة الصخرة وهم رجس ودنس والكثير منهم يدخل بملابس غير محتشمة كما يجلسون على عتبات الجدران الخارجية بالأحذية وبأوضاع غير لائقة ولا مؤدبة..

- بعض المقدسات الدينية والتاريخية والأثرية يستعملها بعض العاملين فى المسجد الأقصى وقبة الصخرة كمكاتب واستراحات خاصة بهم..

- تهالك المبانى الخاصة بالمسجد الأقصى والمبانى المحيطة به داخل أسوار القدس وتهالك السجاجيد وعدم وجود إضاءة جيدة ونقص عدد المصاحف الشريفة .. وأثناء خروجى من قبة الصخرة كانت توجد مساحة كبيرة من البلاط الملتصق ببعضه البعض وقد وجدت بلاطة فيها كسر صغير ونظرت من خلال الكسر فوجدت فراغا كبيرا مظلما وتحته مياه

غامقة اللون ومعنى ذلك أنه إذا انكسرت بلاطة واحدة فإن من يتصادف ويكون فوقها وهو يسير فإنه سيسقط فى بئر مظلمة لا يعلم سوى الله تعالى مدى عمقها.. ولذلك اندهشت من النفقات الباهظة التى يتم انفاقها فى تجديد قبة المسجد الذى فوق قبة الصخرة، حيث كان من الأجدر البدء فى ترسيخ الأساسات والقواعد والتأكد من متانة المبانى وتقويتها وتدعيمها قبل البدء فى المظهر الخارجى الذى يجب أن يكون أخر شيء فى أعمال الترميم.. وفى الحقيقة فإن المكان كله يحتاج إلى عمارة وتشييد على غرار توسعة الحرمين الشريفين على نفس الأسلوب والطراز والمتانة حتى وبنفس طاقم المهندسين..

- يكثف الإسرائيليون من المبانى حول القدس بشكل كبير وكلها مبان من الأسمنت المسلح الضخم الا أن الجدران الخارجية تكون من الأحجار تمشياً مع الطراز المعمارى للقدس القديمة ولم يتركوا مساحة شاغرة فى القدس إلا بنوا فيها ووضعوا لأنفسهم قدماً فيها.

- لم توفد أى دولة عربية أو إسلامية دعاة أو مقرئين أو مصاحف لتدعيم الدعوة الإسلامية والمسلمين فى فلسطين المحتلة وكان يمكن الاستفادة من الفلسطينيين بدلاً من غلق ابواب بعض الدول العربية أمامهم بجعلهم جسراً لنقل المصاحف كلما خرجوا من فلسطين المحتلة فإنهم يعودون إليها بالمصاحف والكتب الدينية كما كان ينبغى تخصيص عدد لا بأس به من الفلسطينيين لتحمل مسئولية الدعوة الإسلامية فى القدس الشريفة وفى فلسطين المحتلة..

- يخطط الإسرائيليون لاستنفاد الطاقة العربية وقد وقعت فى يدى بعض المطبوعات لمؤسسات تحمل أسماء براقة (مثل المركز اليهودى العربى للتطوير الاقتصادى) ولكنها تحمل فى طياتها الدمار والتدمير واستنفاد الطاقة كما يقولون وإننى أتساءل إلى متى سنظل نحن العرب نؤكل بواسطه الآخرين ونحن نسهل لهم ذلك بوعى وبدون وعى؟.. وهل يمكننا أن نتعامل مع الآخرين سواء أكانوا يهوداً أم غير ذلك بوعى وذكاء وحرص وبعد نظر بحيث يكون الله أمامنا دائماً والدين الإسلامى والمسلمون والعرب والعروبة؟..

- أكد لى المسئولون الإسرائيليون فى اتحاد الغرف التجارية الإسرائيلية وفى اتحاد الصناعيين الإسرائيليين أن كلا منهما جزء من اللوبى الإسرائيلى حيث يتم الضغط بكل الوسائل لتحقيق أهدافهم ابتداء من رئيس الدولة ورئيس الوزراء حتى رئيس الغرفة التجارية والوفود الذاهبة والقادمة وعن طريق وسائل الإعلام وعن طريق الضغط فى الكنيست (البرلمان الإسرائيلى)..

- وقال مسئول العلاقات الدولية فى وزارة السياحة الإسرائيلية: إننا نريد الإعلان فى مجلة حواء المصرية وفى المجلات النسائية العربية لأننا نريد أن نكون مع المرأة العربية فى سريرها فى حجرة نومها..

وتذكرت حينئذ انجراف الكثيرين وراء الموديلات الحديثة والروائح الجديده والتسريحات الحديثة والأصباغ والعادات والتقاليد الدخيلة على الأمة الإسلامية والتى تشد المرأة

العربية شداً لتبعدها عن دينها الإسلامى الحنيف وبذلك يضمن اليهود انهيار نصف المجتمع الإسلامى والذى يتولى بسهولة مهمة هدم النصف الآخر من المجتمع الإسلامى (عندما تقوم المرأة المبتذلة بهدم الرجل نيابة عن اليهود)..

– يتمنى الإسرائيليون أن تسمح لهم المملكة العربية السعودية بعبور أجوائها للطيران إلى اليابان والصين والهند ودول جنوب شرق آسيا حيث سيتم توفير ما يعادل ٤٠٠ مليون دولار امريكى سنوياً..

– يخطط الإسرائيليون لالتقاط الحجاج والمعتمرين من الأراضى المقدسة بالمملكة العربية السعودية لزيارة القدس (ليس حباً فى المسلمين) وإنما سعياً وراء المكاسب، وسيقومون بتنفيذ ذلك عبر الأردن أو مصر.. والسوآل يطرح نفسه عما إذا كان العرب من الذكاء والحنكة بحيث يتم انتهاز فرصة سيلان لعاب الإسرائيليين تجاه الدول العربية، وخصوصا الخليجية منها لكى يتم فرض بعض الشروط أو المطالب مثل إتاحة الفرصة أمام بناء بعض المساجد فى القرى والمدن العربية الموجوده فى ظل الاحتلال الإسرائيلى ودعم وصيانة المقدسات الإسلامية؟..

– قال مسئولون إسرائيليون لى أنهم لا يحبون الفلسطينيين ولا يتوقعون أن يحبهم الفلسطينيون ولكن المصلحة هى التحرك للتعامل معهم حيث سيكونون المعبر الذى سيعبرون عليه إلى الدول العربية..

- يأمل الإسرائيليون إنشاء خط حديدى لقطار سريع يربط دمشق ببيروت فرأس النافورة فحيفا فتل أبيب فغزة فالعريش فالإسكندرية والقاهرة، ويعلنون أن هناك فضول لدى العرب لزيارة الأماكن الإسرائيلية كعدو سابق ولزيارة المقدسات الدينية والقدس وللشراء أيضاً حيث أن إسرائيل أرخص من اوروبا (من وجهة نظرهم) ولكننى وجدت فى الواقع أن الأسعار هناك أعلى من أى دولة عربية على الإطلاق.. ومع ذلك يحلم الإسرائيليون بأن يكونوا هم حلقة الإتصال بين الدول العربية وكذلك بين إفريقيا وآسيا وأوروبا.. وهناك خطة لمد خط حديدى بين البحر الميت وإيلات ثم إلى العقبة.. كما سيتم استثمار حوالى بليون دولار لتوسيع وإنشاء مخازن جديدة وتوسيع الموانى وزيادة السفن والقوارب للاستعداد للزيادة الكبيرة فى أعمال الشحن البحرى والتى ستبدأ بالبضائع الأردنية بعد منح الأردن منفذاً على البحر المتوسط مما يوفر حوالى الف كيلو متر للبضائع الأردنية..
- إجبار الفلسطينيين على الحصول على هوية اسرائيلية أما جواز السفر فالبعض يحصل على جواز سفر إسرائيلى وترحب إسرائيل بذلك وفى هذه الحالة يتمكن من السفر إلى جميع دول العالم وهو محل احترام الجميع، ولكن يتمسك البعض الاخر بعدم الحصول على جواز سفر إسرائيلى فيسافرون إلى الأردن حيث يحصلون على جواز سفر أردنى حتى يمكن السفر إلى الدول العربية أو إلى أى مكان أخر، وبالطبع فقد أعلن الفلسطينيون حزنهم لغلق الأبواب أمامهم من قبل الدول العربية.

- قام وفد من العرب الإسرائيليين بزيارة الأردن وسيقوم وفد آخر بزيارة سوريا، كما سوف يحصل العرب الإسرائيليون على جوازات سفر أردنية للسفر للأراضى المقدسه بالمملكة العربية السعودية لأداء مناسك فريضة الحج وكذلك لأداء العمرة الشريفة..

- يستفيد الإسرائيليون أكبر استفادة من تحالف دول الغرب معها حيث:

- سيستفيدون من العلاقات التجارية مع أمريكا وأوروبا (وكذلك مع اليابان والصين والهند وقريبا مع تركيا) حيث يتم التصدير إلى هذه الدول دون رسوم جمركية..

- اتجاه اليابان لجعل الإسرائيليين مركزاً لاستثماراتهم فى منطقة الشرق الأوسط وبذلك تتم مساعدة الإسرائيليين فى جعلهم هم الذين يمنحون أو يمنعون فى منطقة الشرق الأوسط.. وعلى العرب البدء فى مواجهة ذلك بتركيز استثماراتهم فى الدول العربية كما يجب لم الشمل ومواجهة الأوضاع الجديدة كرجل واحد وعدم ترك ثغرات ينفذ منها الآخرون إليهم للنيل منهم اقتصاديا وثقافياً واجتماعياً وسياسياً وأخلاقياً..

- قال بعض الإسرائيليين... إنهم لا يعتمدون على الدول العربية فى تصريف منتجاتهم (حيث ينتجون كافة احتياجاتهم خلال أسابيع ويتبقى إنتاج باقى العام فى حاجة إلى تصريف وتصدير) لأن أسعارها مرتفعة ولا يمكن بيعها إلا فى الدول الغنية ولذلك يثور التساؤل حول ما يعلنه

الإسرائيليون من تهافت على إقامة علاقات تجارية مع الدول العربية إلا إذا كانت هناك مآرب أخرى سيتم تحقيقها عبر العلاقات الجارية. ألا وهى الغزو والسيطرة الثقافيه والاجتماعية والسياسية.

- لا ولن يتعامل الإسرائيليون مع العرب والمسلمين بحسن نية. فقد ذكر أحد المسئولين الإسرائيليين فى وزارة السياحة الإسرائيلية أن مصر تستقبل أكثر من مائة الف سائح اسرائيلى كل عام وإذا أنفق كل سائح إسرائيلى مائتى دولار فتكون مصر قد حصلت على مبلغ طيب وهو حوالى عشرين مليون دولار.. وقد علمت من مسئول إسرائيلى آخر فى موقع آخر أن أى إسرائيلى يسافر للخارج مسموح له بحمل ثلاثة آلاف دولار سوف تزاد إلى سبعة الاف دولار اعتباراً من أول يناير ١٩٩٥م. ومعنى ذلك أن الإسرائيليين يقترون فى معاملاتهم مع العرب والمسلمين بالذات فعندما يسافر أى واحد منهم إلى أى دولة أوروبية فإنه لن يكتفى بإنفاق مائتى دولار فقط..
- ينوى الإسرائيليون بناء مطار جديد بقدرة تسع ستة عشر مليون راكب سنوياً حيث إن المطار الموجود حالياً ذا قدرة تبلغ أربعة ملايين راكب سنوياً.
- وجدت هناك الآتى:
- الجميع يعمل هناك وليس لفترة واحدة بل لعدة فترات وفى عدة أماكن حيث مسموح بالعمل بالساعة حسب احتياج كل جهة..

-الجميع يعمل بعد بلوغ سن الستين بل السبعين حسبما صادفت.. ولذلك فعددهم يعتبر خمسة عشر مليونا وليس خمسة ملايين..

- إنهم متكاتفون ويد واحدة..

- لم أسمع عن قيام أحد بمحاولة اغتيال لأحد المسئولين هناك مهما كان الخلاف. لأنه خلاف حول كيفية البحث عن أفضل السبل لتحقيق مآربهم المشتركة وليس لتحقيق مآربهم المختلفة ولذلك فعندما يشتم أحد اليهود مسئولاً إسرائيلياً فإن ذلك المسئول لا يغضب بل ينظر إلى تلك الشتيمة على أنها حب للإسرائيليين وينساها وينهمك ويهتم بتبرير مدى فعالية سياسته هو فى التحقيق الفعال للمآرب المشتركة للإسرائيليين. .

- كل فكرة صائبة تتحول إلى واقع حيث يريدون الاقتراب من الكمال فى الحياة السعيدة، وفى تحقيق الرفاهية والأمن والطمأنينة قدر الإمكان، على عكس الأفكار الطيبة المخلصة فى الدول العربية التى تجد سبيلها إلى الحفظ فى الأدراج أو إلى الإلقاء فى سلة المهملات..

- هناك اهتمام فى تنظيم الطرق ووضع اللافتات الإرشادية عليها وعند التقاطعات كلها..

- رغم ارتفاع نسبة المدخنين إلا أن هناك احتراماً عاماً للأماكن الممنوع التدخين فيها وأول من يمنع الركاب الذين يمسكون بالسجائر فى أيديهم من الصعود إلى الحافلات هو السائق

بينما أن أول من يخالف قانون مكافحة التدخين فى بعض الدول العربية هو السائق حيث يكون هو أول المدخنين..

- فى الوقت الذى أعلن فيه أحد المسئولين الفلسطينيين فى مؤتمر السكان الذى انعقد فى مصر أنه ينبغى تنظيم أو تحديد عدد السكان الفلسطينيين، فإن الإسرائيليين يصرفون علاوة لكل أسرة اسرائيلية تنجب طفلا يهودياً جديداً..

- الكثير من الإسرائيليين يمسك وهو يسير فى الطريق بزجاجة مياه ليشرب منها كل بضعة دقائق وكأنهم يريدون الاستحواذ على أكبر نصيب ممكن من المياه فى الوقت الذى يدعون فيه معاناتهم من نقص المياه، لدرجة أننى أوشك أن أميز السائح الإسرائيلى من بين السائحين الذين يسيرون فى شوارع القاهرة بأولئك الذين يمسكون بزجاجات مياه فى أيديهم..

- تقوم نقابة العمال الإسرائيلية (الهستدروت) بالمعاونة فى تنفيذ السياسات الإسرائيلية الخارجية عن طريق الوفود العمالية لجميع دول العالم واستقبال الوفود العمالية من جميع دول العالم..

- الكثير من المبعوثين الإسرائيليين والمشاركين فى مفاوضات السلام كانوا ضباطاً فى مختلف فروع الجيش الإسرائيلى..

- جميع السيارات الإسرائيلية جديدة ولا تدخن حيث يعيشون فى بيئة نقية بينما يتم بيع السيارات المستعملة للعرب

الذين يفرحون بأنخفاض أسعارها ولكنهم يعيشون مع عوادمها ودخانها فى غزة والضفة الغربية..

- لم أشاهد جندى مرور واحد ومع ذلك فالجميع يحترم تعليمات المرور وجميع قائدى السيارات ومن يجلسون بجوارهم يلبسون أحزمة الأمان، ولكن مسموح لرجال الجيش بضبط المخالف. والعقوبة رادعة ولذلك يتجنبها الجميع بسبب انتشار رجال الجيش فى كل مكان حيث تعتبر كل الأماكن هناك كالثكنات العسكرية..

- يطالب الإسرائيليون بتأكيد السلام بينهم وبين العرب حيث يطالبون بتأكيد أن يعرف الناس أن الإسرائيليين جيرانهم وهم أصدقاء وأن تقوم الحكومات العربية بدور فى ذلك وأن يتم تدريس ذلك للتلاميذ فى المدارس العربية ولتبدأ بالمدارس المصرية والأردنية (على عكس ما يخبرنا به القرآن الكريم من أن اليهود هم أعداء الله وأعداء المسلمين)..

- يقولون إنهم لا يتوقعون أن يطلب منهم العرب الوقوف معهم ضد العراق مثلاً.. كما لا يتوقعون موافقة الدول العربية على انضمامهم إلى جامعة الدول العربية..

- البنوك الإسرائيلية لا تكتفى ببيع خدماتها للعملاء وإنما تبحث فى دراسة احتياجات العملاء وخصوصا الصغار والمتوسطين من أجل إيجاد الحلول البنكية والائتمانية المناسبة لاحتياجات كل عميل ثم بيع هذه الحلول..

- بين أحد المسئولين الإسرائيليين أن حجم التجارة الخارجية

الإسرائيلية يساوى حجم التجارة الخارجية للهند (أى أن حجم التجارة الخارجية لعدد خمسة ملايين نسمة يساوى حجم التجارة الخارجية لعدد يبلغ حوالى البليون والمائة مليون نسمة تقريباً!!..)..

وأتمنى أن يقرأ هذه الأوراق رجال اقتصاد وسياسة واجتماع وتجارة وصناعة وسياحة وثقافة وأمن.

واللهم قد بلغت فاللهم فاشهد..

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

مواطن مسلم عربي مصري

يحيى جاد الله الطويل

٢٦ شارع مجلس الشعب- القاهرة

تليفون : ٣٥٤٨٥٢٣

تقرير المهندسين

(١)

قامت اللجنة المؤلفة من المهندسين رزق اسيبر خورى ومحمد نسيبة وابراهيم الدقاق، بالكشف على مكان الحريق فى المسجد الأقصى المبارك، وتبين لها ما يلى :

١- أن حريقين منفصلين شبا فى المسجد، أحدهما فى منطقة المحراب ومنبر صلاح الدين، بينما شب الحريق الثانى فى سقف الجناح الجنوبى الشرقى ومحراب زكريا، الذى ارتفاعه من الارض حوالى خمسة عشر مترا.

٢- (أ) تبين تدمير سقف الجناح الجنوبى الشرقى ومحراب زكريا بأكمله الذى تبلغ مجموع مساحته حوالى أربعمائة متر مربع بما فى ذلك الزخارف والنقوش.

(ب) احتراق منبر صلاح الدين بأكمله.

(جـ) تلفت جميع جدران المحراب الداخلية، وكذلك تلفت الزخارف والنقوش الأثرية بشكل لايمكن اصلاحه.

(د) وصل الحريق إلى قبة المسجد الأقصى وأتلف الزخارف الموجودة على القبة الخشبية وقسما منها، وكذلك أعمال الفسيفساء التى تغطى الركب الحاملة للقبة وأصبح تبطين القبة من الداخل أيلا للسقوط.

(هـ) تلف العمودين الموصلين من ساحة القبة إلى منطقة

المحراب المصنوعين من الرخام، وكذلك القوس المحمول عليها بشكل يؤثر على قدرة تحملها للأحمال الاتية من القبة وعقد ردهة المحراب.

(و) اصابة جميع أعمال الخشب المزخرف فى سقف ردهة المحراب

(ز) اصابة اعمال الخشب غرب القبة ببعض الحروق التى اثر على زخارفها ومتانتها.

٣- لم تتمكن اللجنة من التاكد من متانة القبة والركائز والجدران الاخرى ومدى تأثرها من الحريق، بسبب قيام رجال الاطفاء بمهمتهم.

٤- لم تتمكن اللجنة من تقدير قيمة الاضرار الأثرية والتاريخية التى لحقت بالنقوش والزخارف ، أما قيمة الاضرار الانشائية فسيتم تقديرها مستقبلا.

٥- وفى تقدير اللجنة أن سبب الحريق حادث مفتعل، استنادا إلى تقرير المهندسين الكهربائيين المرفق، والذى ينفى امكانية حدوثه بسبب خلل كهربائى.

تقرير المهندسين

(٢)

قام مهندسون وفنيو شركة كهرباء محافظة القدس باجراء ما يلى وحسب الخطوات والمعلومات التالية:

١- فى الساعة السابعة والنصف صباحا وصلت اشارة تليفونية إلى موظف نوبة الكهرباء فى الشركة تفيد بوجود حريق فى الحرم الشريف وفى الحال انتقل موظف النوبة، السيد عونى المهتدى، لتنفيذ الخوطات المتبعة فنيا من قبل موظفى الشركة فى حالة حصول حرائق، وهى ازالة الفيوزات الرئيسية المرتبطة بخطوط الشركة والواقعة فى باب المغاربة المؤدى للحرم والمحطة الفرعية للصخرة المشترك (أى الحرم الشريف) خلال دقائق معدودة.

وقد تبين للجنة أن الموظف المذكور قد نفذ جميع التعليمات الموضوعة لتنفيذها فى حالة حدوث اى حريق أو اى حدث كان، كاجراء احتياطى لازم.

٢- وقد تم فحص الفيوزات فى الشركة وتبين لمهندسيها عدم وجود اى خلل أو احتراق فيها، ووجدت باردة جدا حين نزعها كما اكد ذلك موظف النوبة.

أن هذا فى رأى المهندسين يؤكد عدم حصول حمل زائد، أى أنه لم

يحصل أى تماس كهربائى يذكر. إذ ان التماس بسبب احتراقا فى الفيوزات أؤ على الاقل «فى حالة فيوزات الشركة» ارتفاعا فى حرارة الفيوز والبورسلين الحامل له.

أن وجة هذه الفيوزات بصورتها الباردة جدا وفى ذلك الوقت المبكر جدا بعد حصول الحريق يجعل مهندسين الشركة يعتقدون بصفقة مبدئية «أى قبل اطلاعهم على شىء أخر» عدم وجود تماس كهربائى جدى فى الاسلاك الموجودة عند ا لمشترك.

٣- فى الساعة العاشرة وعشرين دقيقة توجه المهندس السيد عمران ابو ميزر إلى مكان الحريق داخل المسجد حيث رافقه موظف النوبة الذى بقى فى نفس المكان طيلة هذا الوقت، وقد افاد الاثنان أنهما لم يلاحظا شيئا غريبا فى الاسلاك استرعى إنتباههما.

٤- فى الساعة الثانية عشرة حضر المهندسان السيدان هشام زلاطيمو وهشام الخطيب من شركة كهرباء القدس وبرفقتهما كهربائى الحرم السيد محمد محمود الصباغ (ووجدوا أن مركز الحريق الرئيسى هو الجناح الجنوبى الشرقى).

فى هذا المكان كانت جميع الاسلاك الكهربائية ممدودة على سطح الجسور الخشبية الممتدة بين أعمدة المسجد وعلى ارتفاع أربعة امتار تقريبا. وقد تبين أن هذه الجسور لدى الكشف عليها لم تتعرض لاى احتراق مباشر، مما ينفى وجود تماس كهربائى على سطحها، اى مكان وجود الاسلاك. وقد تبين كذلك أن تلك الاسلاك كانت فى حالة جيدة، أما مركز الحريق الرئيسى فكان فى السقف وعلى ارتفاع يزيد على ثمانية امتار من تلك الاسلاك على

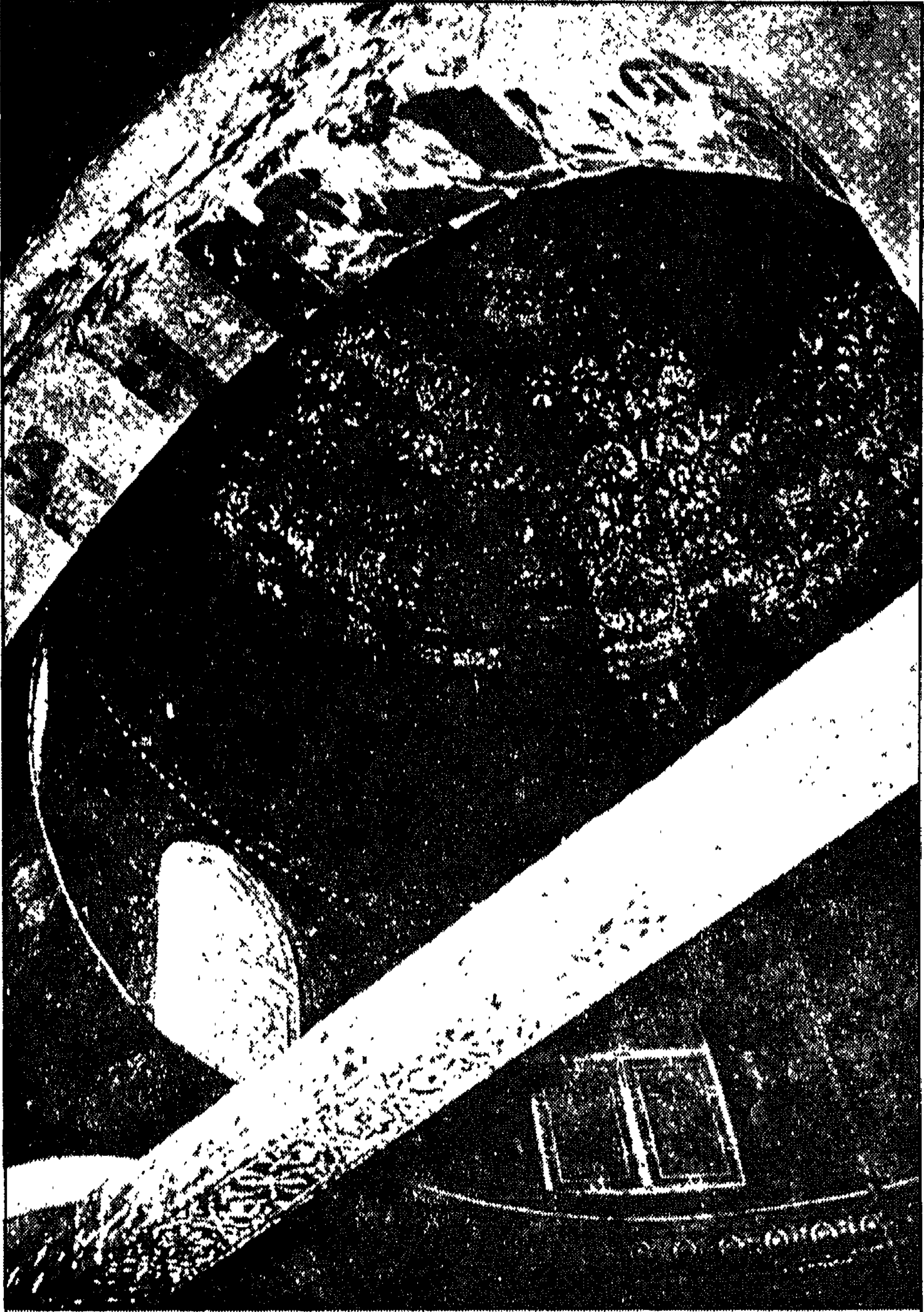
الاقل. ولا توجد فى السطح اسلاك كهربائية بتاتا بل ولا توجد آثار فى ذلك المكان، اذ أن جميع الاسلاك ممدودة على ارتفاع اربعة امتار من البلاط تقريبا.

٥- اما ثريا القبة فتاتيها الكهرباء عن طريق سلك هوائى لا يزيد ارتفاعه عن البلاط بأربعة امتار.

٦- وجد المهندسون أن مفاتيح الكهرباء التى تنير ثريا القبة والمحراب والمراوح الكهربائية فى ذلك الموقع كانت فى حالة ممتازة ولم تتعرض لاى احتراق كما أن المفتاح الكهربائى كان فى حالة جيدة جدا ولم يظهر على نقاط تلامسه اى اثار حمل زائد وتظهر عادة مثل هذه الاثار فى حالة حدوث تماس كهربائى.

أن هذا يعزز رأى المهندسين فى عدم حصول تماس فى هذا الموقع كما أن هذا المفتاح من النوع الجيد الذى يكون التلامس والقطع فيه من فاز ونيوترول. ووجدت الاسلاك حول المنبر كذلك وقد تأثر بعضها من الحريق، وكان منها اسلاك ميكروفونات الاذاعة التى ليس لها علاقة بالكهرباء بتاتا.

ونتيجة لاحتراق المنبر الخشبى فقد احترق عازل السلك الكهربائى خلف المنبر فقط الذى كان مثبتا على الحائط، أما بقية السلك فهو سليم من طرفيه.



جريمةلاحراق تقضي علي الكتابة الاثرية حول القبة.

٧- لم يجد المهندسون الكهربائيون ما يدعوهم للشك بوجود اى تماس كهربائى فى المسجد من الممكن أن يكون قد أدى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لحدوث الحريق وبالعكس من ذلك فان مستويات الحريق ومكانة كما فهم المهندسون من بعض رجال الاطفاء على المواقع قد ابتدا فى أماكن بعيدة ولا يوجد فيها اسلاك كهربائية.

٨- اننا مهندسون محترفون نعمل فى شركة الكهرباء لمدة يصل بعضها إلى عشر سنوات ولم يصل إلى عملنا خلال هذه السنوات اى حادث احتراق نتيجة حدوث تلامس كهربائى فى منطقة القدس أو المناطق المجاورة.

ولا توجد فى السطح (الداخلى) اسلاك كهربائية بتاتا. أما فوق السطح الخارجى فقد كان هناك خطوط كهربائية أربعة «٣ فازنيوترول» تغذى تابلون رئيسى فى الناحية الغربية من الرواق الاوسط وهذا التابلون يعطى التيار لكل من رافعة «ونش» فى الناحية الغربية من المسجد وكذلك خط من اربعة اسلاك «٣ فازنيوترل» تغذى تابلون رئيسى فى الناحية الغربية من الرواق الغرب إلى الشرق وينتهى يتابلوه فى نقطة شمال شرق القبة وهذا السلك الاخير هو الوحيد الذى تأثر من النيران فى جزء صغير منه وهو المعلق فى الهواء، طرفاه، الطرف المتصل بالتابلوه وكذلك الطرف الاخر الموجود ملاصقا للقبة فلا زال بحالة سليمة.

كذلك وجدنا أن التيار مقطوع عن جميع هذه الاسلاك من عمود

إلى الشرق من الكاس ويبعد عنه حوالى مائة متر ولا يوجد اى تيار كهربائى فى هذه الخطوط.

لم نجد اى اثر لماكينة لحام كهرباء على السطح والاجهزة الوحيدة الكهربائية التى وجدت على السطح هى موتور جلخ صغير وغير متصل بأى اسلاك تيار كهربائى، ولكن وجدت بعض قبضان لحام تستعمل للحام الومنيوم لم تستعمل وموجودة على السطح من قبل حرب حزيران ١٩٦٧.

★ المهندسون السادة

محمد نسيبة　　رزق خورى　　ايراهيم الدفاق

محمد زكرى اصلان　　محمد عبد المجيد　　سامى خورى

شفيق صوفان الذى تم اختيارهم من نقابة المهندسين العرب فى الضفة الغربية، وبناء على طلب الهيئة الاسلامية أجروا الكشف على المسجد الاقصى، بتاريخ ١٣ جمارى الاخرة سنة ١٣٨٩هـ هو ٢٧/٨/١٩٦٩م وقدموا تقريرا يتضمن ما يلى :

١-(أ) تبين أن السقف الخشبى للجزء الجنوبى الشرقى من المسجد قد احترق كليا ويجب ازالة بقايا العوارض الخشبية التى كانت تحمله لانها أيلة للسقوط.

(ب) تبين أن اعمدة هذا الجزء لم تتأثر بالحريق، وهى بالتالى لا تشكل خطرا فى وضعها الحالى. القوى الجنوبى القائم مقابل المحراب والحامل للجزء الجنوبى من قبة المسجد

(أ) تبين بأن الحجارة المكونة للقوس وخاصة فى قسمة

الاعلى قد تتأثر بالحريق وقد بدأ الوجه الجنوبى منها بالتفتت نتيجة للحرارة التى تعرضت لها.

(ب) يجب استبدال هذه الحجارة عند اجراء الاصلاحات.

(جـ) تبين بأن العمودين اللذين يرتكز عليهما هذا القوس قد تأثرا بالحريق وبدرجات متفاوتة.

٣- حائط المنبر: تبين أن هذا الحائط تضرر من الحريق ضررا سطحيا ونظرا لسماكته الكبيرة لم تتأثر متانته الانشائية.

٤- قبة المسجد:

(أ) نظرا لارتفاع القبة الخرسانية فقد تبين بأن الحريق لم يؤثر عليها لدرجة تدعو إلى القلق من الوجهة الانشائية.

(ب) تبين أ النيران اثرت على الكسوة الخشبية الداخلية للقبة مما سبب فى تلفها.

٥- السقف عند المحراب:

تبين بأن الكسوة الخشبية الداخلية لهذا السقف قد تعرضت للنيران مما سبب فى تلفها.

٦- الاعمدة:

عدا ما ذكر عن العمودين المذكورين فان بقية الاعمدة لم تتأثر بالحريق. هذا بالاضافة إلى ما هو معروف من أن النار اتت على منبر صلاح الدين الايوبى الاثرى الشهير ولم يبق منه أى أثر.



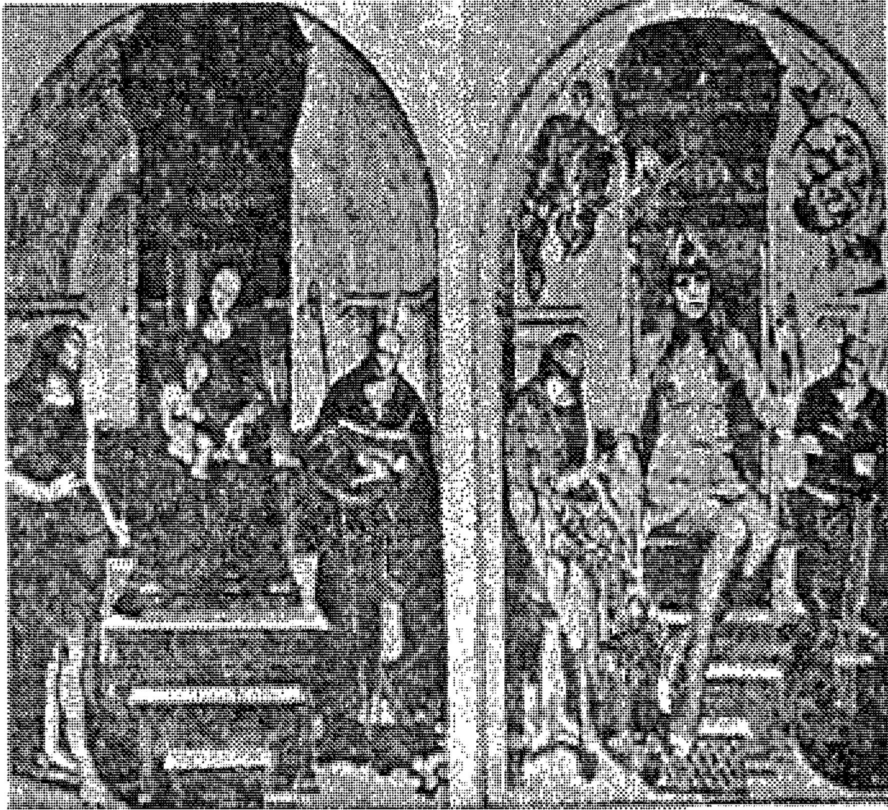
مشهد آخر لآثار الجريمة



مسجد الصخرة وقد حوله الصهاينة إلى منتجع غرام، وساحات فجور، فتحركي ياعوامل الاستشهاد في نفوس المؤمنين، وازاري ليرجع القصى إلي قدسيته والمسجد إلى طهره، ومعراج محمد ومسراه، الى وضاءته واشعاعه.



الأنتهاكات للمقدسات الإسلامية



قارن بين المشهدين.. يشوهون الحقائق.. ويزورون.. ويضعون راقصة بدلا من السيدة مريم البتول، وكلباً بدلا من السيد المسيح.. ما أكثرها جرأة على المقامات المقدسة!!

هكذا يريد الصهاينة، انشاء الهيكل على انقاض المسجد الاقصى، وبدأوا يجمعون الاموال ويحضرون الحجارة من الولايات المتحدة الامريكية.. فمتى تتحرك الشعوب العربية؟.. ومتى تثور الشعوب الاسلامية ومتى ندق ابواب القدس فاتحين الطرف الاخر منه القديس نيقولا، واتولنتينيو، وهو القديس الذى كانت اسرة انسيدى، قد اوصت روفائيل على هذه اللوحة، لوضعها المذبح، الذى يحمل اسمه بكنيسة القديس فيورنزو، ببلدة بيروغبا.

تلك الصورة الجميلة، حرفت وشوهت، من قبل جندى اسرائيلى وعرضها فى ملهى «٢٢٠» وفى متحف تل ابيب، ونشرت تلك الصورة، فى الملحق الاسبوعى لجريدة الجيروزاليم بوست، فى عددها الصادر فى اوائل آذار سنة ١٩٦٨. ويبدو واضحا أن القصد من رسم هذه اللوحة المشوهة، انما هو انتهاك قداسة الدين المسيحى.

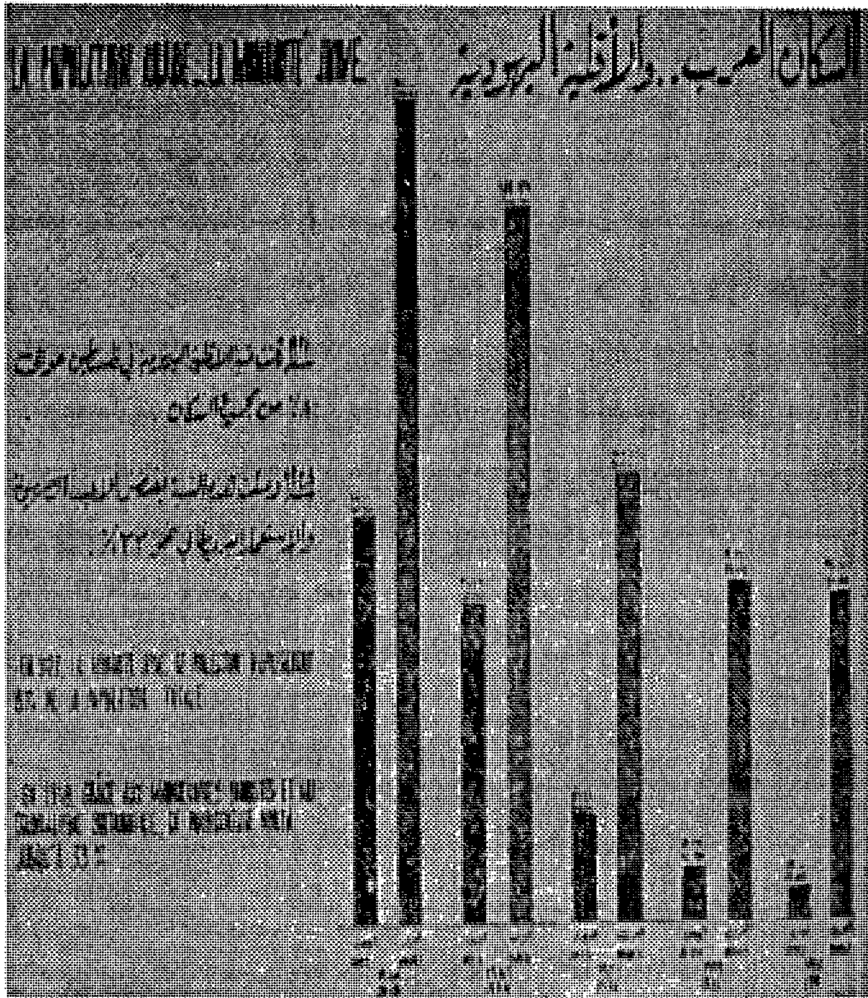
ذلك أن الجندى استبقى اللوحة على شكلها، ولكنه استبدل صورة السيدة العذراء، بصورة لفتاة، ترتدى الرداء القصير، الذى ينحسر عن الساقين «المينى جوب» كما استبدل صورة الطفل المسيح بكلب!!

إعرف عدوك

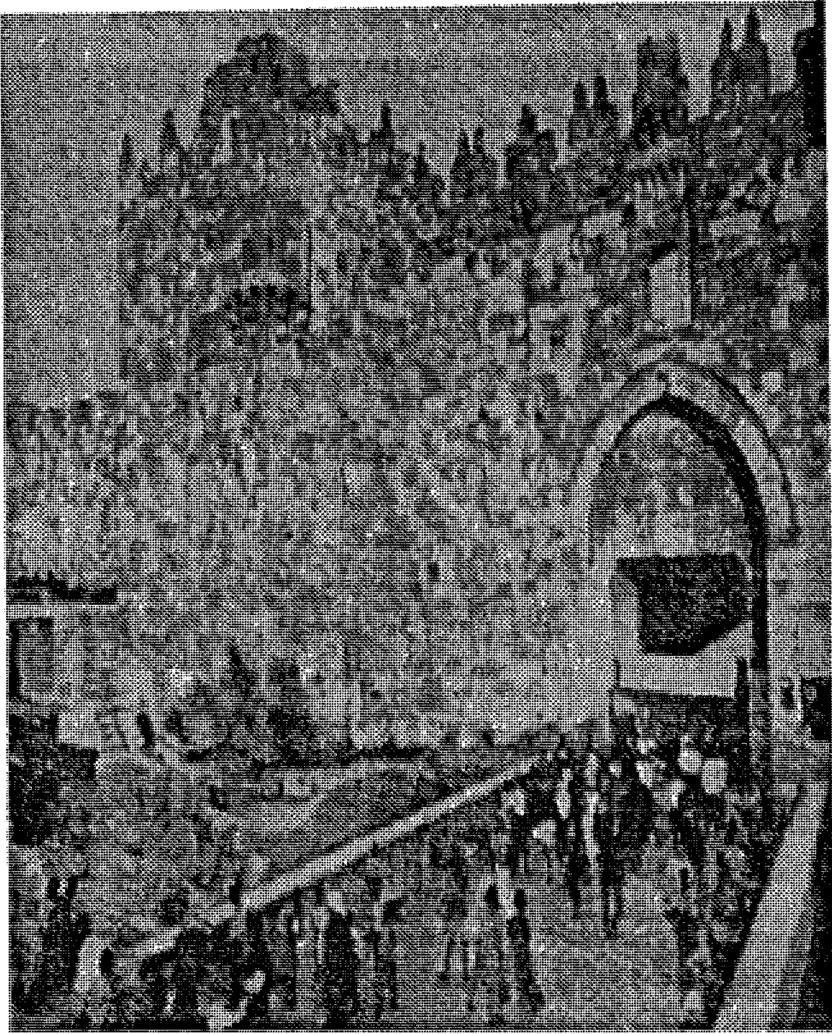
من المبادىء المسلمة أنه ما لم تعرف عدوك على حقيقته، وما لم تعرف اهدافه ومقاصده، وما لم تعرف قوته وأساليبه، فلن تستطيع أن تظفر معه بمعركة، ولا أن تصل منه إلى مقتل.

والصهيونية بالإضافة إلى خداعها ومكرها وخبثها، فهى هدامة لكل القيم والمبادىء الإنسانية، ومحاربة لكل الأديان، ومعادية لكل بنى الإنسان، واذا هادنتها فإلى حين، واذا عاهدتها فعلى دخل.

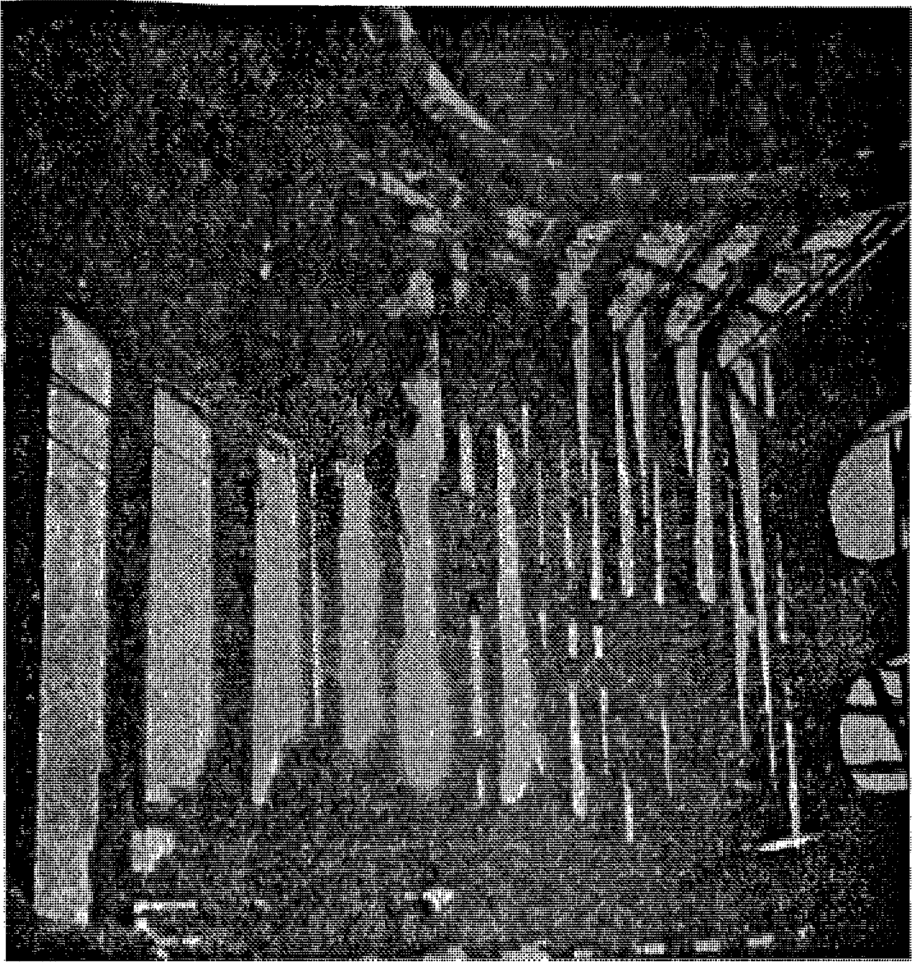
هذا هو النص الإنكليزى للوثيقة المشنور ترجمتها بالعربية فى صفحات ٥٣و٥٤و٥٥ من هذا الكتاب.



كيف كانوا سنة ١٩١٧م، وكيف صاروا سنة ١٩٤٨م، واخيرا تدبروا ياعرب، واقعهم في الوقت الحاضر، وهم يحتلون فلسطين، واراض عربية اخرى



منظر يوضح بوابة دمشق، وهي البوابة الرئيسية للمدينة القديمة من الناحية الشمالية. وهي بوضعها الحالي من عمل سليمان العظيم في القرن السادس عشر الميلادي. وتقع اسفلها بوابات من عهد هيرود اغريبا في منتصف القرن الأول بعد الميلاد، وكذلك مدينة إيليا كابتولينا (المدينة الرومانية) عام ١٣٥م.



آثار الحريق على الأعمدة

محتويات الكتاب

صفحة



هذا الكتاب دعوة للتذكير ـ بل صرخة للتحذير .

وهذا أشد ما يؤلم ـ وأقصى ما يوجع فى نفس الوقت .

إن الحقيقة وثوابتها نكاد نلمسها فى حركتنا التاريخية ومرحلتنا التى نعبرها . . ورغم خطورتها فإنه يجرى بشأنها تعتيم وتنعيم لا مثيل له . . ونلمس بشأنها سلبية خطيرة على المستقبل العربى بكل ما يميزه . . كما أن ردود الأفعال تجاه ما يجرى يبدو وكأن من صفات هذه الأمة السلبية التامة . . الأمر الذى يستلزم الدراسة والتحليل . . ثم المناولة والمواجهة .

وليس فى الأمر أى مواجهة أو محاولة للنيل من نظم الحكم العربية وطبيعتها . . بل هى على العكس مجرد نصيحة يستشعرها الكاتب ـ وقد يكون مخطئا ـ فإن لم يكن ، فإن خطر ما يجرى يهم الحكام والمسئولين . . بل ويحملهم ما هم فى غنى عنه من خلخلة فى مجتمعاتهم . . وتغير فى تناسق شعوبهم . . وتمزق فى تآلفهم وهى كلها أمور هامة يقدرها ويدرك أثرها الحكام والمسئولون قبل غيرهم .

ونقصد بذلك كله مستقبل السلام « الحقيقى » مع الدولة اليهودية .

د . أحمد كمال شعث